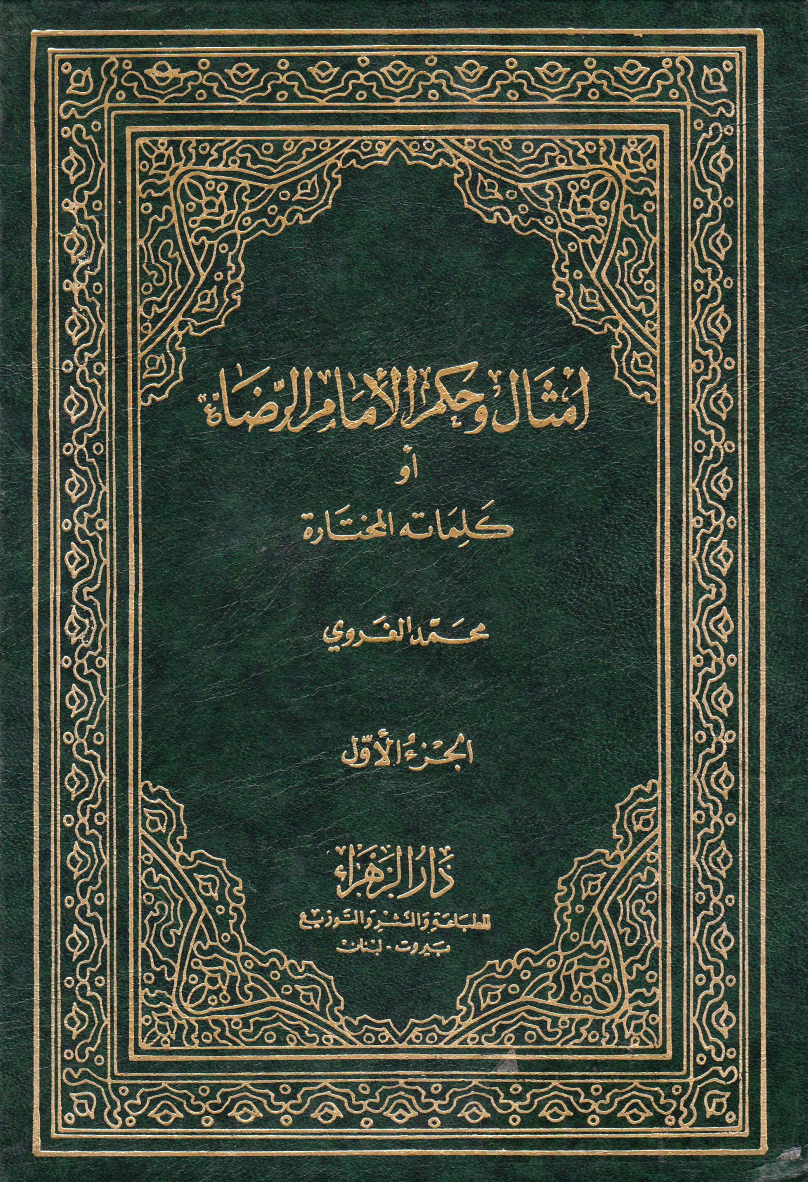


أمثال وحكم الإمام الرضا
أو
كلماته المختارة
محمد الغروي
الجزء الأول
دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان



أمثال وحكم الإمام الرضا

أو

كلماته المختارة

أمثال وحكم الإمام الرضا (ع)

أو

كلماته المختارة

محمد الغروي

الجزء الأول

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



الإهداء

إليك يا ثامن الأئمّة الأطهار ، وعاشر مصابيح الأنوار يا علي بن موسى الرّضا ، عليك وعلى آبائك السّبعة وأبنائك الأربعة آلاف التحيّة والثّناء .

يا أيّها العزيز مسّنا وأهلنا الضّرّ وجئنا بِبِضعةٍ مزجةٍ فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا إنّ الله يجزي المتصدّقين .



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمّد رسول الله وخاتم النبيّين ، وعليّ أوّل الوصيّين ، وفاطمة سيّدة نساء العالمين ، والأئمة المعصومين ، شروط لا إله إلاّ اللّه وشجرة التوحيد الّتي نبتت في الحرم ، وبسقت في الكرم ، ولا سيّما ثامنهم الإمام الرضا ، وآخرهم المهدي إمام الهدى .

اللهم عجّل فرجه ، وآهد به عبادك ، وأحي به شرعك وبلادك آمين .

تقديم

هذه مائة وإحدى ثمانون كلمة مختارة من الأمثال والحكم ممّا يؤثر عن الإمام الرّضا عليه السّلام ، وهي من الخير المعجّل والدّراسة العاشرة للأمثال والحكم المختارة من كلمات المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام :

من الأمثال والحكم النّبويّة ، العلويّة ، الفاطميّة ، الحسنيّة ، الحسينيّة ، السّجاديّة ، الباقريّة ، الصّادقيّة ، الكاظميّة ، الرّضويّة ، والمتواصلة إن شاء الله إلى الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه وتلك عشرة كاملة ، صدر منها كتاب « الأمثال النّبويّة »[1] ، و « الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة »[2] وهي قبسة من « الأمثال والحكم العلويّة »[3] ، ورائدة الخير لها ، أو كما قال القائل :

* وأوّل الغيث رشٌّ ثمّ ينسكب *[4]

---

(١) طبع في مجلّدين ـ بيروت ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، عام ١٤٠١ هـ .

(٢) طبع في مجلّد ـ قم المقدّسة ، إيران ـ مطبعة النّشر الإسلامي التّابعة لجماعة المدرّسين ، عام ١٤٠٧ هـ .

(٣) مخطوط .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٢٣٦ ، وفي هامشه بدل « رشّ » « قطر » .

الهدف المشترك :

وإنّما لم نفرّق بينهم عليهم السلام ؛ لاشتراكهم كلّهم في الدّعوة إلى الله جلّ جلاله ، وهداية النّفوس ، وتهذيبها ، ولا غرو فهم أعدال الكتاب العزيز في حديث الثقلين[1] .

اللهمّ اجعلنا من المتمسّكين بهم ، والآخذين بحجزتهم ، والناجين بشفاعتهم .

الأمثال :

الأمثال : جمع المثل فمنها المثل السائر ، ومنها المثل القياسيّ .

المثل السائر :

هو ما قاله القائل في واقعة اقتضته ، ثمّ سار على الألسن يتمثّل به في الشيء المشابه لتلك الواقعة من غير تبديل . ومنه المثل النّبويّ : « لا ينتطح فيها عنزان » الوارد في قصّة العصماء أمّ المنذر[2] .

قال أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال : جعل كلّ حكمة سائرة مثلاً ، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثّل به إلاّ انّه لا يتّفق أن يسير فلا يكون مثلاً[3] .

---

(١) أفرد المرحوم العلاّمة السّيّد حامد حسين المتوفىّ ١٣٠٦ هـ له مجلّداً من كتاب « عبقات الأنوار » .

(٢) الأمثال النّبويّة ٢ / ١٢٥ ، رقم المثل ٤٣٩ ، حرف (لا) .

(٣) على حاشية مجمع الأمثال ١ / ٥ .

قال بعض :

يعني أنّ الشّيوع والانتشار وكثرة الدّوران على الألسن هو ما يفرق بين الحكمة والمثل . فالقول الصائب الصادر عن تجربة يسمّى (حكمة) إذا لم يتداول ، ويسمّى (مثلاً) إذا كثر استعماله وشاع أداؤه في المناسبات المختلفة . ويعرّف حينئذٍ بأنّه القول السّائر يشبّه به حال الثّاني بالأوّل ، أو الّذي يشبه مضربه بمورده ، والمراد بالمورد : الحالة المشبّهة التي أريدت بالكلام [1] .

والمثل القياسي :

الكلام المتشكّل من أيّ وصف أو قصّة ، أو تصوير من أمر معقول ، أو محسوس يجمع بين جمال التّصوير وحسن الأداء ، والذي يسمّيه علماء البيان «التمثيل المركّب»[2] ، المنتزع وجهه من متعدّد وإن لم يسبق له ذكر ، وهو صالح للتطبيق على ما يريده المتكلّم ويمثّل أهدافه . كالمثل العلويّ الذي رواه الشّيخ الطّوسي طاب ثراه بإسناده عن الأصبغ قال : « كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد أن يوبّخ الرّجل يقول : والله لأنت أعجز من تارك الغسل يوم الجمعة . . . »[3]

وهو مثل قياسي ارتجله عليه السلام لما رامه من توبيخ الرّجل ، ولئن سار بعد ذلك على الألسن صار مثلاً سائراً وليس السّير شرطاً في المثل القياسي في مقام التّمثيل بأن يسبق له ذكر كيف وهو

---

(١) أمثال الحديث ٨٣ ، لعبد المجيد مطبعة السّنّة المحمديّة ، مصر ، ١٩٧٥ م .

(٢) والتّشبيه المركّب ، والمجاز المركّب .

(٣) الوسائل ٢ / ٩٤٧ ، باب ٧ من أبواب الأغسال المندوبة ، الحديث ٢ ، او علل الشرائع للشيخ الصّدوق طاب ثراه ١ / ٢٨٥ .

كـالطّبيعـة من كلّ إنســان لا يكاد ينفـكّ عنـه ، من أيّ اللُّغـات كـانت لُغتـه ، وفي أي مكان كـان فله الارتجال بكـلّ ما يتـوخّاه من تشبيـهٌ أو غيـره في كلامـه لتفهيم هـدفـه المنشـود . ونحن كمـا يـأتي بيـانـه في المنهج اعتمدنا على التفسير الشامل لهما ولغيرهما .

الحكم :

الحكم : واحـدها الحكمـة : وهي العلم الّذي يـرفـع الإنسـان عن فعل القبيح مستعار من حَكَمة اللِّجـام : وهي ما أحـاط بحَنَك الدّابة يمنعها عن الخروج[1] .

قـال ابن الأثيـر : وفي الحـديث : « مـا من آدمي إلّا وفي رأسـه حَكَمة » ، وفي رواية : « في رأس كـلّ عبـد حَكَمة ، إذا همّ بسيّئـة فـإن شـاء الله أن يقدعـه بها قَـدَعَه » **الحَكَمـة** : حديـدة في اللِّجام تكـون على أنف الفـرس وحنكـه تمنعـه عن مخـالفـة راكبـه . ولمـا كـانت الحكمة تأخذ بفم الدابة وكان الحنك متصلاً بـالرأس جعلهـا تمنع مَنْ هي في رأسه ، كما تمنـع الحكمةُ الـدابة[2] . « **قَـدَعَه** » من القـدع : الكفّ والمنع .

وقال ابن فارس : يقال : حكمتَ السّفيه وأحكمتَـه : إذا أخذت على يديه قال جرير :

أَبني حنيفة أحكموا سفهاءكم   إنّي أخاف عليكُمُ أن أغضبا[3]

فـالحكمة في اللّغـة : هي المنع ، وفي كـلّ فنّ يراد منهـا ما لا يراد في فنّ آخر ولكن لا يفقد الكلّ تفسيرها اللّغـوي المنع المتنـاسب

---

(١) مجمع البحرين، في (حكم) .
(٢) النّهاية ١ / ٤٢٠ .
(٣) معجم مقائيس اللّغة ٢ / ٩١ ، في (حكم) .

معه كما يجمع الجميع النّفع العائد إلى دين الإنسان ودنياه على ما اشتهر تعريفها بذلك وفي الشّرع قد فسّرت بطاعة الله عزّ وجلّ ، ومعرفة الإمام عليه السلام كما في حديث الإمام الباقر عليه السلام[1] في تفسير قوله تعالى : ﴿ **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أُوتى خيراً كثيراً** ﴾[2] .

وبالمعرفة والتّفقّه في الدّين على ما في قول الإمام الصّادق عليه السّلام[3] .

وفي العلويّ : « الحكمة روضة العقلاء ، ونزهة النُّبلاء »[4] . والأخر : « خذ الحكمة أنّى كانت »[5] والكلّ يرمي مرمىً واحداً ، وقد أوضحنا ذلك عند البحث عن المثل النّبويّ : « الحكمة ضالّة المؤمن »[6] . ولا يوجد سبب أقرب لحصولها من إخلاص العمل لله جلّ جلاله فقد روى الإمام الرّضا عليه السلام عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « ما أخلص عبد لله عزّ وجلّ أربعين صباحاً إلاّ جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »[7] .

أمّا في فنّ الفلسفة فكما قال السّبزواري في منظومته :

نظمتْها في الحكمة الّتي سمَتْ   في الذِّكر بالخَيْر الكثير سُمِّيَتْ

أي القرآن المجيد بالخير الكثير سُمِيَّتْ قال تعالى وتبارك :

(١) البحار ١ / ٢١٥ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٢٦٩ .
(٣) البحار ١ / ٢١٥ .
(٤) غرر الحكم ٤٠ ، حرف الألف .
(٥) الأمثال والحِكم المستخرجة من نهج البلاغة : ١٣٨ .
(٦) الأمثال النبويّة ١ / ٣٧٦ ، رقم المثل ٢٣٩ ، حرف الحاء مع الكاف .
(٧) عيون الأخبار ٢ / ٦٨ ، باب ٣١ .

﴿ ومَنْ يُؤْتَ الحكمــة فَقَــد أُوتى خَيْــراً كَثيــراً ﴾ لأنَّ الحكمــة هي الإيمان المشار إليْه بقوله تعالى : ﴿ والمؤمنون كلّ آمَنَ بالله وملائكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُـلِـهِ ﴾ الآية(١) : وهي المعـرفة بقـول الحكماء : الحكمـة صيـرورة الإنسان عـالَماً عقليّاً مضاهيـاً للعالَم العيني ، ولأنَّ الحكمـة كما قالوا : أفضل علم بأفضل معلوم ، أمّا أنّها أفضـل علم فلأنّهـاعلم يقينيّ لا تقليد فيه أصـلاً بخلاف سـائر العلوم ، ولأنّ فضيلة العلم إمّـا بفضيلة موضوعه ، أو بوثاقة دلائله ، أو بشـرافة غـايته والكـلّ حقّ هذا العلم بلا حاجة إلى البيان . . .(٢) .

والسـائـر على الألسن من تعـريف الحكمـة عنـد أهلهـا : هي العلم بحقائق الأشياء بقدر الطّاقة البشريّة .

الحكمة في فنّ الأدب :

أمّـا الحكمـة في علم الأدب فيــراد منهـا مــا يجلب المصلحـة لصـاحبها ، والنّفـع العـامّ فكـلّ كلمـة دالّـة على ذلـك حكمـة ، فـإن سـارت على الألسن فهي مثـل سـائـر أيضـاً على مـا قــال أبـو هــلال العسكري : (جعل كـل حكمة سـائـرة مثـلاً)(٣) ، فإن لم تسـر فحكمـة فقط ، وعليـه فـإنّ الأمثـال كلّهـا حكم ، وإذا جمـع بينهمـا فقيــل : الأمثـال والحكم ، فإنّـه من بـاب ذكـر العـامّ بعـد الخـاصّ ، ومن ثمّ اكتفينا عن ذكر فوائد الحكم بذكر فـوائد التّمثيـل المصرّحـة المتضمّنة لها .

وهنا سؤال :

وهو أنّكم ذكرتم أنّ الحكمـة ما يجلب النّفـع ، وأيّ نفع في مـا

(١) سورة البقرة : الآية / ٢٨٥
(٢) المنظومة في الحكمة ٧ .
(٣) الجمهرة على حاشية مجمع الأمثال ١ / ٥ .

يتمثّل من الأشياء التّافهة ، وما يستقبح ذكره ؟

والجواب :

إنّه لمّا كان المراد بالنّفع النّفع العامّ كما سبق بيانه ، وكان مورد التّمثيل له ما يقتضيه فلا إشكال فيهَ ومنه المثل السائر[1] وغيره من الأمثال .

وقد روى الكليني في مرفوع أبي مريم الأنصاري « أنّ الحسن بن علي عليهما السلام خرج من الحمام فلقيه إنسان فقال : طاب استحمامك فقال : يا لكع وما تصنع بالإست ها هنا[2] ؟ فقال : طاب حميمك ،فقال: أما تعلم أنّ الحميم : العَرَق ؟ قال : فطاب حمّامك قال : وإذا طاب حَمّامي فأيّ شيءٍ لي ؟ ولكن قل : طهر ما طاب منك ، وطاب ما طهر منك »[3] .

فوائد التّمثيل :

وهي كثيرة والمناسب ذكر اليسير منها ونكتفي هنا بنقل كلام لأبي السّعود العمادي والجرجاني ؛ لأنّه اشتمل على نبذة من فوائد التّمثيل جديرة بالنقل .

قال أبو السّعود :

إنّ التّمثيل ليس إلاّ إبراز المعنى المقصود في معرض الأمر

---

(١) مجمع الأمثال ١ / ٢٤٥ ،حرف الخاء ، والمستقصى ١ / ١٠٢ ، رقم المثل ٣٩٤ .

(٢) أي لا مناسبة لحروف الطلب ها هنا بعد الخروج من الحمام مع استهجان لفظ الإست بمعناه الآخر كما في هامش المصدر الآتي .

(٣) فروع الكافي ٦ / ٥٠٠ ، والبحار ٤٤ / ١١١ ، قال فيه : لا يقال : « طاب حمّامك » وإنما يقال طابت حِمّتك . . .

المشهود ، وتحلية المعقول بحلية المحسوس ، وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأنوس ، لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل ، واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفيّة ، وفهم الدّقائق الأبيّة كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه إلى ما لا يرتضيه ؛ ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهيّة ، والكلمات النّبويّة ، وذاعت في عبارات البلغاء ، وإشارات الحكماء .

إنّ التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي ، وقمع سورة الجامح الأبيّ ، كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفيّة ، وإبراز لها في معرض المحسوسات الجليّة ، وإبداء للمنكر في صورة المعروف ، وإظهار الوحشي في هيئة المألوف[1] .

قال الجرجاني

اعلم أنّ ممّا اتّفق العقلاء عليه أن التّمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي بإختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصليّة إلى صورته كساها أبّهة و [أ]كسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشبّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النّفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفاً ، وقسر الطّباع على أن تعطيها محبّة وشغفاً .

فإن كان ذمّاً : كان مسّه أوجع ، وميسمه ألذع ، ووقعه أشدّ ، وحدّه أحدّ .

وإن كان حجاجاً : كان برهانه أنور ، وسلطانه أقهر ، وبيانه أبهر .

---

(١) هامش تفسير الفخر الرازي ١/١٠٧و١٥٣، الطبعة الأولى بالمطبعة الخيرية بمصر ، ١٣٠٧ ، في ثمانية مجلدات .

وإن كان افتخاراً : كان شأوه أبعد ، وشرفه أجدّ[1] ، ولسانه ألدّ .

وإن كان اعتذاراً :كان إلى القبول أقرب ، وللقلوب أخلب ، وللسّخائم أسلّ ، ولغرب الغضب أفلّ ، وفي عقد العقود أنفث ، وحسن الرّجوع أبعث .

وان كان وعظاً : كان أشفى للصّدر ، وأدعى للفكر ، وأبلغ في التّنبيه والزّجر ، وأجدر أن يُجلي الغياية[2] ، ويبصر الغاية ، ويبرىء العلل ، ويشفى الغليل[3] . . .

هذا قليل من كثير ، ولا يسع المقام ذكر أكثر منه .

نهج الكتاب :

قد أشرنا عند تعريف المثل بقسميه السائر ، والقياسي إلى أنّ المعتمد في هذا الكتاب هو التّفسير غير المقتصر على القسمين ، بل الشّامل لكلّ ما فيه نوع من التمثيل كقول الإمام الرّضا عليه السّلام لزكريّا بن آدم الموصوف بالمأمون على الدّين والدنيا[4] حيث أراد الخروج من بلدة ـ قم ـ : « لا تفعل ، فإنّ أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن ـ عليه السلام ـ »[5] .

فإنّ فيه نوعاً من التّمثيل اللّغوي ، ويمكن إدراج مثله في

---

(١) من الجدّ :الحظّ، يقال هو أجدّ منك أي أحظّ ،أو الجدّ : العظمة أي شرفه أعظم . اللسان ٣ / ١٠٧ ـ ١٠٨ .

(٢) بيائين مثناتين : كلّ ما أظلّك من فوق رأسك . هامش أسرار البلاغة ٩٥ .

(٣) أسرار البلاغة ٩٢ ـ ٩٦ .

(٤) معجم رجال الحديث ٧ / ٢٧٢

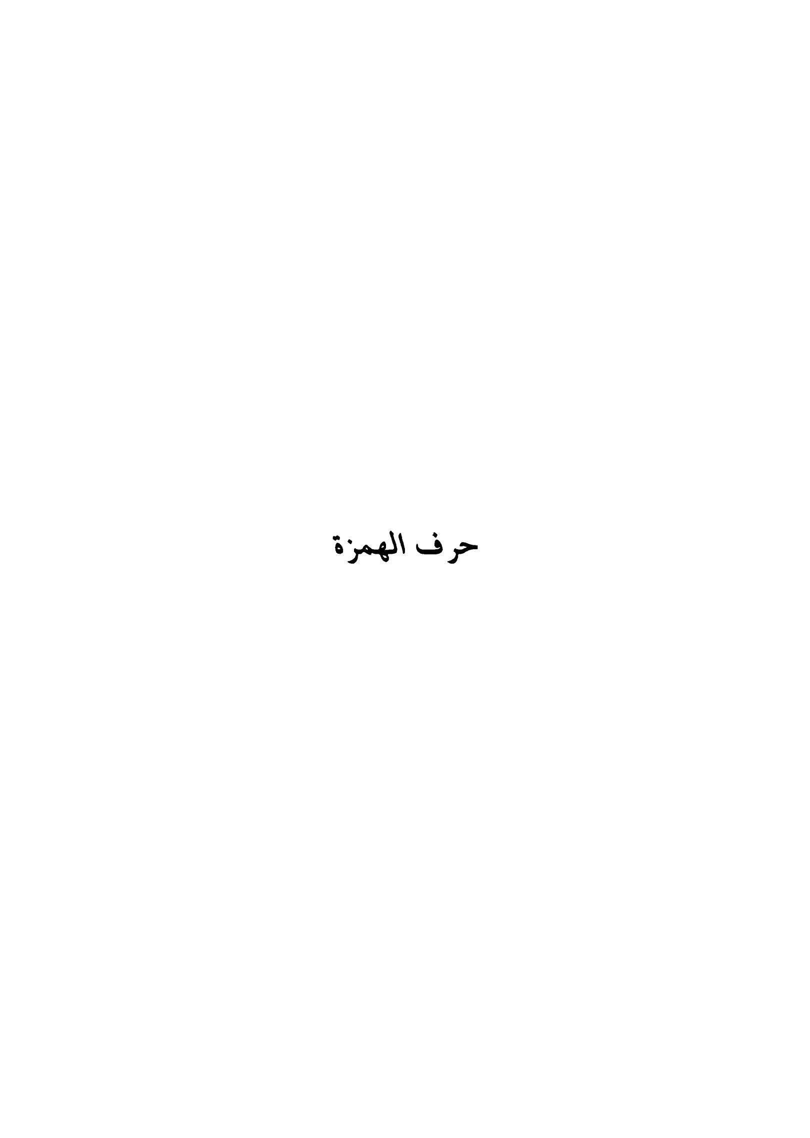
(٥) الاختصاص ٨٧ ، وحرف الهمزة مع النّون المشدّدة .

المثل القياسي فلا ثالث للقسمين يسمّى بالمثل اللّغوي والمقصود من هذا البيان إخراج مثل قولنا : ـ زيد كعمرو ـ من موضوع البحث الجاري الّذي هو من اللّغوي المطلق .

ورتّبنا الكتاب على حسب الحروف الأوّل فالأوّل ، ولا يعتدّ بلام التّعريف إلاّ إذا صار كالجزء من الكلمة مثل « الآن جئت بالنّصفة »[1] . والله عزّ وجلّ هو الموفّق المستعان .

---

(١) عيون الأخبار ١ / ١٢٨ ، وحرف الهمزة مع اللاّم من الكتاب الذي بين يديك .



حرف الهمزة

١ ـ أخبرني عن المرآة أنت كنت فيها أم هي فيك ؟

روى الشّيخ الصّدوق طاب ثراه مناظرة عمران الصّابي في التّوحيد مع الإمام الرّضا عليه السلام نقتصر منها على ما يرتبط بالمثل . قال عمران :

« يا سيّدي أهو في الخلق أم الخلق فيه ؟ قال الرّضا ـ عليه السلام ـ : جلّ هو عن ذلك ليس هو في الخلق ، ولا الخلق فيه تعالى عن ذلك ، وساء علمك ما تعرفه به ، ولا قوة إلا بالله . أخبرني عن المرآة أنت كنت فيها أم هي فيك ؟ فإن كان ليس واحد منكما في صاحبه فبأيّ شيء استدللت بها على نفسك يا عمران ؟ قال : بضوء بيني وبينها ، قال الرضا ـ عليه السلام ـ : هل ترى من ذلك الضوء في المرآة أكثر مما تراه في عينك ؟ قال : نعم ، قال الرضا ـ عليه السلام ـ : فأرناه ، فلم يحر جواباً ، قال ـ عليه السلام ـ : فلا أرى النّور إلّا وقد دلّك ودلّ المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما ، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد

الجاهل فيها مقالاً ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾[١] ، ثم التفت إلى المأمون فقال : قد حضرت الصلاة . . . . »[٢] .

في كلام الرضا عليه السلام الجواب عن نفس السؤال ، والتمثيل بالرؤية في المرآة فها هنا أمران :

الأمر الأوّل :

الجواب عن نفس السؤال ، وأصله كلام أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : « لم يحلل في الأشياء ، فيقال : هو فيها كائن ، ولم ينأ عنها فيقال : هو منها بائن »[٣] . وفي أخرى : « لم يقرب من الأشياء بالتصاق ، ولم يبعد عنها بافتراق »[٤] . وفي أخرى : « مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كلّ شيءٍ لا بمزايلة »[٥] . وفي أخرى : « ليس في الأشياء بوالج ، ولا عنها بخارج »[٦] .

وحاصل الكلّ أنّ كل ما يلزم منه التحيّز سواء أكان بحلول الباري جلّ جلاله في الشيء أو بالالتصاق به أو بالمقارنة أو بالولوج وهو الدّخول أو كان على الضد من ذلك من البينونة والافتراق والمزايلة والخروج ، هو محال للزوم التحديد المنفيّ عنه تعالى ؛ لأنه الغنى كلّه والقدرة كلها ، والتحيّز عارض للجسم لا ينفكّ عنه ولا عن

---

(١) سورة النحل : الآية / ٦٠ .
(٢) عيون الأخبار ١ / ١٣٩ ، التوحيد ٤٣٤ .
(٣) النهج ٥ / ١٥٣ ، الخطبة ٦٤ .
(٤) النهج ٩ / ٢٥٢ ، الخطبة ١٦٤ .
(٥) النهج ١ / ٧٨ ، الخطبة ١ .
(٦) النهج ١٣ / ٨٢ ، الخطبة ٢٣٢ .

لازمه وهو الافتقار ، والكلام مصوغ لبيان القيّوميّة والإحاطة المطلقة فإنّ ،سمي عن هذه الجهات المتضادة نفي لها بجهاتها المحدودة ومعانيها المسلزمة للتحيّز والتحديد، ولازم هذا النفي الإثبات المطلق غير المحدود .

ولابن أبي الحديد كلام يشرح به ما سبق قال :

وأمّا قوله : « مع كلّ شيء لا بمقارنة » فمراده بذلك أنّه يعلم الجزئيّات والكليّات كما قال سبحانه : ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة لّا هو رابعهم** ﴾[1] . وأما قوله : « وغير كلّ شيءٍ لا بمزايلة » نحقّ ، لأنّ الغيرين في الشاهد هما ما زايل أحدهما الآخر وباينه بمكان أو زمان ، والباري سبحانه يباين الموجودات مباينة منزّهة عن المكان والزّمان[2] . وقوله : « لم يقرب من الأشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق » ؛ لأنّ هذه الأمور كلّها من خصائص الأجسام وواجب الوجود لا يشبه الأجسام ولا يماثلها[3] .

وأمّا قوله : « لم يحلل في الأشياء فيقال : « لا هو فيها كائن ولا منها بائن » ، فينبغي أن يحمل على أنّه أراد أنّه لم ينأ عن الأشياء نائياً مكانيّاً فيقال : هو بائن بالمكان ، هكذا ينبغي أن يكون مراده ؛ لأنّه لا يجوز إطلاق القول بأنّه ليس يباين عن الأشياء ؛ وكيف والمجرّد بالضرورة بائن عن ذي الوضع ؛ ولكنّها بينونة بالذات لا بالجهة ، والمسلمون كلّهم متفقون على أنّه تعالى يستحيل أن يحلّ في شيء إلّا من اعتزى إلى الإسلام من الحلوليّة كالذّين قالوا بحلوله في أشخاص يعتقدون فيها إظهاره كالحلّاجية وغيرهم والدّليل على

---

(١) سورة المجادلة : الآية / ٧ .

(٢) شرح النهج ١ / ٧٩ .

(٣) شرح النهج ٩ / ٢٥٤

استحالة حلوله سبحانه في الأجسام ؛ أنّه لو صح أن يحل فيها لم يعقل منفرداً بنفسه أبداً ، كما أن السواد لا يعقل كونه غير حالّ في الجسم ؛ لأنه لو يعقل غير حالٍ في الجسم لم يكن سواداً ولا يجوز أن يكون الله تعالى حالّاً أبداً ؛ ولا أن يلاقي الجسم ، إذ ذلك يستلزم قدم الأجسام وقد ثبت أنها حادثة[1] .

وقد عرفت دليل النّفي عنه تعالى من تلك الأوصاف لزوم التحييز والتحديد المنفيين عن الباري عزّ وجلّ وقال أيضاً عند شرح قوله عليه السلام : « ليس في الأشياء بوالج ، ولا عنها بخارج » :

هذا مذهب الموحدّين ، والخلاف فيه مع الكراميّة والمجسّمة ، وينبغي أن يفهم قوله عليه السلام : « ولا عنها بخارج » أنه لا يريد سلب الولوج ، فيكون قد خلا من النقيضين ؛ لأن ذلك محال ، بل المراد بكونه ليس خارجاً عنها أنه ليس كما يعتقده كثير من الناس ؛ أنّ الفلك الأعلى المحيط لا يحتوي عليه ؛ ولكنّه ذات موجودة متميّزة بنفسها قائمة بذاتها خارجة عن الفلك في الجهة العليا بينها وبين الفلك بعدٌ إما غير متناهٍ ـ على ما يحكى عن ابن الهيضم ـ أو متناهٍ على ما يذهب إليه أصحابه ؛ وذلك أن هذه القضية وهي قولنا : الباري خارج عن الموجودات كلها على هذا التفسير ليست مناقضة للقضية الأولى وهي قولنا : الباري داخل العالم ، ليكون القول بخلوه عنهما قولاً بخلوه عن النقيضين ألا ترى أنه يجوز أن تكون القضيتان كاذبتين معاً بألا يكون الفلك المحيط محتوياً عليه ، ولا يكون حاصلاً في جهة خارج الفلك ، ولو كانت

---

(١) شرح النهج ٥ / ١٦٤ .

أقول : التصحيح وأما قوله : « لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن ، ولم ينأ عنها فيقال هو عنها بائن » والنسخة مغلوطة فراجع المصدر .

القضيتـان متناقضتين لمـا استقام ذلـك ، وهـذا كمـا تقـول : [ليس] زيـد في الدار و [ليس] زيـد في المسجد ، فـإن هـاتين القضيتين ، ليستـا متناقضتين لجـواز أن لا يكـون زيـد في الـدار ، ولا في المسجد فـإنّ هـاتين لـو تنـاقضتـا لاستحـال الخـروج عن النقيضين لكـن المتناقض : « زيد في الدار ، زيد ليس في الـدار » ، والذي يستشنعه العـوامّ من قولنـا : « الباري لا داخـل العالم ولا خـارج العـالم » غلط مبنيّ على اعتقادهم وتصوّرهم أنّ القضيتين تتناقضان.

وإذا فهم مـا ذكرنـاه ، بان أنّـه ليس هذا القـول بشنيع ؛ بـل هو سهـل وحقٌّ أيضاً ؛ فـإنه تعـالى لا متحيّـز ولا حـالّ في المتحيز ، ومـا كان كذلـك استحال أن يحصـل في جهة ؛ لا داخـل العالم ولا خـارج العالم وقد ثبت كونه غير متحيّز ولا حـالّ في المتحيّز ، من حيث كـان واجب الـوجود ، فـإذن القول بأنه« ليس في الأشيـاء بوالـج ولا عنهـا بخارج » صواب وحقّ[1] . .

سبق القـول بأن الكـلام العلويّ وهكذا الـرّضـوي مصـوغ لبيـان الإحـاطـة المـطلقـة التي لا يمكن أن يكـون تعـالى متجهـاً بجهـة من داخـل الأشياء أو خـارجها وليس نفي الجـهـتين يلزمه التناقض؛ إذ هـو سبحانه لم يحـدد بحدّ من الحـدود حتى إذا نفي حدّ منهـا لزمـه الحدّ الآخـر ومن ثم قلنـا إن تقسيم الـوجـود إلى واجب الـوجـود وممكن الـوجود ومستحيـل الوجـود غيـر مستقيم ؛لأنه سبحـانه خـارج عن أي تقسيم كمـا هو خارج عن العدد بمالـه من معنى ، وقلنـا إنّ الله واحـدٌ أحدٌ،لا على وجه مذكـورفي تقسيم الوجـود والتوجيـه من حيث المفهوم لا المصـداق ، مـردود أيضاً، تعـرّضنـا إلى السؤال والجـواب في كتابنا « الأمثال النبويـة » عند المثـل : « لأن أدخل يـدي في فم التنّين

---

(١) شرح النهج ١٣ / ٨٣ ـ ٨٤ .

أحِبّ إليّ من أن أسأل مـنْ لم يكن ثم كـان »[1] . هـذا أي : « من لم يكن ثم كان » تمام الحديث النبوي [2] .

الأمر الثاني :

التمثيل بالرؤية في المرآة هو المقصود في المقام وأمّا الأمر الأول المتقدم الذكر فإنما ذكرناه لكونه الأهم ولأنه الممثل المضروب من أجله المثل بالمرآة فكلاهما حريّ بالبحث لشدّة الربط بينهما فافهم إن شاء الله تعالى .

فنقول تمهيداً لفهم المثل العجيب :

اختلفت الأنظار في حقيقة الإبصار إلى سبعة أقوال ذكرها السبزواري في حكمته قال :

قد قيل الإبصار بالانطباع — وقيل بالخارج من شعاع
مضطرب الآخر أو مخروطي — مصمتٍ أو ألّف من خطوط
لدى الجليدية رأسه ثبت — قاعدة منه على المرئي حوت
تكيّف المشفّ باستحالة — بكيف ضوء العين بعض قاله
وبانتساب النفس والإشراق — منها لخارج لدى الإشراقي
وصدر الآرا هو رأي الصدر — فهو يجعل النّفس رأياً يدري
للعضو إعداد افاضة الصور — قامت قياماً عنه كالذي استقر[3]

هذه الأبيات مع شرح قائلها تُقرّر الأقوال السبعة ، ولسنا بصدد سردها وتقريرها سوى الإشارة إليها .

---

(١) ج ٢ / ٨٣ ، رقم المثل ٤٠٣ ، حرف اللام مع الهمزة ، والحديث في الوسائل ٦ / ٣٠٨ .
(٢) المصدر .
(٣) المنظومة ٢٨٨ ـ ٢٩٠ .

قالوا : العين مركبة من عشرة أجزاء وهي سبع طبقات وثلاث رطوبات :

١ ـ الطبقة الصلبية ، ٢ ـ المشيمية ، ٣ ـ المشكيّة ، ٤ ـ الرطوبة الزجاجية ، ٥ ـ الرطوبة الجليدية ، ٦ ـ الطبقة العنكبوتية ، ٧ ـ الرطوبة البيضية ، ٨ ـ الطبقة العنبيّة ، ٩ ـ القرضية ، ١٠ ـ الملتحمة[(١)] .

وإنما ذكرت الأجزاء ليعلم تفسير « الجليدية » التي هي كالبرد والمرآة القابلة لانعكاس الصور فيها .

وهل الإبصار انطباع صورة المرئي في البصر أو بشعاع خارج من البصر إلى المبصر أو بالحادث من الشعاع ؟ وهل الشّعاع خيط واحد أو متعدد ، مستقيم أو مخروط أو أن الإبصار بالهواء المشف وتكيفه بين الرائي والمرئي يصير آلة للإبصار ؟

والعمدة قولان آخران :

الأول : أن الإبصار إنما هو نور النَّفس وإشراقها .

---

(١) هكذا في درر الفوائد ٢ / ٣١١ ـ ٣١٢ . في الأصل القرضية والصحيح القرنية قال فيه مؤلفه الشيخ الآملي قد جمعها للشاعر الفارسي :

كرد آفريد گار تعالى بفضل خويش
حشمت بهفت يرده وسه آب منقسم
صلب ومشيمه وشبكه زجاج آنكهي جليد
يس عنكبوت وبيض وعنب قرن ملتحم

وحاصله: أنّ المرئيّ يُبصر بنور النّفس الواقع منها عليه من غير انطباع ولا شعاع بل بمقابلة المستنير مع العضو الباصر الّذي فيه رطوبة مرآتيّة وبتحقّق سائر الشّرائط المعتبرة في الإبصار وفقد الموانع يقع للنّفس علم حضوريّ على المُبصر فتدركه بالمشاهدة[1] .

والقول الآخر : هو مختار السّبزواري أشار إليه بقوله :

وصدر الآرا هو رأي الصّدر فهو بجعل النّفس رأياً يدري
للعضو إعداد إفاضة الصّور قامت قياماً عنه كالّذي استقرّ[2]

وحاصله أنّ الإبصار عند تحقّق الشّرائط هو إنشاء النّفس صورة مماثلة للمرئيّ تكون مجردة عن المادة الخارجيّة[3] المعبّر عنه في الشّعر بجعل النّفس ويريد من قوله :

* وصدر الآرا هو رأي الصدر *

أي: أنّ أحسن الأقوال قول الملاّ صدر الدين الشّيرازي الذي يرى هذا الرأي .

والذي نراه أنّ الإبصار كالنّطق والسّمع وسائر القوى والحواس كلّها من شؤون النّفس ما دامت في الجسد من الإنسان الحيّ وإذا فارقت روحه الجسد بطل مفعولها فيه في هذه الحياة وما ذهب إليه التّابع والمتبوع وكذا باقي الأقوال لا يساعدها العيان فالآراء إلاّ قول السهروردي مع إيضاح ممنوعة .

---

(١) درر الفوائد ٢ / ٣١٢ .
(٢) القيام عن النّفس الصّدري كالمعلول عن العلّة لا الحلولي المعبّر عنه بالقيام فيها درر الفوائد ٢ / ٣١٣ .
(٣) المصدر .

إذا تمهد ذلك فنقول :

لماذا اختار الرّضا عليه السلام هذا المثل العجيب ؟

الجواب لكونه مرئيّاً للجميع إذا امتنع السّؤال فيه امتنع في غيره والمثل بالرّؤ ية بين في المرآة ردّ على كلّ من قال بالحلول أو الكثرة في الوحدة ، والوحدة في الكثرة وغيرها من الأقوال الفاسدة . ثمّ هل النّور الّدالّ على صورة النّاظر في المرآة وعلى وجود المرآة كما قال عليه السلام :« فلا أرى النّور إلاّ وقد دلّك ،ودلّ المرآة على أنفسكما من غير أن يكون في واحد منكما » نور النّفس الّذي هو الإبصار على المسلك المختار أو شيء آخر من الضّوء المتموّج في الهواء الشفّاف المعبّر عنه بالمشفّ في الشّعر .

والحقّ أن نور الإله في العالم ومنه هذا النّور ، يزيد قول الإشراق ثبوتاً وإذا كانت النّفس مؤمنة بالله عزّ وجلّ فإنّ نورها الإبصاري يكون أقوى من الأنفس غير المؤمنة لأنّ الإيمان يسلك بصاحبه سبيل الحقيقة فتنجلي عنه غياهب الأوهام حتّى أنّ تفرّس المؤمن مصحوب بنور الله كما في الحديث النبوي [1] والمؤمن يتقلب في أنوار خمسة على ما في العلويّ :

« والمؤمن يتقلب في خمسة من النور: مدخله نور ، ومخرجه نوره وعلمه نور وكلامه نور ومنظره يوم القيامة إلى النور » [2] .

وهل الأمثال الكثيرة المذكورة في الرّضوي هي الأشياء الشّفّافة أو الأعم منها ؟ الظاهر هو الثاني .

---

(١) الوسائل ٨ / ٤٢٤ ، والأمثال النبويّة ١ / ٤٩ ، رقم المثل ٢٥ .
(٢) الخصال ١ / ٢٧٧ .

٢ ـ اخسأ عنّا وعنهم الشّيطان

روى الصّدوق نسخة وصيّة موسى بن جعفر عليهما السلام المطوّلة التي نصّ فيها على إمامة الإمام الرّضا عليه السلام وخلافته من بعده وقد عارضه العبّاس بن موسى عليه السلام الّذي هو أحد الشهود المذكورين في الوصيّة قال[1] : قال عبد الله بن محمد الجعفري ـ بعد الوصيّة الّتي لم نذكرها هنا ـ :

« قال العبّاس بن موسى عليه السلام لابن عمران القاضي الطلحي : إنّ أسفل هذا الكتاب كنزاً لنا وجوهراً يريد أن يحتجزه دوننا ولم يدع أبونا شيئاً إلاّ جعله له[2] وتركنا عالةً ، فوثب إليه إبراهيم بن محمد الجعفري فأسمعه ووثب عليه إسحاق بن جعفر عمّه ففعل به مثل ذلك .

فقال العباس للقاضي : أصلحك الله فضّ الخاتم واقرأ ما تحته ،فقال لا أفضّه لأن يلعنني أبوك ، فقال العبّاس : أنا أفضّه ، قال : ذلك إليك ، ففضّ العباس الخاتم فإذا فيه إخراجهم من الوصيّة وإقرار عليّ ـ عليه السلام ـ فيها وحده ،وإدخاله إيّاهم في ولاية عليّ إن

(١) الشيخ الصدّوق .

(٢) أي الإمام الرّضا عليه السّلام .

أحبّوا أو كرهوا وصاروا كالأيتام في حجره، وأخرجهم من حدّ الصدقة وذكرها.

ثم التفت علي بن موسى ـ عليهما السلام ـ إلى العباس فقال.
يا أخي إنّي لأعلم أنّه إنّما حملكم على هذه، الغُرم والدّيون الّتي عليكم فانطلق يا سعد فعيّن لي ما عليهم واقض عنهم واقبض ذكر حقوقهم، وخذلهم البراءة فلا والله لا أدع مواساتكم وبرّكم ما أصبحت وأمشي على وجه الأرض فقولوا ما شئتم.

فقال العبّاس: ما تعطينا إلاّ من فضول أموالنا، وما لنا عندك أكثر، فقال ـ عليه السلام ـ: قولوا ما شئتم فالعرض عرضكم، اللّهمّ أصلحهم وأصلح بهم، وأخسأ عنّا وعنهم الشّيطان وأعنهم على طاعتك والله على ما أقول وكيل

قال العبّاس: ما أعرفني الله بلسانك، وليس لمسحاتك عندي طين. ثمّ إنّ القوم افترقوا »[1].

إن صحّ خبر الصّدوق فالعبّاس بن موسى عليه السلام منصرف لمعارضته لإمامه الرّضا عليه السلام.

قال الأستاذ الخوئي:

عارض أخاه علي بن موسى بن جعفر عليهم السلام في وصيّة أبيه، وشكا إلى القاضي أبي عمران الطّلحي[2] وخالف أباه في وصيّته وفضّ الخاتم مع أنّ موسى بن جعفر عليهما السلام لعن مَنْ

---

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ٣٩ ـ ٣٠.

(٢) وهو قاضي المدينة كما في نسخة الكليني. الكافي ١ / ٣١٧.
وقد ذكرنا المعارضة عند المثل: « إن كان شرّاً فشرّاً، وإن كان خيراً فخيراً » حرف الهمزة مع النّون وللرضا عليه السلام نظير المثل أيضاً: « إن خيراً فخيرٌ، وإن شرّاً فشرّ ». حرف الهمزة مع النّون.

فضّه ، الكافي : الجزء ١ ، باب الإشارة والنّصّ على أبي الحسن الرّضا عليه السلام ٧٢ ، الحديث ١٥ والعيون الباب ٥ ، الحديث ١[١]

وهو دام ظلّه توقّف في انحراف الرّجل لضعف الروايتين عنده .

أقول ضعفهما ممنوع وبيانه موكول إلى موضعه ، وموجزه أنّ طريق الصّدوق لهذه الرّواية معتبرة عندنا وإن كان الدوران في الأخذ بإحدى النّسختين عند اختلافهما كما في المقام الترجيح مع نسخة الكافي إلاّ أنّ ذلك بعد اعتبار الطريقين فتدبّر جيّداً ، مع أنهما بناءً على اعتبار وثاقة الرّواية لا وثاقة الّراوي فحسب كلتاهما معتبرتان عندنا .

ثمّ الكلام على تقدير اعتبار الرّواية حول كلمة : « اخسأ عنّا وعنهم الشّيطان » وإن لم تكن مثلاً أو لم يرسلها الإمام الّرضا عليه السلام كذلك ولكنّها من التّمثيل والتّشبيه بالكلب لأنّها تقال عليه عند إبعاده وطرده وقد جاءت الكلمة في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام نقله ابن طاووس : « واخسأ شيطاني »[٢] وفي القرآن الكريم في زجر أهل النّار : ﴿ **قال اخسؤوا فيها ولا تكلّمون** ﴾[٣] .

قال الفيض ، اسكتوا سكوت هوان فإنّها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب . إذا زجرته فانزجر[٤] .

قال ابن منظور :

الخاسيء من الكلاب والخنازير والشّياطين : البعيد الّذي لا يترك

---

(١) معجم رجال الحديث ٩ / ٢٤٦ .

(٢) الإقبال ٣٤٢ ، في هامشه خسأت الكلب خسأ : طردته .

(٣) سورة المؤمنون : الآية / ١٠٨ .

(٤) تفسير الصّافي ٢ / ١٥٠ .

أن يدنو من الإنسان . والخاسىءُ : المطرود . وخسأ الكلب يخسؤه خسأً وخسوءً فخسأ وانخسأ : طرده قال :

* كالكلب إن قيل له اخسأ انخسأ *

وفي الحديث : فخسأت الكلب أي طردته أبعدته . . ويكون الخاسىء بمعنى الصاغر القميء ويقال واخسأ عني .

وقال الزجّاج في قوله عزّ وجل : ﴿ **قال اخسؤا فيها ولا تكلّمون** ﴾[1]: معناه تباعد سخط . وقال الله تعالى لليهود ﴿ **كونوا قردة خاسئين** ﴾[2] . أي مدحورين . وقال الزجاج : مبعدين . . وخسأ بصره . . إذا سدرو كلّ وأعيا .

وفي التنزيل : « ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير »[3][4] .

إذا بان معنى الكلمة تجلّى المراد من الدّعاء أي يا رب ادحر الشّيطان عنّي وعن العبّاس المدّعي ما لا حقّ له فإن ذلك من عمل الشّيطان أن يجعل الإنسان يدّعي ما ليس له ، وأمّا عنه عليه السلام فهو مجرّد دعاء أو دعاء للاستمرار لأنّه معصوم حتى عن وسوسة الشيطان على مذهب الشيعة والبحث مشبع في موضعه المتاح .

وأما قول العباس : و (ليس لمسحاتك عندي طين) فهو من الأمثال السائرة جمعها الماحي أي المجرفة من الحديد[5] .

---

(١) سورة المؤمنون : الآية / ١٠٨ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٦٥ .
(٣) سورة الملك : الآية / ٤ .
(٤) اللّسان ١ / ٦٥ في (خسأ)
(٥) النهاية ٤ / ٣٢٨ ، في (مسح) . وفيه الميم زائدة ، لأنه من السّحو الكشف والإزالة . والمثل مشهور على الألسن .

٣ ـ أدنى ما يخرج به الرّجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة

روى الصّدوق حديثاً مطوّلاً بسنده إلى إبراهيم بن أبي محمود عن الرّضا عليه السلام إلى أن قال فيه :

«يا بن أبي محمود إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام : أحدها الغلو[1] ، وثانيها التّقصير في أمرنا ، وثالثها التّصريح بمثالب أعدائنا . فإذا سمع النّاس الغلو فينا كفرّوا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيّتنا ، وإذا سمعوا التّقصير اعتقدوه فينا ، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسماءنا وقد قال الله عزّ وجلّ : **﴿ ولا تسبّوا الّذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم ﴾**[2] .

يا بن أبي محمود إذا أخذ النّاس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا فإنّه من لَزِمَنَا لَزمناه ومن فارقَنا فارَقْناه ؛ إنّ أدنى ما يخرج به الرّجل من الإيمان أن يقول للحصاة : هذه نواة ثم يدين بذلك ويبرء ممّن خالفه يا بن أبي محمود احفظ ما حدّثتك به فقد جمعت لك خير الدّنيا والآخرة »[3] .

---

(١) ما يشمّ منه الرّبوبيّة .

(٢) سورة الأنعام : الاية / ١٠٨ .

(٣) عيه ، أخبار الرّضا ١ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

اشتمل صدر الحديث على فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لم نذكرها للاختصار فعليك بها ثمّ استرسل فيه لجواب ما أراده ابن أبي محمود من طوائف الأخبار الثلاث المتداولة بين النّاس بما نقلناه عنه عليه السلام آنفاً ثم أمره بلزوم طريقة أهل البيت عليهم السلام إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً لأنّ اليمين والشّمال مضلّة كما في المثل العلوي[1] .

ثمّ تعرّض عليه السلام لأسباب خروج الرّجل من الإيمان بمثل ضَرَبَه لتوضيح ذلك من الإعتقاد بالحصاة أنّها نواة كذباً أو تضليلاً ويريد عليه السلام به المهرجين المغوين الذين يغوون الناس بإشاعة الباطل وما لا واقع له بين التسذج منهم الفاقدين المقاييس العقلية ولا يملكونها بل هم إمّعة يقولون نحن مع الناس يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم فعاضدت الإمعة مع أولئك المغوين حتى شاع الباطل لولا هؤلاء لما ضلّ أولئك ولكنّهم قالوا قولا وقبلوه من غير برهان من الله ورسوله وكتاب وسنّة ولئن جاءوا بهما أو أحدهما اتّبعوا ما تشابه منهما ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلهما لأن في قلوبهم الزّيغ ويدعون التّمسّك بسادة الأنام الذين لو ثنّيت لهم الوسادة لعمّت السعادة وازدهرت الأيام وهل الأمة قد أخذت بحجزة الأئمة فذادتها الذادة كما تذاد الإبل الصادية عن الماء أم ضربت بجرانها فقادتها القادة كما تقود الوليدة البعير المخطوم أم استيقنت أنّها الحق فطفقت تنشده عن نظائر وأمثال ؟! أزمةٌ معقّدة لا يحلها لسّؤال حتى يقوم المهدي هادياً فينصر الحق وأهله ، ويظهر دين الله الخالص إن شاء الله تعالى .

---

(١) حرف الياء مع الميم من الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة ، وحرف الياء مع الميم أيضاً من الأمثال والحكم العلويّة مخطوط .

٤ ـ إذا أحسن استبشر ، وإذا أساء استغفر

روى الصّدوق بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود قال : قال الرّضا ـ عليه السلام ـ : « المؤمن إذا أحسن استبشر ، وإذا أساء استغفر ، والمسلم : الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ، وليس منّا من لم يأمن جاره بوائقه »(١) .

« المؤمن » من أسماء الله عزّ وجلّ قال تعالى اسمه : **﴿هو الله الّذي لا إله إلا هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر . . . ﴾**(٢) . سمّاه بإسمه تعالى تشريفاً له ، وأنّ المؤمن له تفسيران : التصديق القلبي والاعتقاد المعقود عليه ، وهذا لا يجوز عليه عزّ وجلّ نعم من أسمائه المباركة « المصدّق » أي يعلم صدق المعصوم أو القرآن أو أي شيء كان موضع تصديقه جل جلاله .

والتفسير الآخر إعطاء الأمن والأمان ومنه المؤمن في الآية لاشتقاقه من الأمن كما عن علي بن إبراهيم القمي في تفسيره قال: يؤمن أولياءه من العذاب(٣) .

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٢٣

(٢) سورة الحشر : الآية / ٢٣ .

(٣) تفسير القمي ٢ ٣٦٠ .

وقال الفيض الكاشاني « المؤمن » : واهب الأمن[1] . وقد جاء اسم الله المؤمن في دعاء الجوشن الكبير : « اللهم انّي اسألك باسمك يا مؤمن يا مهيمن . . . »[2] والمراد به أمّا التّصديق ، أو واهب الأمن وكلاهما جائز .

ولا مانع في انطباق التفسيرين على المخلوق لجواز الاعتقاد القلبي وإعطاء الأمان منه لمثله بمعناه الممكن وقد ندب إلى التّخلّق بأخلاق الله عزّ وجلّ الّتي منها إعطاء الأمن لمن يجدر بذلك .

وإذا دريت ما ذكر فلنعد الى الحديث الرّضوي : وقد اشتمل على وصف المؤمن والمسلم وهل هما من الخاصّ والعام ؟ .

روى الكليني بإسناده المعتبر إلى الصادق عليه السلام قال : « الإيمان يشارك الإسلام ، والإسلام له يشارك الإيمان »[3] .

وفي الصّادقي الآخر : « . . . الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله والتّصديق برسول الله صلى الله عليه وآله به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة النّاس ، والإيمان : الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به ، والأرفع من الإسلام بدرجة ؛ إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر ، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصّفة »[4] .

---

(١) تفسير الصّافي ٢ / ٦٨٧ .
(٢) البحار ٩٤ / ٣٨٦ .
(٣) أصول الكافي ٢ / ٢٥ .
(٤) المصدر .
وقد جاء في أحاديثهم حدّ الايمان منها النّبويّ رواه الصدوق عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : =

دلّ الحديثان على أنّ الإيمـان أخصّ من الإسـلام وأرفـع منـه درجـة وحـديث البـاقـر عليـه السـلام صـريـح في ذلـك قـال : « . . وسـأضرب لـك مثلاً تعقـل بـه فضـل الإيمـان على الإسـلام ، أرأيت لـو أبصـرت رجـلاً في المسجـد أكنت تشهـد أنّـك رأيتـه في الكعبـة ؟ قلت : لا يجـوز لي ذلـك ، قـال : فلو بصـرت رجـلاً في الكعبة أكنت شاهداً أنه قد دخل المسجـد الحرام ؟ قلت : نعم ، قـال كيف ذلـك ؟ قلت : إنّـه لا يصـل إلى دخـول الكعبـة حتّى يـدخـل المسجـد ، فقال : قـد أصبت وأحسنت ، ثمّ قـال : كـذلـك الإيمـان والإسلام »[1] .

ذكـرنا الأحـاديث الثلاثـة وقس عليها مـا سواهـا ممّـا تنصّ على الفرق بينهما ولسنا بصدد بيان ذلك كلّه .

قوله عليـه السلام : « إذا أحسن استبشـر . . . » الاستبشار عنـد الإحسـان والاستغفار عنـد الإساءة من كـرائم الخصال ومعنى استبشـار المؤمن عنـد الإحسـان شكـره على أداء الحقّ وانّـه وفّق لـذلـك وليس معناه العجب والفرح والـطّيش الممقوت بـل انشراحـه بقيامـة وجريـان ذلك على يده ، وأمّا الاستغفار عند الإساءة فـدليل على رقـة قلبه ولـه نفس لوّامة تلومه على إساءته فيندم وعلامة النّدامة جبـر ما فات منه ؛ إذ الاستغفـار وحده لا يجـدي ما لم تبـرز ظاهـرة صدقـه وهي تـدارك مـا فات منه .

قوله عليه السلام : « والمسلم : الذي يسلم المسلمون من لسـانه

= « الإيمان إقرار باللسان ومعرفة بالقلب وعمل بـالأركان » عيـون أخبار الـرضا ٢ / ٢٧ ، بـاب ٣١ . (فيمـا جـاء عن الـرّضـا عليـه السّـلام من الأخبـار المجموعة) . وبه وبما ذكر في المتن الكفاية .

(١) اصول الكافي ٢ / ٢٧ وهو حديث مطوّل .

ويده » .

لا بـدّ إن صـدق إسـلامـه من ظـاهـرة تـدلّ على صحّتـه وتلك الظّاهرة تبرز في منطقه وسائـر أعضائـه وجوارحـه وأن يأمن النّـاس من آفـات لسانـه وشروره الّتي هي اكثـر من سائـر الأعضاء ومن هنا جاء في العلويّ : « مـا من شيء أحقّ بـطول السجن من اللسـان »[١] . وهـو من الأمثـال السائـرة ذكـره الـزّمخشـري[٢] والميـداني بلفظ « مـا على الأرض شيء أحقّ بطول سجن من لسان »[٣] .

قال ابن السّكّيت يعقوب بن إسحاق الشّيعيّ :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه　　وليس يصاب المرء من عثرة الرِّجل
وعثرته في القول تذهب رأسه　　وعثرته في الرِّجل تبرء عن مهل

قيل : ومن الغريب أنه وقع فيما حذّره من عثـرات اللّسان بقـوله المتقّـدم أنّ المتوكّـل قال لـه يومـاً أيّمـا أحبّ إليـك ابنـاي هـذان أي المعتزّ والمؤيّد أم الحسن والحسين ؟ فقـال ابن السكّيت والله إنّ قنبراً خادم عـلي بن أبي طالب عليـه السلام خيـر منك ومن ابنيـك ، فقال لـلأتـراك ، سلّوا لسانـه من قفـاه ففعلوا فمـات في خـامس شهـر رجب سنة ٢٤٤[٤] . ولكن جاء « لا خير في الصمت عن الحكم كما أنّه لا خير في القول بالجهل »[٥] .

---

(١) الخصال ١ /١٥، باب الواحد ، الوسائل ٨ / ٥٣ .
(٢) المستقصى ٢ / ٣٢٤ . وفيه (من لسان) .
(٣) مجمع الأمثال ٢ / ٢٦٠ ـ ٢٦١ ، حرف الميم .
(٤) السّفينة ١ / ٦٣٦ في (سكت) .
(٥) الوسائل ٨ / ٥٣١ .

ولا يخفى أنّ في آخر جديث الـرّضا عليـه السّلام : « وليس منّـا من لم يأمن جاره بوائقـه » قد تكلّمنـا عنه عنـد « الجار ثمّ الـدّار » المثل السائر، والمثـل النّبـويّ ذكـرنـاه في الأمثـال النّبـويّـة ١ / ٣٣٦ ، رقم المثل ٢١٧ ، حـرف الجيم مع الألف ، و « الأمثال والحكم العلويّة » مخطوط .

٥ ـ إذا كان النّاس كلّهم عبيدنا على ما حكوه عنّا فممّن نبيعهم ؟

روى الصدوق بإسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي ـ في حديث :

« قال أبو الصّلت فقلت له : يا ابن رسول الله ما شيءٌ يحكيه عنكم النّاس ؟ قال : وما هو ؟ قلت يقولون : إنّكم تدّعون أنّ النّاس لكم عبيد ، فقال : اللّهمّ فاطر السّماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت شاهد بأنّي لم أقل ذلك قطّ ولا سمعت أحداً من آبائي ـ عليهم السلام ـ قاله قطّ وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمّة وإن هذه منها .

ثم أقبل عليّ فقال : بلى يا عبد السلام إذا كان النّاس كلهم عبيدنا على ما حكوه عنّا فممن نبيعهم ؟ قلت : يا ابن رسول الله صدقت ، ثم قال : يا عبد السّلام أمنكر أنت لما أوجب الله تعالى لنا من الولاية كما ينكره غيرك ؟ قلت : معاذ الله بل أنا مقرّ بولايتكم »[1]

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٨٢ ، البحار ٤٩ / ١٧٠ ـ ١٧١

لـو عقلوا ولايـة أهــل البيت عليهم السـلام ومـدى أثـرهــا في الأكـوان التي تعمّ النـاس الأوّلين والآخـرين إلى آخـر الـدّنيـا لمـا تحاسروا عليهم ، ولمـا شكا الإمام إلى الله عزّ وجـلّ ممّا نسبـوه إليـه بـأنّ الناس عبيـد آل محمد عليهم السـلام أي مخلوق لهم وهـذا كفـر ظـاهر إذ لا خـالق إلا الله عزّ وجـل أو عبيـد لهم بسلب الحـريّـة منهم فإذا كانـوا كذلـك فلم يبق إنسانٌ حـرٌّ يصحّ بيعهم منـه إذ الفرض كـلّ النّـاس عبيـد لا أحـرار ومن شـروط صحّـة البيـع الحـريّـة والملك المفقـودتان من العبيـد وليس كـلام الـرّضـا عليـه السـلام هـذا ابـطالاً لكلام جدّه أمير المؤمنين عليه السـلام : « فإنّـا صنائـع ربّنا ، والنّـاس بعدُ صنائع لنا »[1] . ولا الصّادر عن النّاحية المقدّسة : « نحن صنائـع ربّنـا ، والخلق بعد صنائعنا »[2] ؛ لعـدم المنافـاة بين الأمـرين قـال ابن أبي الحديد :

هــذا كـلام عـظيم عــالٍ على الكــلام ، ومعنــاه عــالٍ على المعاني ، وصنيعة الملك من يصـطنعه الملك ويـرفع قـدره . يقول : ليس لأحد من البشر علينا نعمة ، بـل الله تعالى هـوالّذي أنعم علينـا ، فليس بيننا وبينه واسطة والنّاس بأسرهم صنـائعنا فنحن الـواسطة بينهم وبين الله تعـالى ، وهذا مقـام جليل ظـاهره مـا سمعت ، وباطنـه أنّهم عبيد الله ، وأنّ الناس عبيدهم[3] .

وإنّما أراد الحديث العلويّ والمهـدويّ بيان بعض مـا للولاية من

---

(١) النّهج ١٥ / ١٨٢ ، كتاب ٢٨

(٢) البحار ٥٣ / ١٧٨ .

(٣) شرح النّهج ١٥ / ١٩٤ .

شؤون وليس معناه أن النّاس مسخّـرون كتسخيـر السمـوات والأرض لنـا كمـا قـال تعـالى : ﴿ **وسخـرّ لكم مـا فى السمـوات ومـا في الأرض** ﴾[١] . و ﴿ **وسخّر لكم الفلك تجرى فى البحر بأمـره** ﴾[٢] ، بل المراد بيان أنهم عليهم السلام هم الغـاية من خلق الخلق، وببركتهم وبيمينهم رزق الورى وثبتت الأرض والسماء .

---

(١) سورة الجاثية : الآية / ١٣ .

(٢) سورة ابراهيم : الآية / ٣٢ .

وإنّ لأهل البيت عليهم السلام الولاية التكـوينيّة والتشـريعية التي خصهم الله بها ولكنّهم كما قال عزّ وجلّ : ﴿ **عباد مكـرمون * لا يسبقـونه بـالقول وهم بأمره يعملون** ﴾ سورة الأنبياء : الآية / ٢٦ ـ ٢٧ .

٦ ـ إذا كنت في خير فلا تغترر به

قال الشّيخ الصّدوق طيّب الله رمسه : حدّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي ، قال حدّثني محمد بن يحيى الصّولي قال : حدّثنا أبو ذكوان قال : حدّثنا إبراهيم بن عباس قال :

كان الرّضا عليه السلام ينشد كثيراً

إذا كنت في خير فلا تغترر به ولكن قل اللهمّ سلّم وتممّ(١)

الأغترار بالخير سببه الغفلة عن الله جلّ جلاله والذّهول عمّا يراد به ، وقد بيّن ذلك أولاً بالنهي عنه في صدر البيت ، وطريق إزالة الغفلة في آخره بأن يتجه إلى الله تعالى ويناجيه بقلبه ولسانه أن يسلّمه عمّا يوقعه في الغرور الذي لا يعقبه إلا الويل والثبور ، ويتمّم له الخير بأن يوفّقه لأمثاله ويظفر بالهدف الأسنى من ورائه إذ الخير ما كان به الوصول إلى الكمال ولحصول عليه ويكثر علمه وحلمه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « وسئل عن الخير ما

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٦ فيه فلا تغرّبه ، البحار ٧١ / ٤٦ .

هـو ؟ فقال : ليس الخيـر أن يكثر مـالك وَوَلَـدُكَ ولكن الخير أن يكثـر علمك ، وأن يعظم حلمك . . . »[1] .

الاستباق إلى الخيرات

قد أمر الله عزّ وجل بـه في آي منها : « ولكـل وجهة هـو موليهـا فـاستبقوا الخيرات . . . »[2] . ففي باقريّ : « الخيرات الـولاية »[3] ، لأن أهـل البيت عليهم السلام أصـل الخير ومعـدنه وقـد جـاء في الـزيـارة الجـامعة الكبيـرة : « إن ذكر الخيـر كنتم أوله وأصله وفـرعـه ومعـدنـه ومأواه ومنتهاه »[4] . وكلّ خير في العـالم بأسـره إنّما هـو لله عزّ وجـلّ وبيده كما قال تعالى : ﴿ **قـل اللهم مالـك الملك ـ إلى ـ بيدك الخيـر أنك على كل شيء قدير** ﴾[5] . وأهـل البيت عليهم السلام هم الخيـر المـوهوب للعبـاد والقـدوة لمن اقتـدى بهم منهم وأنهم السّبّـاقـون إلى الخير وكذا الأنبياء عليهم السلام وفي مقـدمتهم نبيّ الرّحمـة ولا ينافي كـلّ ذلـك إطـلاق الخيـر على كـلّ مـا سبّب السّعـادة ففي بـاقـريّ : « أوحى الله تبـارك وتعالى إلى آدم إنّي أجمـع لك الخيـر كلّه في أربع كلمـات : واحـدة لي ، وواحـدة لـك ، وواحـدة فيمـا بيني وبينـك ، وواحـدةً فيما بينـك وبين الناس . فـأمّـا التي لي : فتعبـدني لا تشـرك بي شيئـاً ، وأما التي لـك : فأجـازيك بعملك أحـوج ما تكـون إليـه ، وأمّـا التي بيني وبينك : فعليـك الدّعـاء وعليّ الإجابـة وأمّا التي فيمـا بينك وبين النّاس : فترضى للنّاس ما ترضى لنفسك »[6] .

---

(١) النّهج ١٨ / ٢٥٠ . الحكمة ٩١ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ١٤٨ .
(٣) تفسير الصّافي ١ / ١٥٠ .
(٤) روضة المتقين في شرح الفقيه ٥ / ٤٩٤ .
(٥) سورة آل عمران : الآية / ٢٦ .
(٦) معاني الأخبار ١٣٧ .

٧ ـ أرأيت ما أكل أهل الجنّة وما شربوا يخلف مكانه ؟!

من مناظرة الرّضا عليه السلام مع سليمان المروزي في الإرادة رواها الصّدوق طاب ثراه ولربط الكلمة نذكر شيئاً منها :

« ثم قال الرّضا عليه السلام : يا سليمان هل يعلم الله عزّ وجل جميع ما في الجنّة والنّار ؟! قال سليمان : نعم ، قال : أفيكون ما علم الله عزّ وجلّ أنّه يكون من ذلك ؟! قال نعم قال : فإذا كان حتّى لا يبقى منه شيء إلاّ كان ، أيزيدهم أو يطويه عنهم ؟! قال سليمان : بل يزيدهم ، قال : فأراه في قولك قد زادهم ما لم يكن في علمه أنّه يكون، قال : جعلت فداك والمزيد لا غاية له ، قال عليه السلام : فليس يحيط علمه عندكم بما يكون فيهما إذا لم يعرف غاية ذلك وإذا لم يحط علمه بما يكون فيهما لم يعلم ما يكون فيهما قبل أن يكون، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، قال سليمان : إنما قلت لا يعلمه لأنّه لا غاية لهذا لأن الله عزّ وجلّ وصفهما بالخلود وكرهنا أن نجعل لهما انقطاعاً ، قال الرضا عليه السلام : ليس علمه بذلك بموجب لانقطاعه عنهم لأنّه قد يعلم ذلك ثمّ يزيدهم ثمّ لا يقطعه عنهم ، وكذلك قال الله عز وجلّ في كتابه :

﴿ كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾[1] .
وقال عزّ وجلّ لأهل الجنّة : **﴿ عطاءً غير مجذوذ ﴾**[2] . وقال عزّ وجلّ :
﴿ وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾[3] . فهو جلّ وعزّ يعلم ذلك ولا يقع عنهم الزّيادة ، أرأيت ما أكل أهل الجنّة وما شربوا أليس يخلف مكانه ؟! قال : بلى ، قال : أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه ؟! قال سليمان : لا ، قال : فكذلك كلّ ما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم . . . . »[4] .

أهمّ ما جاء في مناظرة المروزي هومسألة البداء ، والإرادة والثّانية أوسع بحثاً من الأولى لأنّها اشتملت على أزيد من خمسين سؤالاً وجواباً حولها بينما البداء قد حوى أقلّ من عشرين وبالأخير اعترف سليمان المروزي بالبداء بعد إنكاره له وقد تعرّضنا لذلك فراجع[5] .

وأمّا الإرادة فكان يعتقد هو وأصحابه بقدمها وأنها كالسّمع والبصر والقدرة من صفات الذات وعند أهل البيت عليهم السلام فعلٌ من أفعاله تعالى كما قال : الرضا عليه السلام : « المشيئة والإرادة من صفات الأفعال ، فمن زعم أنّ الله تعالى لم يزل مريداً شائياً فليس بموحد »[6] .

---

(١) سورة النساء : الآية / ٥٦ .
(٢) سورة هود : الآية / ١٠٨ .
(٣) سورة الواقعة : الآية / ٣٢ ـ ٣٣ .
(٤) التّوحيد : ٤٤٦ ـ ٤٤٧ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٧ ـ ١٤٨
(٥) حرف الضاد مع الألف
(٦) التوحيد : ٣٣٨ .

والفعـل محدث فـالإرادة محدثـة ذكرنـاه عند كلمـة « الفعل كلّه محـدث »[1] . وهي مخلوقة كالمشيئة[2] بنـاءً على أنّ الإرادة : المشيّة وهي كما في الصّادقي : « المشيّة محدثـة »[3] . وإرادته إحداثه لا غيـر كما في الكاظمي [4] .

(١) حرف الفاء مع العين ، التوحيد ٤٤٨ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٨ .

(٢) التوحيد : ٢٣٤ : « وبمشيئتـه كانت الإرادة » ، و ١٤٨ في الصـادقي : « خلق الله المشية بنفسها ، ثم خلق الأشياء بالمشية » .

(٣) التوحيد : ١٤٧ .

(٤) المصـدر . وفي الآخر : « فـإرادة الله هي الفعل لا غيـر ذلـك » . التـوحيـد ١٤٧ .

٨ ـ الإرادة محدثة وإلاّ فمعه غيره

كلمة منتزعة من كلمات الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي في الإرادة من المناظرة المطوّلة التي رواها الصّدوق منها :

« تكلّم يا سليمان ، قال : قد أخبرتك أنّها ـ أي الإرادة ـ كالسّمع والبصر والعلم ، قال الرّضا عليه السلام : لا بأس أخبرني عن معنى هذه أمعنى واحد أم معانٍ مختلفة ؟! قال سليمان : بل معنى واحد ، قال الرّضا عليه السلام : فمعنى الإرادات كلّها معنى واحد؟ قال سليمان : نعم ، قال الرضا ـ عليه السلام ـ : فإن كان معناها معنى واحداً كانت إرادة القيام وإرادة القعود وإرادة الحياة وإرادة الموت إذا كانت إرادته واحدة لم يتقدّم بعضها بعضاً ولم يخالف بعضها بعضاً وكان شيئاً واحداً ، قال سليمان : إنّ معناها مختلف ، قال عليه السلام : فأخبرني عن المريد أهو الإرادة أو غيرها ؟! قال سليمان : بل هو الإرادة ، قال الرضا عليه السلام : فالمريد عندكم يختلف إن كان هو الإرادة ؟ قال : يا سيدي ليس الإرادة المريد ، قال عليه السلام : فالإرادة محدثة وإلاّ فمعنى غيره افهم وزد في مسألتك »[١] .

---

(١) التوحيد ٤٥١ ، عيون أخبار الرضا ١ / ١٥٠ .

دعوى المروزي في الإرادة متناقضة مرّة قال إنّها أزليّة كالسّمع والبصر والعلم وقد تكرّر منه القول بها كذلك صرّح به قوله هنا : « قد أخبرتك أنّها كالسّمع والبصر والعلم » ومرّة أخرى قال بالحدوث من طريق كونها فعلاً والفعل حادث لا محالة وقد بيّنا مواضع تناقضاته عند كلمة « يا خراساني ما أكثر غلطك »[1] . و « هذه صفة من لا يدري ما فعل »[2] . و « إنّ الفعل كلّه محدث »[3] .

وتجده في جميع كلماته لا يقف على حقّ مثلاً يقول عندما سأله عليه السلام : « أمعنى واحد أم معان مختلفة ؟ » : « معنى واحد » وبعد أسطر في جواب نفس السؤال قال : « إن معناها مختلف » وقد اختلفت أجوبته بالنفي والإثبات في سؤال موضوع واحد ولا عجب منه إن تناقضت أقواله مع انقطاعه عن أهل البيت عليهم السلام كما نبّهنا عليه غير مرّة .

وحاصل الكلام الرّضوي أن لا واسطة بين أزليّة الشّيء أو حدوثه فإذا انتفى أحدهما ثبت الآخر فإذا لم تكن الإرادة المريد الأزلي كانت محدثة لأنّها فعله كما سبق بيان ذلك فإن لم يكن هذا ولا ذاك فلا بدّ من القول بالواسطة وأنّها غيره الّذي معه تعالى عن ذلك أن يكون معه شيء يعادله ويصاحبه، ثم أمره عليه السلام بالفهم وزيادة المسألة لئلا يتوهّم المنع عن الاستضاءة بنوره والاغتراف من فيض علمه عليه السلام .

---

(١) حرف الياء مع الألف .
(٢) حرف الهاء مع الذّال .
( ) حرف الهمزة مع النّون .

٩ ـ ارتقوا مرتقىً صعباً دحظاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم

في رواية الكليني والصّدوق المطوّلة في وصف الإمامة والإمام عن الرّضا عليه السلام :

« . . . أتظنّون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمّد كذبتهم والله أنفسهم ، ومنّتهم الأباطيل فارتقوا مرتقى صعباً دحظاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلّة فلم يزدادوا منه إلا بُعداً . . . . »[١] .

لم نكمل الرواية لطولها ، ولأنّنا بصدد اقتطاف التمثيلات الكائنة فيها ومنها التمثيل المبحوث عنه ولكن بعد التّكلّم عنه نسردها بالأسر ليكون النّاظر على علم من وصف الإمام والإمامة ، وقد اشتملت على ما يقرب من مائة خصلة بفقدها غير المعصوم عليه السلام . فانتظر . .

---

(١) أصول الكافي ١ /٢٠١ ، عيون الأخبار ١ / ١٧٣ .

والارتقاء من الرُّقي أي : الصّعود ومنه قوله تعالى : « فليرتقوا في الأسباب » أي : معارج السماء وطرقها . والمرتقى موضع الرّقي كالمرآة والمرتقى (بالفتح) : الدرجة فمن كسرها شبهها بالآلة التي يعمل بها[1] .

والدحض : الزلق قال ابن الأثير في حديث مواقيت الصلاة : « حين تدحض الشمس » أي : تزول عن وسط السّماء إلى جهة المغرب كأنها دحضت أي : زلقت[2] . يريد عليه السّلام : أنّ ما نصبوه للنّاس إماماً بعقولهم وآرائهم مَثَلُه كالّذي يرتقي مكاناً عالياً زلقاً لا يأمن من السّقوط والهلاك ؛ فإنّ من نصب إماماً باطلاً وأمر الناس باقتدائه ودعاهم إلى من لم ينصبه الله عزّ وجلّ فقد هلك وأهلك إذ نصب غير المنصوب الشرعي يدفع المنصوب الشرعي ، وفتح باب الباطل سدّ لباب الحقّ لا محالة وهو إحياء الباطل ومآثره وإماتة للحق ومآثره ومن ثم يتقدّم المتأخر ويتأخّر المتقدّم ولنعم ما قال السّيّد جعفر الحلّي :

ما خلتُ أنّ الدّهر من عاداته ... تروى الكلاب به ويظمى الضّيغم
ويقدّم الأموي وهو مؤخّر ... ويؤخر العلوي وهو مقدّم[3]

الأبيات .

وفي علويّ : « لو كنتم قدّمتم من قدّم الله وأخّرتم من أخّر الله وجعلتم الولاية والوراثة لمن جعلها الله ما عال وليّ الله ولا طاش سهم من فرائض الله ولا اختلف اثنان في حكم الله ولا تنازعت الأمّة

---

(١) مجمع البحرين في (رقي) سورة صّ الآية / ١٠ .
(٢) النهاية ٢ / ١٠٤ في (دحض) .
(٣) الدّرّ النّضيد ٣٠٨ .

في شيء من أمر الله »[1] .

إنجاز الوعد لذكر حديث الرّضا عليه السّلام المشتمل على خصائص الإمامة والإمام عليه السلام :

قال الشّيخ الكليني رحمه الله تعالى : (باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته »[2] .

١٠- أبو محمّد القاسم بن العلاء رحمه الله رفعه عن عبد العزيز بن مسلم .

قال :

« كنّا مع الرّضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع[3] يوم الجمعة في بدأ مقدمنا فأداروا[4] أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف النّاس فيها فدخلت على سيّدي عليه السلام فأعلمته خوض النّاس

---

(١) الوسائل ١٧ / ٤٢٦ ، الأمثال النّبويّة ١ / ٤٢ ، رقم المثل ١٩ ، حرف الهمزة مع الباء .

(٢) أقول وأما الشيخ الصّدوق طاب ثراه فقد قال :
(باب ما جاء عن الرّضا ـ عليه السلام ـ في وصف الإمامة والإمام وذكر فضل الإمام ورتبته) .
١ ـ حدّثنا ابوالعباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطّالقاني رضي الله عنه قال : حدثنا أبو أحمد القاسم بن علي الهاروني قال : حدّثني أبو حامد عمران بن موسى بن إبراهيم عن الحسن بن القاسم الرّقام قال : حدّثني القاسم بن مسلم عن أخيه عبد العزيز بن مسلم قال : كنّا في أيّام علي بن موسى الرّضا ـ عليه السلام ـ » . ثم سرد الرّواية عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ / ١٧١ ـ ١٧٥ .

(٣) في مسجد جامعها نسخة العيون .

(٤) فأدار النّاس .

فيه فتبسّم عليه السلام ثم قال :

يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم ، إن الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيّه صلى الله عليه وآله حتّى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيءٍ ، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام ، وجميع ما يحتاج إليه النّاس كملاً ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾[1] . وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[2] وأمر الإمامة من تمام الدّين ، ولم يمض صلى الله عليه واله حتى بيّن لأمّته معالم دينهم ، وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحقّ ، وأقام لهم عليّاً عليه السلام عَلَماً وإماماً وما ترك [لهم] شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلاّ بيّنه ، فمن زعم أن الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به[3] .

هل يعرفون قدر الإمامة من الأمة فيجوز فيها اختيارهم ؟ إن الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلا مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم ، أو ينالوها بآرائهم ، أو يقيموا إماماً باختيارهم ؛ إنّ الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النّبوّة والخلّة مرتبة ثالثة ، وفضيلة شرّفه بها وأشاد بها ذكره[4] ، فقال : ﴿ **إنّي جاعلك للنّاس إماماً** ﴾[5] . فقال الخليل عليه السلام : سروراً بها : ﴿ **ومن ذرّيتي** ﴾ قال الله تبارك وتعالى :

---

(١) سورة الأنعام : الآية / ٣٨ .
(٢) سورة المائدة : الآية / ٣ .
(٣) نسخة العيون « كافر » .
(٤) الإشادة رفع الصوت بالشيء . هامش الكافي ١/١٩٩ .
(٥) سورة البقرة : الآية / ١٢٤ .

﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾[1] فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصّفوة، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيته أهل الصّفوة والطهارة فقال: **﴿ووهبنا له إسحٰق ويعقوب نافلة وكلًّا جعلنا صالحين ۞ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلوة وإيتاء الزكوٰة وكانوا لنا عابدين﴾**[2].

فلم تزل في ذرّيته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتّى ورّثها الله تعالى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال جلّ وتعالى: **﴿إنّ أولى النّاس بإبراهيم للّذين اتّبعوه وهذا النّبيّ والّذين آمنوا والله وليّ المؤمنين﴾**[3]. فكانت له خاصة فقلّدها صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله فصارت في ذرّيته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: **﴿وقال الّذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾**[4]، فهي في ولد علي عليه السلام خاصّة إلى يوم القيامة؛ إذ لا نبي بعد محمّد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار لهؤلاء الجهّال، إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافة الرّسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين عليه السلام وميراث الحسن والحسين عليهما السلام، إنّ الإمامة زمام الدّين، ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين، إنّ الإمامة أسّ الإسلام النّامي وفرعه السّامي، بالإمام تمام الصلاة والزّكاة والصيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصّدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف.

---

(١) سورة البقرة الآية / ١٢٤.
(٢) سورة الأنبياء: الآية / ٧٢ - ٧٣.
(٣) سورة آل عمران: الآية / ٦٨.
(٤) سورة الرّوم: الآية / ٥٦.

الإمـام يحـلّ حـلال الله ويحـرّم حـرام الله ، ويقيم حـدود الله ، ويـذبّ عن دين الله ، ويـدعـو إلى سبيـل ربّـه بـالحكمـة والمـوعـظة الحسنة ، والحجّة البـالغة . الإمـام كالشمس الـطالعة المجللة بنـورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالهـا الأيدي والأبصـار . الإمام البـدر المنيـر ، والسّـراج الـزّاهـر ، والنّـور السّـاطـع ، والنّجم الهـادي في غيـاهب الـدجى ، وأجـواز البلدان والقفـار ، ولجـج البحـار . الإمـام المـاء العـذب على الـظمـاء ، والـدالّ على الهـدى ، والمُنجي من الرّدى . الإمام النّار على اليفاع ، الحـارّ لمن اصطلى بـه والدّليـل في المهـالك ، من فـارقه فهـالـك . الإمـام السّحـاب المـاطـر ، والغيث الهـاطل ، والشمس المضيئـة ، والسّمـاء الـظليلة ، والأرض البسيـطة والعين الغـريـزة[1] ، والغـديـر والـرّوضـة . الإمـام الأنيس الـرّفيق ، والـوالد الشّفيق ، والأخ الشّفيق ، والأم البـرّة بالـولـد الصّغيـر ومفـزع العبـاد في الداهيـة النّآد[2]. الإمام أمين الله في خلقـه ، وحجّتـه على عبـاده وخليفتـه في بـلاده والـّداعي إلى الله والـّـذابّ عن حـرم الله . الإمام المطهـر من الذّنـوب والمبرّأ عن العيـوب ، المخصوص بـالعلم المـوسوم بـالحلم نظام الـّدين وعز المسلمين وغيظ المنـافقين ، وبوار الكـافرين . الإمـام واحد دهـره لا يدانيـه أحد ولا يعـادله عـالم ، ولا يـوجد منـه بدلٌ ولا لـه مثلٌ ولا نـظيرٌ مخصـوص بالفضـل كلّه من غير طلب منه له ولا اكتساب ، بل اختصاص من المفضّل الوهّاب .

فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختباره هيهات هيهات ضلّت العقـول ، وتاهت الحلوم ، وصـارت الألباب ، وخسئت العيـون وتصـاغرت العـظمـاء ، وتحيـرت الحكمـاء ، وتقـاصـرت الحلمـاء ، وحصرت الخطبـاء وجهلت الألبّاء ، وكلّت الشعـراء وعجزت الأدبـاء ،

---

(١) نسخة العيون « الغزيرة » .

(٢) والنآد كسحاب بمعناها (في) هامش الكافي ١ / ٢٠٠ .

وعييت البلغاء عن وصف شأن من بشأنه [شؤونه] ، أو فضيلة من فضائله ، وأقرّت بالعجز والتقصير ، وكيف يوصف بكلّه أو ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره ، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه .

لا ، كيف وأنّى ؟ وهو بحيث النّجم من يد المتناولين ، ووصف الواصفين ، فأين الاختيار من هذا ؟ وأين العقول عن هذا ؟ وأين يوجد مثل هذا ؟!

أتظنّون أنّ ذلك يوجد في غير آل الرسول محمّد صلى الله عليه وآله كذبتهم والله أنفسهم ومنّتهم الأباطيل فارتقوا مرتقىً صعباً دحضاً تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم ، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة بائرة ناقصة وآراء مضلّة فلم يزدادوا منه إلا بعداً ﴿ [قاتلهم الله أنّى يؤفكون] ﴾[1] ، ولقد راموا صعباً ، وقالوا إفكاً وضلّوا ضلالاً بعيداً ، ووقعوا في الحيرة ؛ إذ تركوا الإمام عن بصيرة ﴿ وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السّبيل وكانوا مستبصرين ﴾[2].

رغبوا عن اختيار الله ، واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم : ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمّا يشركون ﴾[3].

وقال عزّ وجلّ : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾[4] الآية وقال : ﴿ ما لكم كيف تحكمون * أم لكم كتاب فيه تدرسون * إنّ لكم فيه لما تخيّرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إنّ لكم لما

---

(١) سورة التّوبة : الآية / ٣٠ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية / ٣٨ .
(٣) سورة القصص : الآية / ٦٨ .
(٤) سورة الأحزاب : الآية / ٣٦ .

تحكمون * سلهم أيّهم بذلك زعيم * أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ﴾[1] وقال عزّ وجلّ : **﴿ أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾**[2] أم **﴿ طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾**[3] أم **﴿ قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * إن شرّ الدّوابّ عند الله الصّمّ البكم الّذين لا يعقلون * ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون ﴾**[4] أم **﴿ قالوا سمعنا وعصينا ﴾**[5] ، بل هو **﴿ فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾**[6] .

فكيف لهم باختيار الإمام ؟ والإمام عالم لا يجهل ، وراع لا ينكل ، معدن القدس والطهارة والنّسك والزّهادة ، والعلم والعبادة مخصوص بدعوة الرّسول صلى الله عليه وآله ، ونسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ، ولا يدانيه ذو حسب ، في البيت من قريش ، والذّروة من هاشم ، والعترة من الرّسول صلى الله عليه وآله ، والرّضا من الله عزّ وجلّ شرف الأشراف ، والفرع من عبد مناف ، نامي العلم كامل الحلم مضطلعٌ بالإمامة عالم بالسّياسة مفروض الطّاعة قائم بأمر الله عزّ وجلّ ناصح لعباد الله حافظ لدين الله .

إنّ الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله ويؤتيهم من

---

(١) سورة القلم : الآية / ٣٦ ـ ٤١
(٢) سورة محمد : الآية / ٢٤ .
(٣) سورةالتوبة : الآية / ٨٧ ، هكذا في الأصل ، وفي القرآن : ﴿وطبع على قلوبهم ﴾ بدون كلمة « الله » .
(٤) سورة الأنفال : الاية / ٢١ ـ ٢٣
(٥) سورة البقرة : الآية / ٩٣ .
(٦) سورة الحديد : الآية / ٢١ .

مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتيه غيرهم فيكـون علمهم فوق علم أهـل الـزّمان في قـوله تعـالى : ﴿ **أفمن يهـدي إلى الحق أحقّ أن يتبـع أمّن لا يهـدي إلاّ أن يهدى فمـا لكم كيف تحكمـون** ﴾[1] . وقـولـه تبـارك وتعـالى : ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقـد أوتى خيراً كثيـراً** ﴾[2] وقولـه في طـالـوت : ﴿ **إنّ الله اصـطفـاه عليكم وزاده بسـطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسـع عليم** ﴾ [3]. وقال لنبيّـه صلى الله عليه واله : ﴿ **أنزل عليك الكتـاب والحكمة وعلّمـك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾[4]

وقـال في الأئمة من أهـل بيت نبيّـه وعتـرتـه وذرّيّتـه صلوات الله عليهم : ﴿ **أم يحسـدون النّاس على مـا آتاهم الله من فضله فقـد آتينـا آل إبـراهيم الكتاب والحكمـة وآتيناهم ملكـاً عظيمـاً * فـمـنـهـم مـن أمن به ومنهم مَنْ صدّ عنـه وكفى بجهنّم سعيـراً** ﴾[5] . وإنّ العبـد إذا اختـاره الله عزّ وجـلّ لأمور عبـاده ، شرح صـدره لذلـك ، وأودع قلبـه ينـابيع الحكمـة ، وألهمه العلم إلهـاماً ، فلم يعي بعـده بجواب ، ولا يحيـر[6] فيه عن الصّـوات ، فهو معصـوم مؤيّد مـوفّق مسدّد ، قـد أمن من الخـطايا الـزّلـل والعثـار ، يخصّـه الله بـذلـك ليكـون حجّتـه على عباده ، وشاهده على خلقه ، و ﴿ **ذلـك فضل الله يؤتيـه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾[7] .

---

(١) سورة يونس : الآية / ٣٥ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٢٦٩ .
(٣) سورة البقرة : الآية / ٢٤٧ .
(٤) سورة النساء : الآية / ١١٣ .
(٥) سورة النّساء : الآية / ٥٤ ـ ٥٥ .
(٦) نسخة العيون « يحيد » .
(٧) سورة الحديد : الآية / ٢١ .

فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدّمونه ؟ تعدّوا ـ وبيت الله ـ الحقّ ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، وفي كتاب الله الهدى والشّفاء فنبذوه واتّبعوا أهواءهم ، فذمّهم الله ومقتهم ، وأتعسهم فقال جلّ وتعالى : ﴿ ومن أضلّ ممّن أتّبع هواه بغير هدى من الله إنّ الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾[1]، وقال : ﴿ فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم ﴾[2] . وقال : ﴿ كبر مقتاً عند الله وعند الّذين آمنوا كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار ﴾[3] ، وصلى الله على النّبيّ محمّد وآله وسلم تسليماً كثيراً »[4] .

وقد جمع فيها أفضل الصفات التي لا تجتمع إلّا في الإمام المعصوم عليه السلام ولا بدّ من إفراد كتاب لشرح هذه الرّواية المباركة ولا تسعها هذه الوريقات وقد أخذنا منها بقدر ما يرتبط الموضوع المبحوث كما أخذنا من سائر روايات أهل البيت عليهم السلام والله عزّ وجلّ هو الموفّق .

---

(١) سورة القصص : الآية / ٥٠ .

(٢) سورة محمد : الآية / ٨ والتّعس : الهلاك .

(٣) سورة غافر : الاية / ٣٥ .

(٤) أصول الكافي : ١ / ١٩٨ ـ ٢٠٣

١٠ ـ الاستدلال على ما هناك لا يكون إلاّ بما ها هنا

هـذه من الحكم المستخرجـة من المناظـرة الـطويلة بين الـرّضـا عليه السلام وعمران الصابي الـتي رواها الصّدوق قال عليه السّلام :

«إيّاك وقول الجهّال من أهل العمى والضّلال الذين يزعمون أنّ الله جلّ وتقدّس مـوجود في الآخـرة للحساب في الثـواب والعقاب وليس بمـوجود في الـدّنيا للطاعـة والرّجاء، ولو كـان في الوجـود لله عزّ وجـلّ نقص واهتضام لم يـوجد في الآخـرة أبـداً ، ولكن القوم تـاهوا وعملوا وصمّوا عن الحق من حيث لا يعلمون وذلـك قولـه عزّ وجـلّ : ﴿ ومن كـان في هذه أعمى فهـو في الآخـرة أعمى وأضـلّ سبيـلاً ﴾[١] يعني أعمى عن الحقـائـق المـوجـودة وقـد عـلم ذووا الألبـاب أنّ الاستدلال على ما هناك لا يكون إلاّ بمـا ههنا ، ومن أخـذ ذلك بـرأيه وطلب وجوده وإدراكه عن نفسـه دون غيرهـا لم يزدد من علم ذلـك إلاّ بعـداً لأنّ الله عـزّ وجـل جعـل علم ذلـك خـاصّـاً عنـد قـوم يعقلون ويعملون ويفهمون »[٢] .

(١) سورة الاسراء : الآية / ٧٢ .

(٢) التّوحيد ٤٣٨ ، عيون إخبار الرّضا ١ / ١٤١ .

إنما ذكرنا ما قبل كلمة : « الاستدلال على ما هناك لا يكون إلاّ بما ههنا » وبعدها لبيان ربطها .

من القياس المقبول أن يستدل بوجود الشيء السائغ في حالة على وجوده في حالة أخرى ، لأن حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز سواء وهذه قاعدة عقلية مطّردة فلو كانت الرّؤية سائغة لله عزّ وجلّ في الآخرة كانت سائغة في الدنيا أيضاً وكذا وجوده تعالى عند الحساب في الآخرة كان موجوداً في الدّنيا عند الطاعة إذ لو فرض النقص هنا جاء النقص هناك أيضاً ؛لأن الحالتين متماثلتان لا يمكن التفكيك بينهما فالزاعمون للتفكيك خاطئون لا محالة .

ثم إن الآخرة بمنزلة باطن الدنيا وهي ظاهرها ولعلّ في قوله تعالى : ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾[1] إشارة إلى ذلك بأن يراد من الآخرة باطنها ، وعليه تدل الكلمة العلوية ، « واعلم أنّ لكل ظاهر باطناً على مثاله »[2] . و « اعقل ذلك ، فإنّ المِثْل دليل على شبهه »[3] ، ومن الكلمتين العلويتين يتجلّى مقصود الكلام الرّضوي من الاستدلال بما ههنا على ما هناك إبطالاً لدعوى الزاعمين وجود الله عز وجل عند الحساب في الثواب والعقاب يوم القيامة وعدم وجوده تعالى في الدنيا للطاعة والرّجاء .

ووجه البطلان أنّ الله تعالى إذا لم يكن بموجود في الدنيا عند الطلعة لم يكن في الآخرة عند الحساب أيضاً ؛لأن النقص الموجب لعدمه هناك موجب للعدم هنا أيضاً وحيث أن لا نقص في الوجود

---

(١) سورة الرّوم : الآية / ٧ .
(٢) النهج ٩ / ١٧٨ ، الخطبة ١٥٤ .
(٣) النهج ٩ / ١٦٠ .

هنـا لا نقص فيـه أيضـاً هنـاك وهـو معنى تسـويـة الأمثـال في الحكم واشتراك الباطن مع الظاهر ودلالة المثـل على شبهه وهـذا أمر عقليّ أو قـل عقلائيّ ومنـه العلويّ : « استـدل على مـا لـم يكن بمـا كـان فـإنّ الأمور أشباه »[1]

---

(١) النهج ١٦ / ١١٣ ، الوصيّة ٣١ .
ارشاد الى ما يدركه العقل والعقلاء من إسراء حكم ثابت لموضوع الى موضوع آخر يشاركه فيه . ونظير الكلمة كلمته عليه السلام الاخرى : « ما أنشد اعتدال الأحوال وأقرب اشتباه الأحوال » مصادر النهج ٣ / ٤٨ الخطبة ١٩٠ . وقد ذكرنا الأولى في : « الأمثال والحكم العلويّة » حرف الهمزة مع السّين مخطوط .

١١ ـ الاسترسال بالأنس يذهب بالمهابة

روى الشّيخ المجلسي طاب ثراه من كتاب النزهة من كلمات الرضا عليه السلام الحكمية : « الاسترسال بالأنس يذهب المهابة »[١] .

هذا في الاسترسال بالأنس في غير الله عزّ وجلّ ، وأمّا معه تعالى فيمنح المسترسل المهابة والعز والجلال وهو الأنس الحقيقي غير المتحقّق إلاّ في الأنبياء والأوصياء والمؤمنين الذين امتحنهم الله تعالى وهم العارفون الذين قد أوحشتهم العوالم كما قال الإمام الحسين عليه السلام في دعاء يوم عرفة في عرفات عند جبل الرحمة :

« أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم ، وأنت الّذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم ، ماذا وَجَدَ من فَقَدَكَ ، وما الّذي فَقَدَ من وَجَدَكَ ، لقد خاب من رضي دونك بدلاً ، ولقد خسر من بعي عنك متحوّلاً كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان . . . »[٢] .

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٥٣ .

(٢) الإقبال ٣٤٩ .

الاسترسال بالأنس :

لا بدّ في الاسترسال أن لا يخرج صاحبه عن الحقّ ولا يدخله في الباطل مهما كان نوعه وقد جاء في العلوي : « عشرة الاسترسال لا تستقال »[1] .والأنس ضد الوحشة ، والاستئناس خلاف الاستيحاش قال الطريحي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ **لا تدخلوا بيوت غير بيوتكم حتى تستأنسوا** ﴾[2] . فيه وجهان : أحدهما أنّه من الاستئناس خلاف الاستيحاش ؛ لأن الّذي يطرق باب غيره لا يدري يؤذن له أم لا فهو كالمستوحش لخفاء الحال عليه فإذا أذن له استأنس[3] . . . والثاني : مجرّد الأذن له وإن لم يحصل استئناس بعده والأنس السّكون إلى من يألفه ففي صادقي في جواب كتاب بعض ولاته : « فأمّا من تأنس به وتستريح إليه وتلجىء أمورك إليه فذلك الرّجل الممتحن المستبصر الأمين الموافق لك على دينك . . »[4] . وهو المؤمن يأنس بمثله ويسكن إليه في تبادل الحبّ في الله عزّ وجلّ قال ابن الفارض :

أدر ذكر من أهوى ولو بمنام   فإنّ أحاديث الحبيب مُدامي[5]

وفي نبويّ : « المتحابّون في الله يوم القيامة على ارض زبرجدة خضراء في ظلّ عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين وجوههم أشد بياضا ، وأضوء من الشمس الطالعة . . . يقول الناس من

---

(١) غرر الحكم ٢٢١ .

(٢) سورة النّور : الآية / ٢٧

(٣) مجمع البحرين في « أنس »

(٤) الوسائل ١٢ / ١٥٣ .

(٥) ديوانه : ٨٥ .

هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله »[1] .

وصادقي : « إن المتحابّين في الله يوم القيامة على منابر من نور . . . »[2] .

وآخر : « من حبّ الرّجل دينه حبّه لإخوانه »[3] .

(١) الوسائل ١١ / ٤٣٢ .
(٢) المصدر .
(٣) الوسائل ١١ / ٤٤١ .

١٢ ـ استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النّعمة

قال الصّدوق حدّثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس العطّار رضي الله عنه قال : حدّثنا عليّ بن محمد بن قتيبة النيسابوري عن الفضل بن شاذان قال : سمعت الرّضا عليه السلام يقول :

« استعمال العدل والإحسان مؤذن بدوام النّعمة ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله »[١] .

قد أمر الله جل جلاله بهما قال تعالى : ﴿ **إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلّكم تذكّرون** ﴾[٢] . وظاهر الأمر الوجوب وفي العدل والإحسان تفصيل مذكور في علم الفقه الإسلامي بين الزّوجات والنّفقات وقد جاء الأمر بالعدل في قوله تعالى : ﴿ **اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾[٣]. ولا ينفكّ العدل عن التّقوى ، إذ هو وضع الشيء

(١) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٣ ، والبحار ٧٥ / ٢٦ .
(٢) سورة النحل : الآية / ٩٠ .
(٣) سورة المائدة : الآية / ٨ .

مواضعه اللازم، للوقاية عن الوقوع في المحظور بترك ما ينبغي فعله وفعل ما ينبغي تركه ولا يتأتّى التجنّب عن ذلك إلاّ بأن يترك ما ينبغي تركه ويفعل ما ينبغي فعله وهو معنى العدل .

وأمّا الإحسان فهومطلق ما فيه الحسن من عمل أو قول حسن لنفس المحسن أو غيره ، عاد نفعه إليه أو إلى الناس، والعدل أيضاً لا يخصّ بمعاملات غيره بأن لا يظلمه أو ينال منه أو يتعدّى في حقوقه، بل كذلك نفس العادل بأن لا يظلمها أو يسلك بها إلى نار جهنم بركوب المعاصي وترك الواجبات واتباع الهوى ، وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام قوماً قال :

« عباد الله ، إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه ، فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه ، وأعدّ القرى ليومه النّازل به فقرّب على نفسه البعيد ، وهوّن الشّديد ـ إلى قوله عليه السلام ـ قد ألزم نفسه العدل ، فكان أوّل عدله نفي الهوى عن نفسه ، يصف الحقّ ويعمل به ، لا يدع للخير غاية إلاّ أمّها ولا مظنّةً إلا قصدها ، قد أمكن الكتاب من زمامه ، فهو فائدة وإمامه ، يحلّ حيث حلّ ثقله ، وينزل حيث كان منزله »[1] .

بهذا العبد يدفع البلاء والعذاب عن النّاس وإلاّ لساخت الأرض بهم وخاصّة المعصوم عليه السلام وهذه أوصاف أولياء أهل البيت عليهم السلام فما ظنّك بهم منهم زكريّا بن آدم قال : إنّي أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء فقال له الرضا عليه السلام : « لا تفعل ؛ فإنّ أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن عليه السلام »[2] .

---

(١) النهج ٦ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ، الخطبة ٨٦ .
(٢) الاختصاص ٨٧ .

وكيف كـان إن الآية والـرّواية مطلقتان من نـاحيـة متعلّق العـدل والإحسان بمقاييسهما الشّرعيّـة والعقلية، لاكيف مـا اتّفقا وهمـا كلمتان معروفتان عند أهل الشّرع والعقل ، ومن ذاق حـلاوة العدل والإحسـان لا يعدل عنها طوال الحياة إلّا فاقد العقل .

= ثم لا يخفى ان الحوقلة في آخر حديث الإمام الـرّضا عليـه السّلام إنّمـا جاء بها لعلها للإشارة إلى أنّ العدل والإحسان لا بـد أن يكونـا مقرونين بـذكر الله جـل جلالـه ، وأن لا يغترّ العـادل إذا عـدل ، والمحسن إذا أحسن أنّ ذلـك بكـدّ يمينه وعـرق جبينه بـل بتوفيق منـه تعـالى أن قـوّاه على أن يعـدل أو أن يحسن ولولا حوله جل جلاله وقوته لما وفّق لأدنى شيء منهما وغيرهما .

١٣ ـ اصحب السلطان بالحذر

روى المجلسي قول الرّضا عليه السلام :

« اصحب السلطان بالحذر ، والصّديق بالتواضع ، والعدوّ بالتحرّز ، والعامة بالبُشر »[١] .

أربع كلمات تكتب بالذّهب : الأولى يجب على مصاحب السلطان الحذر منه ؛ لأنّه لا يأمن من بطشه وفتكه لفقد الإيمان من الممتلكين السلطة على الرّعايا بالقهر والغلبة ، أو الانتخابات التي لا يرتضيها الله عز وجل ولا رسوله ولا الأئمة المعصومون عليهم السلام ولم ينزل بها كتاب من السماء ، والحذر عامّ لكلّ داخل في دواوين هؤلاء ولزوم المجانبة عنهم وإن كان ولا بد من صحبة السلطان فالواجب الحذر لئلا يفتك به للاقتدار على خصومه وعلى كلّ من لا يخضع لأوامره .

وقد جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام الإذن في الدّخول في دواوينهم لأشخاص كعلي بن يقطين لـمّا قدم موسى بن جعفر عليهما السلام العراق . قال له علي بن يقطين : أما ترى حالي وما أنا فيه ؟ فقال :

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٥ ، والدّرة الباهر ٣٨ ، وإحقاق الحق ١٩ / ٥٨٣ .

« يا علي إنّ لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه ، وأنت منهم يا علي »[1] .

ومنه يعلم أن في كلّ دور رجالاً مع أولياء الظلمة يدافعون عن الحقّ لتتم الحجة البالغة وعن المؤمنين ولا نعلمهم من هم هؤلاء ، ولولا أنّ السلطة الجائرة من أقوى العصاة لله عزّ وجلّ وغصب الحقوق وقتل النّفوس التي حرمها الله وأكل أموال النّاس بالباطل والفجائع وكلّ أمرٍ منهيّ في شريعة السّماء، لساغ الدّخول لكلّ أحد وفي مقدّمتهم المعصومون .

وأَمّا دخول الرّضا عليه السلام في ولاية العهد من قبل المأمون الطّاغية وقبولها فلم يكن ذلك باختيار ورغبة منه عليه السلام ولقد امتنع منها مراراً فهُدّد بالقتل فمن باب وجوب حفظ النّفس والنّهي عن الإلقاء في التهلكة قبل ولاية العهد بشروط اشترطها بأن لا ينصب أحداً ولا يعزل أحداً ولا ينفّذ شيئاً من شؤون الملك مع إخباره عليه السلام أنّ ذلك لا يتمّ وأنّه يموت قبل المأمون .

ولم يكن الإباء من التّدخّل في الملك العبّاسي إلاّ لعلمه بما ذكر من المحاذير وإذلال النّاس وإفساد القرى إذا دخلوها كما حكى الله عن ملكة سبأ : **﴿ إنّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة وكذلك يفعلون ﴾**[2] .

ثمّ الكلمات الثلاثة « الصّديق بالتّواضع ، والعدوّ بالتّحرّر والعامّة بالبشر » لبيانها موضع آخر .

---

(١) معجم رجال الحديث ١٢ / ٢٣٠ .
(٢) سورة النمل : الآية / ٣٤ .

١٤ ـ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون

روى الصّدوق بإسناده إلى أبي الصّلت قال : حضر الرّضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان :

« فقال المأمون : من العترة الطّاهرة ؟ فقال الرّضا عليه السلام : الّذين وصفهم الله في كتابه فقال عزّ وجلّ : ﴿ **إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً** ﴾[1] . وهم الّذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّي مخلّف فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفون فيهما ، أيّها النّاس لا تعلّموهم ، فإنّهم أعلم منكم . قالت العلماء : أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل ، أم غير الآل ؟ فقال الرّضا عليه السلام : هم الآل ، فقالت العلماء : فهذا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يؤثر عنه أنّه قال : أمّتي آلي ، ولهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض الّذي لا يمكن دفعه : آل محمّد أمّته .

فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبروني فهل تحرم الصّدقة

---

(١) سورة الأحزاب : الآية / ٣٣ .

على الآل ؟ فقالوا : نعم ، قال : فتحرم على الأمّة ، قالوا ، لا قال : هذا فرق بين الآل والأمّة ويحكم أين يذهب بكم أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون ؟! أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطّهارة على المصطَفين المهتدين دون سائرهم ؟ قالوا : ومن أين يا أبا الحسن؟ فقال: من قول الله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذرّيتهما النّبوّة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ﴾[1] .

فصارت وراثة النّبوّة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين ، أما علمتم أن نوحاً حين سأل ربّه عزّ وجلّ : ﴿ فقال رب إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين ﴾[2] ، وذلك إنّ الله عزّ وجلّ وعده أن ينجيه وأهله فقال ربّه عزّ وجلّ : ﴿يا نوح إنّه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلنّ ما ليس لك به علم إنّي أعظك أن تكون من الجـهلين ﴾[3] . . . »[4]

إنّ الحديث اشتمل على مسائل وأجوبتها ولطوله لم نذكره عن آخره سوى ما يربط الكلمة المستخرجة منه .

قوله عليه السلام : « أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون » اقتباس من قوله تعالى : ﴿ أفنضرب عنكم الذكّر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ﴾[5] . ولكنّ المراد بالكلمة شيءٌ وبالآية شيءٌ

---

(١) سورة الحديد : الآية / ٣٦ .

(٢) سورة هود : الآية / ٤٥ .

(٣) سورة هود : الآية / ٤٦ .

(٤) عيون أخبار الرضا : ١ / ١٨٠ ـ ١٨١ .

(٥) سورة الزخرف : الآية / ٥

آخر؛ لأنه عليه السلام يريد توبيخهم في ترك تدبّرهم القرآن الكريم، وعلى إفراطهم وإسرافهم عمّا يحكم به العقل، حيث لم يأخذوا لا بالنّقل ولا بالعقل ولا بمقاييسهما الصحيحة حائدين عن البرهان وما يقصده القرآن، وأمّا الآية فمعناها أندعكم مهملين لا نحتجّ عليكم بالرّسول أو بالإمام والحجج[1] ؟

(١) تفسير الصّافي ٢ / ٥٢٣ .
والغرض أنّ الأمة مسؤولة برسولها وإمامها وحججها يوم القيامة .
ثم إن الحديث المشتمل على السؤال عن العترة الطاهرة وعلى الجواب بأنهم هم الأئمة المعصومون عليهم السلام بنص القرآن كما بيّنه الرضا عليه السلام ، هو من الأحاديث المرويّة بهذا الصّدد التي لا مجال لذكرها ومن لم يكفه القليل لم يكفه الكثير ، وإنما المأمون يرمي من وراء المناظرة مع الرّضا عليه السّلام السوء به وكسره حرصاً على الملك ولا يريد التفقه بذلك كما ذكرناه مراراً .

١٥ ـ اضطررتُ كما اضطرّ يوسف ودانيال

للصّدوق كلام يتضمّن تاريخ حياة الإمام الرّضا عليه السلام وأيّام إمامته مع طواغيت زمانه ، قال طاب ثراه :

وقام عليه السلام بالأمر وله تسع وعشرون سنة وشهران ، وكان في أيّام إمامته عليه السلام بقيّة ملك الرّشيد ، ثمّ ملك بعد الرّشيد محمّد المعروف بالأمين وهو ابن زبيدة ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوماً ، ثمّ خلع الأمين وأجلس عمّه إبراهيم بن شكلة أربعة عشر يوماً ، ثم أخرج محمّد بن زبيدة من الحبس ، وبويع له ثانيةً ، وجلس في الملك سنة وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، ثمّ ملك عبد الله المأمون عشرين سنة وثلاثة وعشرين يوماً فأخذ البيعة في ملكه لعليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام بعهد المسلمين من غير رضاه وذلك بعد أن هدّده بالقتل وألحّ عليه مرة بعد أخرى في كلّها يأبى عليه حتى أشرف من تأبّيه على الهلاك فقال عليه السّلام :

« اللّهمّ إنّك قد نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التّهلكة ، وقد أُكرِهْتُ واضطرِرْتُ كما أُشرِفتُ من قبل عبد الله المأمون على القتل منّي إن لم أقبل ولاية عهده وقد أُكرِهْتُ واضطرِرْتُ كما اضطَرّ يوسف ودانيال عليهما السلام إذ قبل كلّ واحدٍ منهما الولاية من طاغية زمانه ، اللّهمّ لا عهد إلاّ عهدك ولا ولاية لي إلاّ من قبلك

فوفّقني لإقامة دينك وإحياء سنّة نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله فإنّك أنت المولى وأنت النّصير ونعم المولى أنت ونعم النّصير » .

ثمّ قبل عليه السلام ولاية العهد من المأمون وهو باكٍ حزين على أن لا يولّي أحداً ، ولا يعزل أحداً ولا يغيّر رسماً ولا سنّةً وأن يكون في الأمر مسيراً من بعيد . فأخذ المأمون له البيعة على النّاس الخاصّ منهم والعامّ ، فكان متى ما ظهر للمأمون من الرّضا عليه السلام فضلٌ وعلمٌ وحسن تدبيرٍ ، حسده على ذلك وحقد عليه حتى ضاق صدره منه ، فغدر به ، وقتله بالسُّمّ ومضى إلى رضوان الله تعالى وكرامته[1] .

المماثلة في الاضطرار بينه عليه السلام وبين يوسف ودانيال عليهما السلام في قبول الولاية من الحاكم الجائر كالمأمون للرّضا عليه السلام وعزيز مصر الكافر ليوسف النّبيّ عليه السلام قال تعالى حكاية عن المَلِك : ﴿ **وقال المَلِك ائتونى به أستخلصه لنفسى** ﴾[2] وإنّما اختار يوسف عليه السلام الولاية على الخزائن لأنّها أقل محذوراً من بقيّة المناصب الحكوميّة سدّاً لأبواب الخيانة في بيت المال الّذي به قوام المُلك وقيام الملّة. وأما قبول الولاية من قبل عزيز مصر الكافر فكان عليه السلام مضطرّاً كما نصّ الرّضا عليه السلام عليها لم يستطع دفعها كما كان كذلك من قبل المأمون الطّاغية وللكلام صلة .

وأمّا دانيال فهو كما قال المسعودي :

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٦

(٢) سورة يوسف : الآية / ٥٤ .

ابن نوفين أحد ملوك بني إسرائيل، وفي عصره سار البخت نصّر وهو مرزبان العراق والعرب من قبل ملك فارس[١] ومن أولاد يهوذا بن يعقوب وقد أسره البخت نصر وهو طفل وألقاه في الجبّ؛ على ما قال علي بن إبراهيم القمّي في ترجمة البخت نصّر بعد قتله الرّجال والنّساء وغيرهم ليسكن دم يحيى عليه السلام وكان بين خروج البخت نصّر ويحيى مائة سنة، قال: ثم أتى بابل فبنى بها مدينة وأقام وحفر بئراً[٢] فألقى فيها دانيال وألقى معه اللّبوة فجعلت اللّبوة تأكل طين البئر ويشرب دانيال لبنها فلبث بذلك زماناً فأوحى الله الى النّبيّ الذي كان ببيت المقدس أن اذهب بهذا الطّعام والشّراب إلى دانيال واقرأه منّي السّلام قال: وأين دانيال يا ربّ فقال في بئر بابل في موضع كذا وكذا قال: فأتاه فأطلع في البئر فقال: يا دانيال قال: لبيّك صوت غريب قال: إنّ ربّك يقرؤك السّلام وقد بعث إليك بالطعام والشّراب فدلّاه إليه قال:

فقال دانيال: الحمد لله الّذي لا ينسى من ذكره الحمد لله الّذي لا يخيب من دعاه الحمد لله الّذي من توكّل عليه كفاه الحمد لله الّذي من وثق به لم يكله إلى غيره الحمد لله الّذي يجزي بالإحسان إحساناً الحمد لله الّذي يجزي بالصّبر نجاة الحمد لله يكشف ضرّنا عند كربتنا والحمد لله الّذي هو ثقتنا حين ينقطع الحيل منّا والحمد لله الّذي هو رجاؤنا حين ساء ظنّنا بأعمالنا[٣] .

وروى الصدوق حديثاً عن الصادق عليه السلام قال فيه: « واشتد البلوى على بني إسرائيل بغيبته وتسلّط عليهم بخت نصّر

---

(١) مروج الذّهب ١ / ٧٣ .
(٢) لعلّ كلمة « ولإسحاق صفيّك في بئر سبع » بالسّين المهملة لا المعجمة الّتي في دعاء السمات الوارد في جمال الأسبوع ٥٣١ . وغيره يراد بها هذه البئر لأن دانيال من أولاد إسحاق .
(٣) تفسير القمّي ١ / ٨٨ ـ ٨٩ . البحار ١٤ / ٣٥٨ .

فجعل يقتل من يظفر به منهم ويطلب من يهرب ويسبي ذراريهم فاصطفى من السّبي من أهل بيت يهوذا أربعة نفر فيهم دانيال . . . والحجّة دانيال أسير في يد بخت نصّر تسعين سنة فلّما عرف فضله وسمع أنّ بني إسرائيل ينتظرون خروجه ويرجون الفرج في ظهوره على يده ، أمر أن يجعل في جبّ عظيم واسع ويجعل معه الأسد ليأكله فلم يقربه وأمر أن لا يطعم فكان الله تعالى يأتيه بطعامه وشرابه على يد نبيّ من أنبياء بني إسرائيل. :. فلّما تناهى البلاء بدانيال وقومه رأى بخت نصّر في المنام كأنّ ملائكة من السّماء قد هبطت إلى الأرض أفواجاً الى الجُب الّذي فيه دانيال مسلّمين عليه يبشّرونه بالفرج فلّما أصبح ندم على ما أتى إلى دانيال ، فأمر أن يخرج من الجبّ فلّما أخرج اعتذر إليه ممّا أرتكب منه من التعذيب ، ثم فوّض إليه النّظر في أمور ممالكه والقضاء بين النّاس فظهر من كان مستتراً من بني إسرائيل ورفعوا رؤوسهم واجتمعوا إلى دانيال عليه السلام موقنين بالفرج فلم يلبث إلاّ القليل عن تلك الحال حتى مضى لسبيله وأفضى الأمر بعده إلى عزير . . . . »[١] .

أقول وفي رؤية البخت نصّر، الرؤيا ونجاة دانيال عليه السلام من الجبّ روايات مطوّلة أعرضنا عنها فراجع[٢] .

وقد ترجمه بعض بما يلي :

وأمّا دانيال فكان من ذرّية داود عليه السلام وأسر في سنة ٦٠٦ قبل ميلاد المسيح وجيء به إلى بابل على ما في قاموس الإنجيل وكان بخت نصّر رأى رؤيا هائلة فقصّها على دانيال فعبّرها فصار بذلك معزّزاً مكرّماً عند بخت نصّر،وكان مقيما عنده إلى أن فتح

---

(١) البحار ١٤ / ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

(٢) البحار ١٤ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ، و ٣٦٧ ـ ٣٧٠ .

الفرس بابل فصار عند كورش ملك الفرس فولّاه القضاء وجعل إليه جميع أمره . ومات بالسوس[1] من أعمال خوزستان . ذكر البغدادي في كتابه (المحبر) نسب دانيال فقال : هو دانيال بن يخننا بن حزقيا ، وهو يوناخين بن صدقيا الملك ابن اهياقيم بن أوشيا بن أمين بن حزقيا بن أحاذين بن ياثم بن عزريا بن أمصيا بن مهياس بن أخزيا بن ربهيا بن رام بن ياهوشا بن أسا بن راحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام وذكرهم الطّبري واليعقوبي مع اختلاقات[2] انتهى لفظ البعض .

هذا موجز ترجمة دانيال النّبيّ عليه السّلام وقد جاء في صادقيّ : « من اهتم لرزقه كتب عليه خطيئة ؛ إنّ دانيال كان في زمن ملكٍ جبّارٍ عاتٍ أخذه فطرحه في جبّ ، وطرح معه السّباع فلم تدن منه ولم يخرجه[3] فأوحى الله إلى نبيّ من أنبيائه أن أئت دانيال بطعام قال : يا ربّ وأين دانيال ؟ قال : تخرج من القرية فيستقبلك ضبع فاتّبعه فإنّه يدلّك إليه ؛ فأتت به الضّبع إلى ذلك الجبّ فإذا فيه دانيال فأدلى إليه الطّعام فقال دانيال : الحمد لله الّذي لا ينسى من ذكره . . . »[4] إلى آخر التحميد الآنف الذكر[5] .

والباقري : « سألته عن تعبير الرّؤيا عن دانيال عليه السلام أهو صحيح ؟ قال : نعم كان يُوحى إليه وكان نبيّاً وكان ممّن علّمه الله تأويل الأحاديث وكان صدّيقاً حكيماً وكان والله يدين بمحبّتنا أهل

---

(١) الآن يعرف بالشوش الواقع خارج بلدة الدّزفول وقد زرناه مع الحاجّ الشّيخ السّبط الأنصاري عام ١٤٠٦ هـ .

(٢) البحار ١٤ / ٣٥١ في هامشه .

(٣) كما في المصدر والصّواب فلم تدن ولم تخرجه .

(٤) البحار ١٤ / ٣٦٢ ـ ٣٦٣ .

(٥) بتفسير القمي المتقدم ١ / ٨٨ ـ ٨٩

البيت قال جابر : بمحبّتكم أهل البيت ؟ قال : إي والله وما من نبيّ ولا ملك إلاّ وكان يدين بمحبّتنا »[1] .

أقول :

حصيلة الأحاديث المذكورة أنّ دانيال كيوسف في أنّهما صدّيق معبّر للرؤيا وقد حبسا في الجبّ وابتليا بملكٍ كافر عاتٍ أشركهما في ملكه وقبول الولاية فيه لو تخلّفا عن القبول لعوقبا كما عوقب الإمام الرضا وقتل لو تخلّف عن قبول ولاية العهد من المأمون بتهديده به بل بالأخير قتله بالسُّمّ في زمن قبوله على ما صرّح الصدوق والمفيد خلافاً للإربليّ وغيره فراجع[2] .

---

(١) البحار ١٤ / ٣٧١ .

(٢) كشف الغمّة وقد ردّه المجلسي طاب ثراه وأنّ القاتل كان هو المأمون لا غير . انظر البحار ٤٩ /٣١١ - ٣١٣ . والحق ما قاله المجلسي طاب ثراه .

١٦ ـ أطفأ اللّه نُورَكَ

دخـل ابن أبي سعيد المكاري على الرضا عليه السلام فقال له: أَبَلَغَ الله من قدرك أن تدّعي مـا ادّعى أبوك ؟ فقـال له : « مـا لك أطفـأ الله نـورك ، وأدخل الفقـر بيتك ، أمـا علمت أنّ الله تبـارك وتعـالى أوحى إلى عمـران إنّي واهب لك ذكـراً فوهب لـه مريم ووهب لمـريم عيسى فعيسى من مـريم ومـريم وعيسى شيءٌ واحـدٌ وأنـا من أبي وأبي منّي وأنا وأبي شيءٌ واحد . . . »[١] .

قـال ابن منظور : طفئت النّـار تطفـأ طفأ ، وطفوءاً : ذهب لهبهـا وأطفأها هو وأطفأ الحـرب ، منه على المثـل . وفي التنزيـل العزيـز : ﴿ كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفـأها الله ﴾[٢] . أي أهمـدها حتّى تبـرد وقال :

وكـانت بين آل بني عـديّ ربـاذيـةٌ ، فـأطفـأهـا زيـاد

والنّـار إذا سكن لهبها وجَمْـرهـا بعـدُ فهي خـامـدة ، فـإذا سكن

---

(١) عيون الأخبار للصّدوق ١ / ٢٤٠ ـ ٢٤١ .
(٢) سورة المائده : الآية / ٦٤ .

لهبها وبرد جمرها فهي هامدة وطافئة[1] . وجاء القرآن الكريم بالكلمة في مواضع منها: قوله تعالى : ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره** ﴾[2] **مَثَّلَتْ** حالهم بحال من ينفخ في نور الشّمس بفيه ليطفئه [3] .

والحديث الرّضويّ خرج دعاءً على ابن المكاري اللّعين المعترض على الإمام الرّضا عليه السلام أن يكون إماماً للناس كما كان أبوه الكاظم عليه السلام . فمثّل له مريم وابنها عيسى عليهما السلام وأنهما شيءٌ واحدٌ وكذا الرّضا وأبوه شيءٌ واحدٌ وهذه الوحدة قد أشار إليها أمير المؤمنين حين الوصيّة لابنه الحسن عليهما السلام بقوله : « وجدتُك بعضي بل وجدتُك كلّي حتى كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني »[4] .

قال ابن أبي الحديد : أخبر عن شدّة اتّحاد ولده به ، فقال « وجدتُك بعضي » ، قال الشّاعر :

وإنّما أولادنا بيننا . أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبّت الرّيح على بعضهم لامتنعت عيني من الغمض[5]

ويمكن أن تكون الوحدة إشارة إلى الاتحاد الرّوحيّ المعنويّ أيضاً ويدلّ عليه حدبث « أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد ، وآخرنا

---

(١) اللسان ١ / ١١٤ - ١١٥ في (طفأ) بينهم ربادية أي شر . اللسان ٣ / ٤٩١ ، في (ربذ) .
(٢) سورة الصفّ : الآية / ٨
(٣) تفسير الكشّاف ٤ / ٥٢٥ .
(٤) النّهج ١٦ / ٥٧ ، الوصيّة ٣١ .
(٥) شرح النّهج ١٦ / ٦١ .

محمّد »[1] . إذ الاتحاد المحمّدي اتّحادهم عليهم السلام في الولاية المطلقة الكبرى الّتي يشترك فيها الرّسول صلى الله عليه وآله معهم ويمتاز عنهم بالرّسالة وقد ذكر السّيّد شبّر ذلك وعده من وجوه الحديث[2] .

---

(١) مصابيح الأنوار ٢ / ٣٩٩ .

(٢) مصابيح الأنوار ٢ / ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

والمكاري هو الحسين بن أبي سعيد من رؤساء الواقفة ومن أعداء الله عزّ وجلّ قد ترجمه الكّشي في كتاب معرفة الرّجال ٤٠٥ تحت رقم ٧٦٠ ، ومعجم رجال الحديث ٥ / ١٧٩ ـ ١٨٠ .

١٧ ـ اعذر أخاك على ذنوبه

من أبيات رواها الشيخ الصّدوق طاب ثراه قال : حدّثنا الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكريّ قال : أخبرني أبو بكر أحمد بن محمّد بن الفضل المعروف بابن الخبّاز سنة أربع عشرة وثلاثمائة قال : حدثنا ابراهيم بن أحمد الكاتب قال : حدثنا أحمد بن الحسين كاتب أبي الفيّاض عن أبيه قال : حضرنا مجلس علي بن موسى ـ عليهما السلام ـ فشكى رجلٌ أخاه فأنشأ يقول :

اعذر أخاك على ذنوبه   واستر وغطّ على عيوبه
واصبر على بَهْت السّفيه   وللزّمان على خطوبه
ودع الجواب تفضّلاً   وكِلِ الظّلوم إلى حسيبه[1]

والتّصديق لذلك ما أنشده عليه السلام في الحلم كما في رواية الصّدوق أيضاً نذكرها مع حذف السند :

« إنّ المأمون قال له : هل رويت من الشّعر شيئاً فقال : قد رويت منه الكثير ، فقال : أنشدني أحسن ما رويته في الحلم فقال :

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٤ .

إذا كــان دونــي مــن بُـليـت بـجـهـله
أبـيـت لـنـفـسـي أن تـقـابـل بـالـجـهـل
وإن كــان مــثـلي فــي مـحـلّي مـن الـنّـهـي
أخــذتُ بـحـلمـي كـي أجـلّ عــن الـمِـثـل
وان كـنتُ أدنـىٰ منــه فـي الـفـضــل والـحـجىٰ
عــرفــت لــه حــقّ الـتّـقــدّم والـفـضــل[1]

من الخُلق الـرّفيـع أن يحلم عن جهـل الجهّـال إذا أرادوا النّيـل منـه وقد جـاء في حديث عنـوان البصريّ المـطوّل نذكـر منه مـا يمسّ المقـام أوصاه الصّـادق عليه السـلام بتسعة أشيـاء ثلاثـة في الرّياضة، وثلاثة في العلم وثلاثة في الحلم قال عليه السلام :

« وأمّــا اللواتي في الحلم : فمن قــال لــك : إن قلت واحــدة سمعت عشـراً فقل : إن قلت عشـراً لم تسمـع واحـدة ، ومن شتمـك فقـل له : إن كنتَ صـادقاً فيمـا تقـول فـأسـأل الله أن يغفـر لي ، وإن كنت كـاذبـاً فيمـا تقول فـالله أسأل أن يغفـر لك ، ومن وعـدك بـالخنـا فعده بالنصيحة والدعاء »[2] .

أمّا قبول العذر ففي علويّ : « اقبل عـذر أخيك وإن لم يكن لـه عذر فالتمس له عذراً »[3] . وسجاديّ : « ولا يعتذر إليـك أحد إلاّ قبلت عــذره ، وإن عـلمت أنّــه كــاذبٌ ، ولـيـقــلّ عـيـب الـنّــاس عـلى لسانك »[4] .

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٢ .
(٢) البحار ١ / ٢٢٦ .
(٣) البحار ٧٤ / ١٦٥ ـ ١٦٦ .
(٤) البحار ٧٨ / ١٤٢ .

والرّوايات في المقـام بكثرة لا يسـع ذكرهـا وإنّه من كـرم النّفس العفو عمّن ظلم والحلم عمّن جهل .

١٨ ـ الأعوان كلّما كثروا كان صاحبهم أقوى

من رواية الصّدوق المطوّلة في مناظرة الرّضا عليه السلام بسنده الى الحسن بن محمد النّوفلي ثم الهاشمي مع جاثليق رئيس النّصارى ورأس الجالوت اليهودي ورؤساء الصابئين والهربذ الأكبر وما كلّم به عمران الصّابي في التّوحيد عند المأمون :

« فقال عمران الصّابي : أخبرني عن الكائن الأوّل ،وعما خلق، قال عليه السلام : سألت فانهم ، أمّا الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض ولا يزال كذلك ، ثمّ خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة لا في شيءٍ أقامه ولا في شيء حدّه ولا على شي حذاه ولا مثّله له[1] فجعل من بعد ذلك الخلق صفوةً وغير صفوةً واختلافاً وائتلافاً وألواناً وذوقاً وطعماً لا لحاجة كانت منه إلى ذلك ولا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به ، ولا رأى لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً ، تعقل هذا يا عمران ؟ قال : نعم والله يا سيدي ، قال عليه السلام : واعلم يا عمران إنّه لو كان خلق ما خلق لحاجة ، لم يخلق إلاّ من يستعين به على حاجته ، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق ؛ لأنّ الأعوان كلّما كثروا كان صاحبهم أقوى ، والحاجة يا عمران لا يسعها لأنه [كان] لم يحدث

(١) في نسخة « ولامثله » هامش التوحيد : ٤٣١ .

من الخلق شيئاًإلاّ حدثت فيه حاجة أخرى ، ولـذلك أقـول : لم يخلق الخلق لحاجة ، ولكن نقل بالخلق الحـوائج بعضهم إلى بعض وفضّـل بعضهم على بعض بلا حاجة منه إلى من فضّـل ولا نقمة منـه على من أذلّ فلهذا خلق . . . »[١] .

وإنّما نقلنا ما قبل الكلمة المنشودة وكذا بعدها لربط الكلام .

وحـاصل سؤال عمـران أمـران . الأول : عن التـوحيـد للكـائن الأول . الثـاني عن خلقـه الخلق ، فـأجـاب عليـه السـلام عن السؤال الأول بقــولـه أمــا الــواحــد فلم يـزل واحــدا الى كلمـة « ولا يــزال كـذلـك » . وعن السؤال الثـاني من قـولـه عليـه السـلام : « ثم خلق خلقاً » إلى آخره فتدبر .

والغــرض من تفصيـل الجــواب عن الثـاني نفي الحــاجـة عن البـاري تعـالى وأنّــه غنيّ دائمـاً قبــل خلق الخلق وبعـده وإلاّ لكـان الواجب أن يزيد في الخلق بأضعاف ذلك لأمور

منها : أنّ الأعوان كلّمـا ازدادوا كان صـاحبهم أقوى إذ بـازديادهم تقل الحاجة إلى أن ترتفع من البين .

ومنها : أنّ كلّما أحـدث شيئاً من الخلق لـرفع حـاجته حـدثت فيه تعالى حاجة اخرى فـلا بدّ أن يستمـرّ في الزيـادة لرفعهـا والكلّ بـاطل لغنـاه الذّاتي نعم نقـل الحاجـة فيما بين الخلق بعضهـم إلى بعض بـلا نقمـة من هذا أو تفضيـل لذاك بـل طبع الممكن يتـطلّب ذلك وتعـالى الله عن كلّ ذلك .

واستخرجنا الكلمة الجارية[٢] لأنها من الحِكم فتدبرها .

---

(١) التّوحيد : ٤١٧ و ٤٣٠ ـ ٤٣١ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٣٧ .
(٢) اي: « الاعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى » .

١٩ ـ أُغد على بركة الله عزّ وجلّ

قال الصّدوق حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال : حدّثني محمد بن الحسن الصّفار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن محمد بن يحيى بن أبي نصر البزنطي قال بعث الرضا عليه السلام إليّ بحمار فركبته وأتيته فأقمت عنده بالليل إلى أن مضى منه ما شاء الله ،فلمّا أراد أن ينهض قال لي : لا أراك تقدرعلى الرّجوع إلى المدينة قلت : أجل جعلت فداك ، قال : فبت عندنا اللّيلة واغد على بركة الله عزّ وجلّ ، قلت : أفعل جعلت فداك قال : يا جارية افرشي له فراشي واطرحي عليه ملحفتي الّتي أنام فيها وضعي تحت رأسه مخدّتي ، قال : فقلت في نفسي من أصاب ما أصبت في ليلتي هذه لقد جعل الله لي من المنزلة عنده وأعطاني من الفخر ما لم يعطه أحداً من أصحابنا بعث إليّ بحماره فركبته وفرش لي فراشه وبتُ في ملحفته ووُضعَتْ لي مخدته ما أصاب مثل هذا أحدٌ من أصحابنا ، قال وهو قاعد معي وأنا أحدّث نفسي فقال عليه السلام لي يا أحمد إنّ أمير المؤمنين عليه السلام أتى زيد بن صوحان في مرضه يعود[ه] فافتخر على الناس بذلك قال فلا تذهبن نفسك إلى الفخر وتذلّل لله عزّ

وجلّ ، واعتمد على يده فقام عليه السلام »[1] .

هذه الكلمة المباركة قد تكرّرت في أحاديثهم عليهم السلام منها حديثه الأخر وفيه عن ابن بزيع قال « كان عندي جاريتان حاملتان فكتبت إلى الرّضا عليه السلام أعلمه ذلك وأسأله أن يدعو الله تعالى أن يجعل ما في بطونهما ذكرين وأن يهب لي ذلك قال : فوقع عليه السلام أفعل إن شاء الله تعالى ثم ابتدأني عنيه السلام بكتاب مفرد نسخته : « بسم الله الرحمن الرحيم عافانا الله وإيّاك بأحسن عافية في الدّنيا والآخرة برحمته الأمور بيد الله عزّ وجلّ يمضي فيها مقاديره على ما يحبّ يولد لك غلام وجارية إن شاء الله تعالى فسمّ الغلام محمّداً والجارية فاطمة على بركة الله تعالى فولد لي غلام وجارية على ما قاله عليه السلام » [2] .

وفي كلمات أمير المؤمنين عليه السلام : « فسر على بركة الله . . . [3] وبصيغة الجمع : « سيروا على بركة الله » له عليه السلام[4] وفي حديث عنوان البصري « إذ خرج خادم فقال : ادخل على بركة الله [5] . ويماثلها من جهة « سر على اسم الله يا حصين »[6] . و « تقدم باسم الله والبركة »[7] من الكلمات السائرة

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٢١٣ ـ ٢١٤ ، البحار ٤٩ / ٣٦ ـ ٣٧ ، ٤٩ .
(٢) عيون الأخبار ٢ / ٢٢٠ في دلالات الرّضا عليه السّلام باب ٤٧ .
(٣) النّهج ١٥ / ٩٢ ، الوصيّة ١٢ وصى بها معقل بن قيس الرياحي .
(٤) وقعة صفّين ١٤٨ ـ ١٤٩ .
(٥) البحار ١ / ٢٢٥ .
(٦) وقعة صفّين ٢٣٠ .
(٧) المصدر ص ٤٤٢ .

المقولة تيمناً وتفائلاً عند الشخوص والحركة .

قال ابن الأثير : من برك البعير إذا ناخ في موضع فلزمه . وتطلق البركة على الزيادة[1] . والمبارك من أسماء الله تعالى[2] .

(١) النّهاية ١ / ١٢٠ ، في « برك » .

(٢) أي المقدّس الطّاهر الممدوح ومنه﴿كتاب أنزلناه مبارك﴾[٦/٩٢] وإنّما سماه مباركاً لأنه ممدوح ، كلّ من تمسك به نال الفوز ، ولأنّ قرائته خير ، والعمل به خير . . . مجمع البحرين في « برك » .

٢٠ ـ أفضل المال ما وُقي به العرض

روى المجلسي رحمه الله تعالى من قصار كلمات الرّضا عليه السلام :

« أفضل المال ما وُقي به العرض »[١] :

الكلمة الرّضوية من الأمثال السائرة أو ما يقرب منها : ومن المثل السائر : « خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك »[٢] . و « خير مالك ما نفعك »[٣] وتضاهي لبعض الكلمات المرويّة عن أمير المؤمنين عليه السلام : « خير أموالك ما وقي عرضك »[٤]. بل هي هي مع تغيير ما . لأن « خير أموالك ما وقى عرضك » و « أفضل المال ما وقي به العرض » المعنى واحد نعم « خير مالك ما نفعك » المثل السائر المتقدم الذكر عام يشمل وقاية العرض وغيرها ، والمال النّافع منه أن يصون به النّفس والعرض .

والمراد بالعرض الأهل من زوجته وولده ، وماء وجهه أيضاً من العرض بأن يصونه من أن يقطره بالمسألة .

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٥٥ .

(٢) أمثال وحكم ٢ / ٧٦٧ .

(٣) مجمع الأمثال ١ / ٢٤١ ، حرف الخاء .

(٤) غرر الحكم ١٧١ ، بلفظ الخير .

وقد يطلق على غير ذلك كما جاء في النّبويّ : « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ؟ قالوا : يا رسول الله وما أبو ضمضم ؟ قال : رجل كان ممّن قبلكم كان إذا أصبح يقول : اللّهمّ إنّي أتصدّق بعرضي على النّاس عامّة » .

وقال المحدّث القمي بعد نقل الحديث : اعلم أنّه قد صرّح الفقهاء بأنّ من أباح قذف نفسه لم يسقط حقّه من حدّه ، وما روي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله : « أيعجز أحدكم ان يكون كأبي ضَمضَم » الخ ، معناه أنّي لا أطلب مظلمة في يوم القيامة ولا أخاصم عليها ، لا أنّ غيبته صارت بذلك حلالاً انتهى[1] .

وقد ذكرناه في الأمثال النّبويّة[2] ولعلّ كلمة « العرض » في النّبويّ تؤول إلى المعنى السّابق لا أنّه معنى يضادّه .

والشّيخ الحرّ قد عقد بابا من كتابه سمّاه « باب وجوب بذل المال دون النّفس والعرض ، وبذل النّفس دون الدّين » وروى خمس روايات فيه منها العلويّ : « إنّ أفضل الفعال صيانة العرض بالمال »[3] والنّبويّ : « يا عليّ أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها اللّهمّ أعنه [إلى أن قال :] والخامسة : بَذْلُك مالك ودمك دون دينك »[4] .

أقول :

حديث : « أفضل الفعال صيانة العِرْض بالمال » موافق له الرّضويّ المبحوث عنه كلّ ذلك عند عدم المزاحمة للدين وإلاّ فالدين مقدّم

---

(١) الكنى والألقاب ١ / ١٠٧ في أبي ضمضم ، السّفينة ٢ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨ في (عفا) ، وفي (ضمضم) .

(٢) ج ١ / ٢٨١ ، رقم المثل ١٨٨ ، حرف الهمزة مع الياء .

(٣) الوسائل ١١ / ٤٥١ .

(٤) المصدر ص ٤٥٢ .

٢١ ـ الافول من صفات المحدث

في حديث مطول وفيه مسائل المأمون العباسي وأجوبة الرّضا عليه السّلام عنها رواه الشّيخ الصّدوق طاب ثراه منها :

«وقال المأمون: أشهد أنّك ابن رسول الله حقّاً[١] فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ في حقّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ : ﴿ **فلما جنّ عليه اللّيل رأى كوكباً قال هذا ربى** ﴾[٢] ، فقال الرّضا عليه السّلام : إنّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقع إلى ثلاثة أصناف : صنف يعبد الزّهرة ، وصنف يعبد القمر ، وصنف يعبد الشّمس وذلك حين خرج من السرب[٣] الّذي أخفى فيه ﴿ **فلما جنّ عليه اللّيل** ﴾ فرأى الزّهرة ، قال : ﴿ **هذا ربّى** ﴾ على وجه الإنكار والاستخبار ﴿ **فلّما أفل** ﴾ الكوكب : ﴿ **قال لا أحبّ الآفلين** ﴾ ؛ لأنّ الأفول من صفات المُحدَث لا من صفات القدم ﴿ **فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربّى** ﴾ على الإنكار والإستخبار : ﴿ **فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكوننّ من القوم الضّالين** ﴾ يقول : لو لم يهدني ربّي لكنت من

---

(١) لو كانت شهادته حقّاً لما غصب حقّ الرّضا عليه السّلام .

(٢) سورة الأنعام : الآية / ٧٦ .

(٣) هو النَّفَق في الأرض .

القوم الضالين فلما أصبح ﴿ **ورأى الشّمس بازغة قال هذا ربّي هذا أكبر** ﴾ من الزّهرة والقمر على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار ، ﴿ **فلما أفلت** ﴾ قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزّهرة والقمر والشمس : ﴿ **يا قوم إنّي بريء مما تُشركون * إنّي وجّهت وجهي للّذي فطر السّموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** ﴾[1] . وإنّما أراد إبراهيم بما قال أن يبيّن لهم بطلان دينهم ، ويثبت عندهم أنّ العبادة لا تحقّ لما كان بصفة الزّهرة والقمر والشّمس ، وإنّما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات والأرض ، وكان ما احتج به على قومه ممّا ألهمه الله عزّ وجلّ وآتاه كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **وتلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه** ﴾[2] . فقال المأمون : لله درك يا بن رسول الله . . . »[3] .

إنّما أوردنا السؤال وجوابه كملاً لإكمال الفائدة ، وأمّا باقي الأسئلة وأجوبتها المذكورة في هذا الحديث فله مقام آخر .

ثم الأفول : الغروب والغيبوبة قال القائل :

فدع عنك سُعدى إنّما تُسعف النّوى ... قِران الثّريا مرّةً ثمّ تأفلُ[4]

وهو آية حدوث الآفل وصفته كما قال عليه السلام لا يصاحب القدم ولا يعرضه عقلاً بل يمتنع وبه الدّلالة على أزليّته تعالى وقدمه . قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الدّالّ على قدمه بحدوث خلقه ،

---

(١) انظر سورة الأنعام : الآية / ٧٨ ـ ٧٩ .
(٢) سورة الأنعام : الآية / ٨٣ .
(٣) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٥٦ ـ ١٥٧ ، التوحيد ٧٤ ـ ٧٥ .
(٤) معجم مقاييس اللّغة ١ / ١١٩ ، في (أفل) .

وبحـدوث خلقـه على وجـوده . . . مستشهـد بحـدوث الأشيـاء على أزليّتـه ، وبما وسمهـا به من العجـز على قدرتـه ، وبما اضـطرّها إليـه على دوامه »[1] .

وللمعتزلي سؤال وجواب حوله فراجع[2] .

---

(١) النّهج ١٣ / ٤٤ ، الخـطبـة ٢٣١ ، أولها « الحمـد لله الـذي لا تـدركـه الشواهد . . . » .
(٢) شرح النّهج ١٣ / ٤٥ .

٢٢ ـ أفيعد ما لا يفي به ؟

روى الصّدوق حديث مناظرة الإمام الرّضا عليه السّلام مع سليمان المروزي في إرادة الله جلّ جلاله هل هي فعل أم صفة ؟ منها ما يلي :

« وما الدليل على أنّ إرادته علمه ؟ وقد يعلم ما لا يريده أبداً ، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ **ولئن شئنا لنذهبنّ بالذى أوحينا إليك** ﴾[١] . فهو يعلم كيف يذهب به ولا يذهب به أبداً ، قال سليمان : لأنه قد فرغ من الأمر فليس يزيد فيه شيئاً ، قال الرضا : هذا قول اليهود ، فكيف قال عزّ وجلّ : ﴿ **ادعونى استجب لكم** ﴾[٢] . قال سليمان : إنّما عنى بذلك أنه قادرٌ عليه ، قال عليه السلام : أفيعد ما لا يفي به ؟! فكيف قال عزّ وجلّ : ﴿ **يزيد فى الخلق ما يشاء** ﴾[٣] . وقال عزّ وجلّ : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويُثبت وعنده أُمُّ الكتاب** ﴾[٤] . وقد فرغ من الأمر . فلم يحر جواباً »[٥] .

---

(١) سورة الاسراء : الآية / ٨٦ .

(٢) سورة المؤمن : الآية / ٦٠ .

(٣) سورة فاطر : الآية / ١ .

(٤) سورة الرّعد : الآية / ٣٩ .

(٥) عيون الأخبار ١ / ١٥١ ، التوحيد : ٤٥١ ـ ٤٥٢ .

خلف الوعد في العقول قبيح ولا سيّما من القادر الغنيّ بالذّات بناء على مذهب العدل الّذي يقوله أهله وهم الإماميّة والمعتزلة القائلون بعدم الجبر في أعمال العباد، ولكنّ فرقة المعتزلة اليوم تجدهم في مناظراتهم يذهبون مذهب الأشاعرة الذّاهبين إلى الجبر. وأمّا اليهود فيقولون بأنّ الله عزّ وجلّ قد فرغ من الأمر وفوّض كلّ شيءٍ إلى العباد وسليمان المروزي في مناظرته الآنفة الذّكر يذهب مذهب اليهود الزّاعمين بأنّه جلّ جلاله قد فرغ من الأمر فردّه الرّضا عليه السلام بما لم يحر جواباً بآي من القرآن الكريم النّاطقة على ضدّ قوله وسليمان قد استاد بالتمسّك بقول اليهود الباطل ولا يؤمن بالحقّ شأن الجاهل المكابر حتّى بعد سطوع البرهان وحكم العقل السّليم بأن القول بالفراغ من الأمر إنكار للقدرة المطلقة الذّاتية قال تعالى فيما اقتصّ عن اليهود: ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ... ﴾[1].

ومن هنا يتجه السّؤال:

لماذا يُطريه المأمون وأنّه متكلم خراسان؟ والجواب أنّ الغاية من الإطراء لأمثال سليمان الخداع وإرادة الفتك به عليه السلام إن قيل إنّه عدليّ[2]، لا يهوديّ المسلك الأعمى؛ وحبّ الرّئاسة هو الّذي يُعمي ويصمّ كائناً من كان.

---

(١) سورة المائدة: الآية / ٦٤.

(٢) نسبة إلى العدل أي قائل به وبأصل الحسن والقبح العقليين.

٢٣ ـ الآن جئت بالنّصفة

روى الصّدوق مجلس الرّضا عليه السّلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس الجالوت ورؤساء الصابئين والهربذ الأكبر . . .

بإسناده عن الحسن بن محمد النّوفلي قال : « ثم التفت ـ أي المأمون ـ إلى جاثليق فقال : يا جاثليق هذا ابن عمّي عليّ بن موسى بن جعفر وهو من ولد فاطمة بنت نبيّنا وابن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام فأحبّ أن تكلّمه وتحاجّه وتنصفه، فقال الجاثليق : يا أمير المؤمنين كيف أحاجّ رجلا يحتجّ عليّ بكتابٍ أنا منكره ونبيّ لا أؤمن ؟ فقال له الرّضا عليه السّلام : يا نصراني فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقرّ به ؟ قال الجاثليق : وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل ؟ نعم والله أقرّ به على رغم أنفي ، فقال له الرّضا عليه السلام : سل عمّا بدا لك ، وافهم الجواب ، قال الجاثليق : ما تقول في نبوّة عيسى عليه السلام وكتابه هل تنكر منهما شيئاً ؟ قال الرّضا عليه السّلام : أنا مقرٌّ بنبوّة عيسى وكتابه وما بشّر به أمّته وأقرّ به الحواريّون ، وكافرٌ بنبوّة كلّ عيسى لم يقرّ بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وبكتابه ولم يبشّر به أمّته قال الجاثليق : أليس إنّما تقطع الأحكام بشاهدي عدل ؟ قال : بلى ، قال : فأقم شاهدين من غير أهل ملّتك على

نبوّة محمّد ممّن لا تنكره النصرانية وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا ، قال الرضا عليه السّلام : الآن جئت بالنصفة يا نصراني . . . . »[1] .

كلمــة : « الآن جئت بـالنصفــة » نـظير آيــة : ﴿ **آلئٰن جِئت بالحق** ﴾[2] . وفي القـرآن الكـريم ثماني آيات ومنها الآية المذكورة جاءت فيها كلمة « الآن » : ﴿ **فـآلئٰن باشـروهن** ﴾[3] . و﴿ **قال إني تبتُ آلئٰن** ﴾[4] . و ﴿ آلئٰن خفّف الله عنكم ﴾[5] . و ﴿ **آلئٰن حـصحص الحقّ** ﴾[6] . و ﴿ **فمن يستمـع الئٰن يجـد لـه شهـابـاً رصـداً** ﴾[7] . و ﴿ **آلئـٰن وقــد عصـيـت قبــل** ﴾[8] . و ﴿ **آلئٰن وقــد كـنـتـم بــه تستعجلون** ﴾[9] .

وفي الأحاديث منها قول أمير المؤمنين عليه السلام : « الآن إذ رجع الحق إلى أهله »[10] .

ومن الأمثال : « الآن حميَ الوطيس » وهو مثل نبويّ كما قاله

---

(١) التّوحيد ٤١٧ و ٤٢٠ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٢٦ و ١٢٨ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٧١ .
(٣) سورة البقرة : الآية / ١٨٧ .
(٤) سورة النّساء : الآية / ١٨ .
(٥) سورة الانفال : الآية / ٦٦ .
(٦) سورة يوسف : الآية / ٥١ .
(٧) سورة الجنّ : الآية / ٩ .
(٨) سورة يونس : الآية / ٩١ .
(٩) سورة يونس : الآية / ٥١ .
(١٠) النهج ١ / ١٣٩ ، الخطبة ٢ .

الميداني[1] . أي حلّ وقته ،ومعنى الكلمة الرضويّة : أنّك أنصفت في هذا الوقت ؛ لأنّ الآن : اسم للوقت الذي أنت فيه وهو ظرف وقع معرفة ولم تدخل عليه لام التعريف لأنّه ليس له ما يشركه كما عن بعض[2] . وقال الخليل : الآن مبنيّ على الفتح[3] وظاهره الدخول ثم الأستعمال علىٰ البناء ، وجمعه الآنات والآناء . ومنه آية : ﴿ **أمّن هو قانت ءاناء الليل ساجداً وقائماً** ﴾[4] . جمع « آن » : وهو اسم لشيءٍ من الوقت وبعد دخول الألف واللام خصّ بالحاضر . قال ابن منظور : وقالوا : الآن فجعلوه اسماً لزمان الحال ثم وصفوا للتّوسّع فقالوا : أنا الآن أفعل كذا[5] . وفي صادقيّ : « فأنا الآن أصليّها إذا سقط القرص »[6] .

وكيف كان إنّ كلمة « الآن جئت بالنّصفة » تطابق قوله تعالى : ﴿ **آلئن جئت بالحق** ﴾[7] .

والنّصفة والنّصف : العدل وهو من الحق وإن كان الحق أشمل ، قال الطريحي : ومنه الحديث : « خافوا الله حتّىٰ تعطوا من أنفسكم النّصف » أي : الإنصاف . ومثله حديث علي عليه السلام : « ولا جعَلوا بيني وبينهم نَصَفاً »[8] . والنَّصف : الذي يَنْصفُ[9] .

---

(١) مجمع الأمثال ٢ / ١٠٥ حرف القاف ، الأمثال النّبويّة ١ / ٣٦ ، رقم ١٥ ، حرف الهمزة .

(٢) اللّسان ١٣ / ٤٢ في « أين » نقلاً عن الجوهري .

(٣) اللّسان ١ / ٤٣ ، في « أين » .

(٤) سورة الزّمر : الآية / ٩ .

(٥) اللّسان ١٣ / ٤١ ، في « أين » .

(٦) الوسائل ٣ / ١٢٩ .

(٧) سورة البقرة : الآية / ٧١ .

(٨) مجمع البحرين في(نصف) ، والعلويّ في النّهج ١ / ٣٠٣ ، الخطبة ٢٢ .

(٩) شرح النّهج للمعتزلي ١ / ٣٠٤ .

وجاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام الاهتمام بالإنصاف منها العلويّ في قول الله تعالى : ﴿ **إنّ الله يأمر بالعدل والإحسن** ﴾[1] . «العدل : الإنصاف ، والإحسان : **التّفضّل**» [2] . والصّادقيّ : « ألا أخبرك بأشَدَّ ما افترض الله على خلقه ؟ إنصاف النّاس من أنفسهم ، ومواساة الإخوان في الله عزّ وجلّ ، وذكر الله على كلّ حال فإن عرضت له طاعة الله عمل بها، وإن عرضت معصيته تركها »[3] . والعلويّ : « ومن إنصافه قبوله الحق إذا بان له »[4] ، والآخر : ألا من ينصف النّاس من نفسه لم يزدده الله إلا عزّاً »[5] .

والخوف في السّرّ يسبّب حصول النصف كما في كاظمي : « وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف »[6] .

إنّ العزّة مشهودة لمن أنصف الناس من نفسه حتى الكافر فتجد المعصوم عليه السلام يشهد للنصراني بأنّه جاء بالنّصفة حين طلب منه أقامة شاهدين من غير أهل ملّته على نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وكذا النّصراني على نبوّة عيسى عليه السلام فالمنصف وإن لم يكن له دين مبّجلٌ .

ويقابل النّصفة المباهتة والتّسرّع إلى النّيل من صاحبه إبقاء لماء وجهه ولم يدر المباهت المتعنّت أن ترك الإنصاف ذاهب به

---

(١) سورة النحل : الآية / ٩٠ .
(٢) البحار ٧٥ / ٢٩ .
(٣) البحار ٧٥ / ٢٦ .
(٤) البحار ٧٨ / ٨٠ .
(٥) البحار ٧٥ / ٣٣ .
(٦) أصول الكافي ٢ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

وسبب لسقوطه عن الأنظار، ولعمر الحق أنّ الآية الآمرة بالعدل والإحسان ـ والعدل هو الإنصاف كما نصّ عليه في الحديث المتقدّم ـ ، كافية لمن أنصف وإلاّ فلم تُغنه كتب السّماء وإنذار المنذرين ، ولا شيء من الأشياء ؛ لأنّ المباهت المتعنّت يمنعه تعنّته من قبول الحقّ ولازمه الجحود المفضي به إلى الكفر .

٢٤ - إلى حيث وجّهتني

روى الشّيخ الصّدوق بإسناده عن أبي الصّلت الهروي في حديث عن الرّضا عليه السلام قال فيه :

« يا أبا الصّلت غداً أَدْخلُ على هذا الفاجر ، فإن أنا خرجت وأنا مكشوف الرّأس فتكلّم أكلّمكَ ، وإن أنا خرجت وأنا مغطى الرّأس فلا تكلّمني . قال أبو الصّلت :

فلّما أصبحنا من الغد لبس ثيابه وجلس فجعل في محرابه ينتظر فبينا هو كذلك إذ دخل عليه غلام المأمون ، فقال له : أجب أمير المؤمنين فلبس نعله ورداءه وقام يمشي وأنا أتبعه حتى دخل [على] المأمون : وبين يديه طبقٌ عليه عنبٌ وأطباق فاكهة وبيده عنقود قد أكل بعضه وبقي بعضه ، فلّما أبصر بالرّضا ـ عليه السّلام ـ وثب إليه فعانقه وقبّل ما بين عينيه وأجلسه معه ثمّ ناوله العنقود ، وقال : يا ابن رسول الله ما رأيت عنباً أحسن من هذا ، فقال له الرّضا ـ عليه السلام ـ ربّما كان عنباً حَسناً يكون من الجنّة، فقال له : كل منه ، فقال له الرّضا ـ عليه السّلام ـ :تعفيني منه فقال : لا بد من

ذلك وما يمنعك منه لعلّك تتّهمنا بشيءٍ فتناول العنقود فأكل منه ثمّ ناوله فأكل منه الرّضا ـ عليه السلام ـ ثلاث حبّات، ثمّ رمى به، وقام، فقال المأمون: إلى أين؟ فقال: إلى حيث وجّهتني، فخرج عليه السلام مغطّى الرّأس فلم أكلّمه حتّى دخل الدّار، فأمر أن يغلق الباب، ثم نام على فراشه . . . »[1].

قوله عليه السلام: « إلى حيث وجهتني » كناية عن قتله إيّاه والظّفر بما أراد من مجيىء الإمام عليه السلام.

والكلمة بعده سارت مثلاً تقال فيمن نوى السّوء بآخر من طريق الخداع يعلم به المخدوع، وكذلك المأمون رأس الخادعين وعفريت هذه الأمّة[2] لم ينو بالإمام عليه السلام منذ رآه إلى يوم قتله إلاّ السّوء والخداع.

ومن الغريب توقّف بعض أصحابنا في أنّه قاتله وقد ذهب الصّدوق والمفيد رحمهما الله تعالى وغيرهما إلى أن قاتل الرّضا عليه السّلام هو المأمون العبّاسي[3] وما قدّمه من تبجيل ظاهر وولاية العهد المفروض قبولها على الإمام عليه السلام كان خداعاً محضاً أراد بذلك كلّه السّوء به حتّى جميع المناظرات ومجموعها تسعة مع أرباب المذاهب وعلماء الكلام الذين جمعهم المأمون وأمرهم بها رجاء الغلبة عليه عليه السلام وكسره، ولم يعلم أو علم ولكنّه تجاهل أنّه حجّة الله البالغة ونوره الّذي أراد إتمامه ولو كره الكافرون

(١) عيون الأخبار ٢ / ٢٤٤ ـ ٢٤٥، باب ٦٣.

(٢) كما في خبر اللّوح: « يقتله عفريت مستكبر . . . » عيون الأخبار ١ / ٣٥، باب ٦.

(٣) البحار ٤٩/ ٣١٣ ـ ٣٣١.

وكما قال عليه السلام لأصحابه الّـذين يثق بهم : « ولا تغتروا بقـوله ، فمـا يقتلنيِ والله غيره ، ولكنـه لا بدّ لي من الصّبـر حتى يبلغ الكتـاب أجله »[1].

وأكثر من مرّة قد أخبر بـأنّ المأمـون قاتله ، فلم يبق شـوب شكّ أنّه هو .

---

(١) عيـون الأخبـار ٢ / ١٨٣ ، وحـرف الـحـاء مـع التّـاء نـفس « حـتى يبلغ . . . » .

٢٥ ـ الإمام البدر المُنير

في الرّواية المطوّلة في فضل الإمام وصفاته عن الرّضا عليه السّلام :

« الإمام كالشمس الطّالعة المجلّلة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار ، الإمام البدر المُنير ، والسّراج الزّاهر ، والنّور السّاطع . . . »[١]

وزّعنا هذه الرّواية على عدد من الأمثال المذكورة فيها منها : « الإمام كالشّمس الطّالعة »[٢] قال الشيخ الطّريحي : سمّي البدر أعني القمر ؛ لأنّه يبدر الشّمس : أي يسبقها بطلوعه . وقيل : سمّي بدراً لتمامه وامتلائه ، وكلّ شيءٍ تمّ فهو بدر . وليلة البدر ليلة أربعة عشر[٣] .

البدر أحد تشكّلات القمر الحاصلة من قربه من الشّمس أو بُعده وقد نقل الشّيخ المجلسي في كتاب السّماء والعالم علل ذلك

(١) حرف الهمزة مع الرّاء : وأصول الكافي ١ / ٢٠٠ .
(٢) حرف الهمزة مع الميم .
(٣) مجمع البحرين في (بدر) .

عن بعضهم قال :

ذهبوا إلى أنّ جرم القمر مظلم كثيف صقيل يقبل من الشّمس الضّوء لكثافته، وينعكس عنه لصقالته، فيكون أبداً المضيء من جرمه الكرويّ أكثر من النّصف بقليل، لكون جرمه أصغر من جرم الشّمس، وقد ثبت في الأصول أنّه إذا قبل الضّوء كرة صغرى من كرة أعظم منها كان المضيء من الصّغرى أعظم من نصفها، وتفصل بين المضيء والمظلم دائرة قريبة من العظيمة تُسمّى دائرةً النور: وتفصل بين ما يصل إليه نور البصر من جرم القمر وبين ما لا يصل دائرة تُسمى دائرة الرؤية، وهي أيضاً قريبة من العظيمة؛ لما ثبت في «٢٤» من مناظر اقليدس أنّ ما يرى من الكرة يكون أصغر من نصفها ، وهاتان الدّائرتان يمكن أن تتطابقا ، وقد تتفارقان إمّا متوازيتين ، أو متقاطعتين ، أو لاذا ولا ذاك ، وقد تُؤخذان عظيمتين ؛ إذ لا تفاوت في الحسّ بين كلّ منهما وبين العظيمة ويجعل ما يقارب التطابق تطابقاً ، فإذا اجتمعت الشّمس والقمر صار وجهه المضيء إليها والمظلم إلينا وتطابق الدائرتان وهو المحاق فإذا بعد عنها يسيراً تقاطعت الدّائرتان على حوادّ ومنفرجات ، فإذا بعد منها قريباً من اثنتي عشرة درجة يرى من وجهه المضيء ما وقع منه بين الدّائرتين في جهة الحادّتين اللّتين إلى صوب الشّمس وهو الهلال ، ولا تزال هذه القطعة تتزايد بتزائد البعد عن الشّمس والحوادّ تتعاظم والمنفرجات تتصاغر حتّى يصير التّقاطع بين الدّائرتين على قوائم ، ويحصل التّربيع فيرى من الوجه المضيء نصفه ، ولا يزال يتزايد المرئيّ من المضيء ، ويتعاظم انفراج الزاويتين إلى وقت الإستقبال ، فتطابق الدائرتان مرّة ثانيةً ويصير الوجه المضيء إلينا وإلى الشمس معاً وهو البدر .

ثم يقع التّقارب فيعود تقاطع الدائرتين على المختلفات أولاً ثم على قوائم ثانياً وحصل التّربيع الثاني . ثم يؤول الحال إلى التطابق

فيعود المحاق ، وهكذا إلى ما شاء الله[1] .

من ذلك كلّه جاء التّشكّل إلى الهلال ، والبدر ، والتّربيع ، والمحاق والكلّ قمر باسمه الشّامل وإنّما نقلنا الكلام لبيان موقع البدر وقد علم أنّ القمر بماله من أشكال ، مستنيرٌ بنور الشمس فهي الأصل لها .

وكذلك بدر الإمامة وقمرها مستنيرٌ من نور شمس النبوة كما جاء تمثّلها بالشّمس وتمثّل الإمامة بالقمر في الحديث النّبويّ عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال :

« صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً صلاة الفجْر ثم انفتل وأقبل علينا يحدّثنا فقال : أيها النّاس من فقد الشّمس فليتمسك بالقمر ، ومن فقد القمر فليتمسّك بالفرقدين قال فقمت أنا وأبو أيّوب الأنصاري ومعنا أنس بن مالك فقلنا يا رسول الله من الشّمس ؟ فقال : أنا فإذا هو صلى الله عليه وآله ضَرَبَ لنا مَثَلاً فقال : إنّ الله خلقنا بمنزلة نجوم السّماء كلّما غاب نجمٌ طلع نجمٌ فأنا الشّمس فإذا ذهب بي فتمسّكوا بالقمر ، قلنا فمن القمر ؟ قال : وصيّي ووزيري وقاضي ديني وأبو ولدي وخليفتي في أهلي عليّ بن أبي طالب ، قلنا فمن الفرقدان ؟ قال : الحسن والحسين ثم مكث مليّاً وقال : فاطمة هي الزّهرة وأهل بيتي هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفترقان حتّى يراد عليّ الحوض »[2] .

ومنه يتجلّى التمثيل بالبدر ويزيدك وضوحاً الصّادقيّ في تفسير ﴿ **والشّمس وضحٰها * والقمر إذا تلٰها** ﴾[3] . قال : « الشّمس

(١) البحار ٥٨ / ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢) امالي ابن الشيخ الطوسي ٢ / ١٣٠ ـ ١٣١ الأمثال النبوية ٢ / ٢٨١ ، رقم المثل : ٥٧٦ ، حرف الميم مع النون .

(٣) سورة الشمس الآية / ١ ـ ٢ .

رسول الله ، والقمر أمير المؤمنين »[1] وقد ذكرنا عند المثل : « الإمـام كـالشّمس الطالعـة » ما لـه علقة بـالبحث الجاري فـراجع[2] والـوجـوه الّتي يمكن أن تكون سبب التّمثيل بذلك .

---

(١) تفسير البرهان ٤ / ٤٦٧ .

(٢) حرف الهمزة مع الميم .

٢٦ ـ الإمام السّحاب الماطر

روى الشّيخ الكليني طاب ثراه بإسناده عن الرّضا عليه السّلام كلامه المشتمل على خصائص الإمام والإمامة ، ومنه قوله عليه السلام .

« الإمام السّحاب الماطر ، والغيث الهاطل ، والشّمس المضيئة . . . »[١] .

« الشّمس المضيئة » تفسيرها مذكور في تمثيل : « الإمام كالشّمس الطّالعة » . فراجع[٢] و « السّحاب الماطر » ، فيه جهات ثلاث من البحث : شرح المفردات . ذكر الأمثال المتناسبة من كلمات الأدباء . والثالثة بيان الغرض من التمثيل .

الجهة الأولى :

السّحاب واحده السّحابة : التي يكون عنها المطر سميّت بذلك لانسحابها في الهواء قال ابن منظور : وخليق أن يكون سحب

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ .

(٢) حرف الهمزة مع الميم .

جمع سحاب الّذي هو جمع سحابة فيكون جمع جمع وفي الحديث[1] : كان اسم عمامته السّحاب. وسحبان : اسم رجل من وائل كان لسناً بليغاً يضرب به المثل في البيان والفصاحة . وسحابة : اسم امرأة قال :

* أيا سحابُ بشّري بخير *[2]

والماطر من المطر قال ابن منظور : المطر : الماء المنسكب من السّحاب ، والمطر ماء السّحاب والجمع أمطار ومطر اسم سمي به من حيث سمّي غيثا[3] .

قال الطّريحي : وكان عليّ عليه السلام يقول في المطر : « إنّ تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت أرزاق الحيوانات فإذا أراد الله أن ينبت ما يشاء لهم رحمة منه لهم أوحى الله فمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتّى يصير إلى سماء الدّنيا فيلقيه إلى السّحاب والسّحاب بمنزلة الغربال ثم يوحي إلى الرّيح أن أطجنيه وأذيبيه[4] ذوبان الماء ثم انطلقي إلى موضع كذا وكذا وما من قطرةٍ تقطر إلاّ ومعها ملك حتّى يضعها موضعها ولن ينزل من السماء قطرة إلاّ بعدد معدود معلوم »[5] . والغيث قسم من المطر والهاطل من الهطل : نتابع المطر المتفرق العظيم القطر وهو مطر دائم مع سكون وضعف

---

(١) ومنه النّبويّ : « أتاكم عليّ تحت السّحاب » . مكارم الأخلاق ٣٧ ، وفيه أيضاً بلفظ : « أتاكم عليّ في السّحاب » .

(٢) اللّسان ١ / ٤٦٠ في (سحب) .

(٣) اللّسان ٥ / ١٧٨ ، في (مطر) .

(٤) «أطجنيه» من الإطجان والطّجن : القلى . و « أذيبيه » من الإذابة .

(٥) مجمع البحرين في (مطر) وللحديث شرح ليس هنا محلّ ذكره .

وقيل : تتابع القطر المتفرّق العظام [1]

الجهة الثانية :

« السحاب الماطر » يقال لمن يرجى إفضاله ، وإذا احتجبت السماء بالسحاب جاء الرجاء قال أبو تمام :

* أنّ السماء ترجى حين تحتجب *

وقد شبّه المطر ببكاء السماء :

إنّ السّماء إذا لم تبك مقلتها
لم تضحك الأرض عن شيءٍ من الزّهر

وإذا أريد المثل بالأخذ من القلة إلى الكثرة قيل :

* وأوّل الغيث رش ثمّ ينسكب *[2]

وللقوم كلمات حول السّحاب والرّعد والبرق والمطر لا يناسب المقام إلّا ما كان فيه نوع من الرّبط ، من ذلك قول ابن عبّاس ، « المطر بعل الأرض » أي يلقحها . وفرّ فلان من القطر ، وقعد في الميزاب .

* ومن يسدّ طريق العارض الهطل *

وسبق سيله مطره .

---

(١) اللسان ١١ / ٦٩٨ ، في (هطل) .
(٢) التّمثيل والمحاضرة ٢٣٦ .

* قبل السحاب أصابني الوكفُ *

* سحاب عدا في فيضه وهو صيّبُ *

والصّيّب : السّحاب ذو المطر .

ابن الروميّ :

لكم علينا امتنان لا امتنان به وهل تمنّ سماواتٌ بـأمطار

وقال غيره :

والله ينشي سحـاباً تـطمئن بـه النّـ ـفوس من قبل بلّ الأرض بالمطر

منصور الفقيه :

فـامنن بما شئت من نـوال إن لم يكن وابل ، فطلّ [1]

وقال أبو عيينة :

أبـوك لـنـا غيث نـعيش بـظله وأنت جـراد لست تبقى ولا تـذر

وكنت فيهـم كمـمـطور ببـلدتـه يسـر أن جمـع الأوطـان والمـطرا

وآخر :

ورب جـوادٍ يـمسـك الله جـوده كما يمسك الله السحاب عن المطر

وآخر :

وإني أرى التـأديب عنـد وجـوبـه بمنـزلة الغيث الـذي قبله الجدب

وآخر :

---

(١) إشارة إلى آية : ﴿ **فإن لم يصبها وابل فطل** ﴾ سورة البقرة : الآية ٢٦٥ .

أنـا في ذمّـة السحـاب وأظمـى　　　إن هـذا لوصمـة في السحـاب[1]

الجهة الثّالثة :

الغرض من تمثيل الرّضا عليه السلام الإمـام بالسّحـاب الماطـر بيان النّفع والحيـاة الطّيّبـة فكما أنّ الأرض الميتـة يحييها الله عـزّ وجلّ بـالمطر فتصبـح مخضرّة ذات نبـات بهيج فتكـون بالـزّروع والمـواشي والأنـاسي معمورة ومـزدهرة كـذلك بـالإمـام وعلومـه وفضـائله القلوب مبتهجـة معمورة قـال تعـالى : ﴿ **ألم تـر أنّ الله أنـزل من السمـاء مـاءً فتصبـح الأرض مخضّـرةإنّ الله لـطيف خبير**﴾[2] . من عظيم الأثر الذى يعقب المطر تعرف عظمة نفعـه ولا حياة لـذوي الحياة إلاّ بـالماء كمـا قال عزّ من قائل : ﴿ **وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ** ﴾[3] .

والإمام ماء الحياة الأبديّة المباركة جعل الله جـلّ جلالـه به حيـاة العباد والبلاد وقـال تعالى في آي أخـرى منها : ﴿ **وأنـزلنا من السّمـاء مـاء فأنبتنـا فيها من كـلّ زوج كريم** ﴾[4] . قـال الفيض :من كلّ صنف كثير المنفعة[5] .

كـذلك الإمـام هو المـاء الّذي ينبت بـه كـلّ زوج كـريم بعلومـه الحقيقيـة العين الصّافيـة ومـا جـاء في الأثـر أنّ الحكم إذا صـدر تقيّـة قيل (أعطاك من جراب النورة لا من العين الصافية)[6] ، وإذا كان حكماً واقعياً

---

(١) التّمثيل والمحاضرة ٢٣٦ ـ ٢٤٠

(٢) سورة الحجّ : الآية / ٦٣ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية / ٣٠ .

(٤) سورة لقمان : الآية / ١٠ .

(٥) تفسير الصّافي : ١ / ٣٠٧ .

(٦) مجمع البحرين في (نور) .

قيل : (لقد أخذته من عين صافية)[1] . فهو اصطلاح بين الأصحاب وإلاّ فالكلّ هو من عين صافية لأنّ علوم أهل البيت عليهم السلام مستقاة من الرّحمن كما قال السيّد محسن الأمين :

هم أبحر العلم الّتي ما شانها كدر ومجراها من الرّحمن[2].

إنّ الأئمة عليهم السلام يضمنون الحياة الطّيّبة الظّاهرية والباطنيّة للعباد والبشر كلّه إن هم أخذوا بحجرتهم وساروا على ضوءهم، لأنهم الهداة الى الطرق التي تسلك سالكها إلى الجنّة، فمن اتّبع هداهم نجا، ومن تخلّف هوى وقد جاء في دعاء شعبان: «اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ويغرق من تركها المتقدم لهم مارق والمتأخّر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق »[3] .

ولا يكون المتخلّف إنساناً بل بصورة إنسان يأكل كما تأكل الأنعام . كما قال تعالى : **﴿ والّذين كفروا يتمتّعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنّار مثوى لهم ﴾**[4] . و **﴿ إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً ﴾**[5]

---

(١) الوسائل ١٧ / ٥٤٢ ، باب ١ من أبواب ميراث ولاء العتق الحديث ١٦ ، ما معناه .

(٢) المجالس السّنيّة ٥ / ٣٦٨ .

(٣) الإقبال ٦٨٧ .

(٤) سورة محمد : الآية / ١٢ .

(٥) سورة الفرقان : الآية / ٤٤ .

٢٧ ـ الإمام كالشّمس الطّالعة

في رواية الكليني والصّدوق عن الرّضا عليه السلام المشتملة على أوصاف الإمام وفيها عدّة تمثيلات منها قوله عليه السلام :

« الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار »[1] .

هو من أرفع تمثيل ضربه عليه السلام لبيان رتبة الإمام في العالم كله لا ينتظم إلّا به كما أنّ الشمس من مظاهر انتظام العالم لولاها لأختلّ نظم المعاش في النّهار ؛ قال تعالى : ﴿ **وجعلنا النّهار معاشاً** ﴾[2] . ولانهار إلّا بالشّمس ، كذلك الإمام لولاه لاختلّ نظام القلوب والأرواح ولفقدت أقواتها من العلوم والمعارف وبفقدها الهلاك والإهلاك . هذا أحد وجوه الشّبه بين الإمام والشّمس .

ومنها: الجمال والبهاء لعالم الدّنيا بالشّمس وسائر الأنظمة

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ ، وعيون الأخبار ١ / ١٧٢ ، وحرف الهمزة مع الرّاء .

(٢) سورة عمّ : الآية / ١١ .

الجويّة المنيرة أصلها الشمس وقيل إنّ نورها من ضياء الشّمس قال تعالى : ﴿ **هو الّذي جعل الشّمس ضياءً والقمر نوراً** ﴾[1] وكذلك الإمام هو شمس شموس الآفاق والأنفس وجمالها وبهاؤها إذ جماله من جمال الله وبهاؤه من بهاء الله؛ لأنه المتخلّق بأخلاق الله عزّ وجلّ .

ومنها: أن الغاية من خلق الشّمس وصول العالم إلى كماله الظاهري الممكن من جماد ونبات وإنسان وغيرها بشروقها وغروبها وفصولها الأربعة الّتي تترك لها الأثر المرغوب من ذلك . وكذلك الإمام الغاية من خلقه إكمال الآخرين وإيصالهم إلى كمالهم المنشود أو قل إنّ الغاية من الإضائة ، وتربية العناصر والحيوانات والنباتات والجمادات وكلّ شيءٍ بشروق الشمس وغروبها أن تصل إلى كمالها المرتقب والإمام هو المربّي وهادي النّفوس نصبه الله عزّ وجلّ علماً لذلك ونقصد من هذا ما هو شأن الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام الّذين هم هداة البشر منهم الأئمة الطاهرون الأثنا عشر المعصومون المقصودون بكلمة الإمام في كلام الرّضا عليهم السلام وغاية الغايات هي معرفة الباري جلّ جلاله والعلم بالقدرة والإحاطة المطلقة كما قال تعالى : ﴿ **الله الّذى خلق سبع سموٰات ومن الأرض مثلهن يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً** ﴾[2] . والإمام هو العالم بذلك ويعلّم الآخرين .

ومنها: الجلال والعظمة والرفعة المتجلّية في كمال الصّنع وإتقانه في الشّمس وغيرها من الأنظمة السّماوية وكذلك الإمام في

---

(١) سورة يونس : الآية / ٥ .

(٢) سورة الطلاق : الآية / ١٢ .

صنعه العظمة والجلال ففي رضويّ يصف المهدي : « عليه جيوب النّور تتوقّد بشعاع ضياء القدس »[1] . وعلويّ يصف النبي « كأنّ ماء الذهب يجري في صفحة خده ورونق الجلال يطرد في أسرّة جبينه »[2] . وإذا ثبت لواحد منهم ثبت لجميعهم عليهم السلام ، فيمكن أن يكون وجه التّمثيل بالشّمس أحد هذه الوجوه أو كلّها ولعلّ أوجهها هواستنارة الخلق بنور الإمام ؛لأنّه نور الله المشرق في الأرض كما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة : « وأشرقت الأرض بنوركم »[3] فكما أن القمر والكواكب كلّها تستنير بنور الشمس كذلك الكون كلّه مستنير بنور الإمام فيكون تمثيله بها من هذا الوجه . فهنا أمران : نوريّة الإمام واستنارة غيره به . ونوريّة الشمس واستنارة المنظومة السّماوية : القمر والكواكب بها وهذا الوجه النّوريّ أوجب تمثيل الإمام بالشّمس وهو من أرفع الوجوه وأنورها .

ولإثبات الأمر الأوّل يقال :

لعلّ قول أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى معاوية : « فإنّا صنائع ربّنا والناس بعد صنائعُ لنا »[4] . ناظر إلى الوجه المذكور بالنّظر الدّقيق وقد أشار إليه ابن أبي الحديد في شرحه له بما يلي :

قال عليه السلام : « فإنّا صنائع ربّنا ، والنّاس بعدُ صنائع لنا » : هذا كلام عظيم عالٍ على الكلام ، ومعناه عالٍ على المعاني وصنيعة المَلِك من يصطنعه المَلِك ويرفع قدره . يقول :

---

(١) إكمال الدين ٢/ ٣٧١ ، واثبات الهداة ٣ / ٤٥٦ .

(٢) النهاية ٢ / ٣٥٩ ، في (سرر) . ومن العظمة والرّفعة في البحار ٥٨ / ٢١٢ .

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ / ٢٨١ ، والمفاتيح ٥٤٩ .

(٤) النّهج ١٥ / ١٨٢ ، كتاب ٢٨ .

ليس لأحد من البشر علينا نعمة ، بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا ، فليس بيننا وبينه واسطة ، والنّاس بأسرهم صنائعنا ، فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى ، وهذا مقام جليل ظاهره ما سمعت وباطنه أنّهم عبيد الله ، وأنّ النّاس عبيدهم[1] .

واللفظ المرويّ عن النّاحية المقدّسة : « ونحن صنائع ربّنا والخلق بعدُ صنائعنا »[2] ، وهو أشمل من اللّفظ العلويّ إلاّ أن يقال إنّه الأصل والمهدويّ الفرع فيحمل الفرع على الأصل في اللّفظ والمعنى ، وأنّهم عليهم السلام وسائط خلق الخلائق خصّهم الله عزّ وجل بذلك دون غيرهم وقد جاء في القدسيّ : « لولاك لما خلقت الأفلاك »[3] . واختصاص الأفلاك لعظمتها فيثبت غيرها بالطّريق الأولى ، وما رواه الشّيخ الصّدوق عن الصّادق عليه السلام مخاطبة الله آدم وحواء : فقال الله تعالى : « لولاهم ما خلقتكما »[4] ، والدعاء الرّجبيّ : « . . . فبهم ملأت سماءك وأرضك حتّى ظهر أن لا إله إلا الله »[5] . والمراد من كلّ ذلك نور الوجود في العالم بالموجود النّوريّ والمعصوم علّة غاية الإيجاد للكون كلّه .

أمّا الأمر الثاني أي استنارة القمر والكواكب فقد ذكره المجلسي في كتاب السماء والعالم بتفصيل فراجع[6]

ثم هنا وجه آخر لتمثيل الإمام بالشّمس بأن يراد من الشمس

---

(١) شرح النّهج ١٥ / ١٩٤ .

(٢) الاحتجاج ٢ / ٢٧٨ والبحار ٥٣ / ١٧٨ .

(٣) مجمع النورين وملتقى البحرين ص ١٤ .

(٤) الجواهر السّنيّة ٢٥٥ من كتاب معاني الأخبار .

(٥) الإقبال ٦٤٦ والمفاتيح ١٣٤ .

(٦) البحار ٥٨ / ١٥١ .

رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام القائم مقامه فلذا قال كـالشّمس والصّادقي دالّ عليه (١) .

---

(١) تفسير البرهان ٤ / ٤٦٧ لقوله تعالى : ﴿ **والشّمس وضحاها ، والقمر إذا تلاها** ﴾ وانظر المثل « الإمام البدر المنير » حرف الهمزة مع الميم .
والأمثال النبويّة ٢ / ٢٨١ ، رقم المثل ٥٧٦ ، حرف الميم مع النون .

٢٨ ـ الإمام الماء العذب على الظماء

في رواية عبد العزيز بن مسلم عن الرّضا عليه السلام في صفات الإمام وخصائص الإمامة وفضائلها قوله عليه السلام :

« الإمام الماء العذب على الظّماء ، الدالّ على الهدى ، والمنجي من الرّدىٰ . . . »[1] .

قد جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين** ﴾[2] . الحديث النّبويّ : « يا عمّار إنّ الله تبارك عهد إليّ أنّه يخرج من صلب الحسين أئمّة تسعة والتّاسع من ولده يغيب عنهم وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ **قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين** ﴾ . . . »[3]، والكاظميّ : « إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون »[4] . والرّضويّ : « . . . ﴿فمن

(١) اصول الكافي ١ / ٢٠٠ .
(٢) سورة الملك : الآية / ٣٠ .
(٣) تفسير البرهان ٤ / ٣٦٦ .
(٤) تفسير البرهان ٤ / ٣٦٦ .

يأتيكم بماءٍ معين ﴾ يعني بعلم الإمام »[1] والكاظميّ : « إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد »[2] . ومثله الصّادقي[3] .

ومن كلّ ذلك يعلم أنّ الإمام هو الماء العذب : أي المعين وكذلك علمه وذلك تصديق المثل الرّضويّ ، وقد تكلّمنا عند المثل العلويّ المستخرج من نهج البلاغة : « من وثق بماءٍ لم يظمأ » ماله علقة بالمقام فراجع[4] ، والمثل الباقريّ : « يمصون **الثماد** ويدعون النّهر العظيم »[5] . قال الفيض :

الثّمد : الماء القليل كأنّه عليه السلام أراد أن يبيّن أنّ العلم الّذي أعطاه الله نبيّه صلى الله عليه وآله ثمّ أمير المؤمنين عليه السلام هو اليوم عنده وهو نهر عظيم يجري اليوم من بين أيديهم ، فيدعونه ويمصّون الثّماد كناية عن الاجتهادات والأهواء وتقليد الأبالسة في الآراء[6] .

والماء هو الحياة لولاه لما وجد شيءٌ حيٌّ قال تعالى . **﴿ وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيٍّ ﴾**[7] ، وهو أوّل ما خلقه الله عز وجلّ كما في الباقريّ : « فأوّل شيءٍ خلقه من خلقه الشّيء الّذي جميع الأشياء منه وهو الماء . . . »[8] فحياة الأشياء كلّها من الماء

---

(١) تفسير البرهان ٤ / ٣٦٦ .
(٢) تفسير البرهان ٤ / ٣٦٧ .
(٣) تفسير البرهان ٤ / ٣٦٧ .
(٤) الأمثال المستخرجة من نهج البلاغة ٥٠٥ ، رقم المثل ١٧٥ .
(٥) حرف الياء مع الميم مخطوط . وهو المروي في أصول الكافي ١ / ٢٢٢ - ٢٢٣ .
(٦) هامش أصول الكافي ١ / ٢٢٢ .
(٧) سورة الأنبياء : الآية / ٣٠ .
(٨) التّوحيد : ٦٦ - ٦٧ .

ومن ثمّ سُئل الصّادق عليه السلام عن طعم الماء فقال : « سل تفقّهاً ولا تسأل تعنّتاً طعم الماء طعم الحياة »[1] .

فلئن كان الماء : الجسم السّيّال البارد بالطّبع حياةً الأشياء الظّاهريّة فالإمام حياتها الباطنية الأشرف . ثم الظّمأ : شدّة العطش[2] ، ولا يعرف أنّ الإمام الماء العذب من لم يظمأ ولم يضطرّ إليه عليه السلام فلا بدَّ أولاً الظمأ ثم اللقاء .

---

(١) الوسائل ١٧ / ١٨٧ باب ١ من أبواب الأشربة المحللة الحديث ٦ .
(٢) مجمع البحرين في (ظمأ) .

٢٩ ـ الإمام النّار على اليفاع

في رواية الشيخ الكليني المطوّلةعن عبدالعزيز بن مسلم عن الرّضا عليه السلام قال فيها :

« الإمام الماء العذب على الظّمأ ، والدّالّ على الهدى ، والمنجي من الرّدى ، الإمام النّار على اليفاع . . . »[1] .

« الإمام الماء العذب على الظمّأ » تحدثنا عنه[2] . «والدّال على الهدى » بالدّلالة القوليّة وهي جميع كلماتهم الصّادرة عنهم عليهم السّلام ،فإنّها دالّة على الهدى وكلّ خير ، والدّلالة العمليّة وقد جاء عن الصّادق عليه السلام أنّه قال : « كونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم ، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً »[3] .والدّلالة الذّاتية وهي نفوسهم الّتي صاغها الله تعالى من معدن اللّطف ، وجوهر القدس ومن نور جماله الّذاتي جلّ جلاله قال الأزري :

لك نفسٌ من معدن اللّطف صيغت　　جعل الله كلّ نفسٍ فداها

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠

(٢) حرف الهمزة مع الميم .

(٣) الوسائل ١ / ٥٦ .

الأبيات [١] .

وإذا ثبتت فضيلة لأحدهم عليهم السلام ثبتت لسائر المعصومين إلّا الخصائص فيشترك كلّهم عليهم السلام في الفضائل المحمديّة كما في الحديث: « أولنا محمّد وأوسطنا محمّد وأخرنا محمّد »[٢] .

« والمنجي من الرّدى » إذا أخذ العباد بحجزتهم وساروا على نهجهم نجوا من المهالك كلّها ، فإنّهم الثقل الأصغر والقرآن الكريم هو الثقل الأكبر لن يفترقا حتى يردا على النبيّ الحوض كما في حديث الثقلين المتفق على نقله الفريقان [٣] .

قوله عليه السلام : « الإمام النّار على اليفاع » من التّمثيلات الرّفيعة ومنها المثل السّائر : (كالنار على المنار)[٤] . قال الطّريحي : المنار بفتح الميم : عَلَم الطريق ، والموضع المرتفع الّذي يوقد في أعلاه النّار . وفي حديث وصف الأئمة : « جعلتهم أعلاماً لعبادك ، ومناراً في بلادك » : أي هداة يهتدى بهم . ومثله في وصف الإمام « يُرفع له في كلّ بلدة منارٌ ينظر منه إلى أعمال العباد »[٥] . وذو المنار ملك من ملوك اليمن واسمه أبرهة بن الحرث الرّائش ؛ وإنّما قيل له ذو المنار ؛ لأنه أوّل من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع [٦] . وفي شرح « والمنار

---

(١) الكشكول للبحراني ٣ / ٤٢١ .
(٢) مصابيح الأنوار ٢ / ٣٩٩ .
(٣) حديث الثقلين ، أحد مجلدات العبقات ، وجامع أحاديث الشّيعة ١ / ٢٠ المقدمة .
(٤) مشهور .
(٥) البحار ٢٦ / ١٣٣ .
(٦) مجمع البحرين في (نور) .

منصوبة »[1] . لأبن أبي الحديد : المنارة تنصب في الفلاة ليهتدى بها[2] .

نعود إلى ما كنّا فيه :

قال الطّريحي : في الحديث : « الإمام النّار على اليفاع » أي يضيء للقريب والبعيد . واليفاع : ما ارتفع من الأرض ، واليفاع : ما ارتفع من كلّ شيءٍ[3] . ومن الأمثال : « أوقد ناره على اليفاع »[4] .

يريد بالحديث حديثنا الجاري . والنّار: هي اللّهيب الّذي يبدو للحاسّة وقد بينا أنواعها نقلاً عن الزبيدي عند التّكلّم عن المثل : « الحارّ لمن اصطلى به » . ولا تجعل النّار على المكان المرتفع إلّا ليراها التّائه في اللّيل حتى يجد الطّريق فلا يضلّ ولا بدّ أن تكون النّار ممّا يدوم من سراج أو قنديل أو أيّ شيءٍ يبقى ولا تطفأ وقد جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام : « وأشهد أنك نور الله الذي لم يُطْفأ ولا يطفأ أبداً ، وأنّك وجه الله الّذي لم يهلك ولا يهلك أبداً »[5] .

وهذه خصيصة المعصوم عليه السلام فلئن كانت المعالم المنصوبة والنّار الموضوعة على الأماكن العالية ليهتدي بها التّائهون في اللّيل فإنّ الأئمة الهداة هم الأعلام التي نصبهم الله في الليل والنّهار ليهتدي بهم العباد في كلّ البلاد وكلّ مكان وزمان رحمة

---

(١) النّهج ٦ / ٣٧٣ من الخطبة ٨٦ .

(٢) شرح النّهج ٦ / ٣٧٥ .

(٣) مجمع البحرين في (يفع) .

(٤) تاج العروس ٥ / ٥٦٦ .

(٥) البلد الأمين ٢٨٤ ، ومفاتيح الجنان ٤٤٣ زيارته (ع) ليلة النّصف من شعبان .

منه تعالى عليهم ، لا تمحى معالمهم ولا تطفأ أنوارهم ، والقدوة لمن أراد الانتهاج في سُبُل السّلام المفضية به إلى الجنّة والنّجاة من عذاب جهنّم والسّعادة الأبديّة ولا يظنّ الظّانّ أنّ النجاة تحصل من غيرهم ذلك ظنّه الّذي اراده ونبذه إلى الوراء .

وهم الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ويغرق من تركها المتقدّم لهم مارق ، والمتأخّر عنهم زاهق واللاّزم لهم لاحق وهم الكهف الحصين وغياث المضطرّ المستكين وملجأ الهاربين وعصمة المعتصمين وهم غوث العباد ونور البلاد وهم أهل بيت الرّحمة والعفو والإحسان عيبة علم الله وأبواب معرفته وحلاله وحرامه وجميع أحكامه خصّهم الله بذلك من بين الناس فعصمهم من الذّنوب وطهّرهم من العيوب ، ﴿ **عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾[1] . المعنيّون بقوله تعالى : ﴿ **وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلوة وإيتاء الزكوٰة وكانوا لنا عابدين** ﴾[2] .

ولا ينافي نزوله في الأنبياء ففي الباقري : « يعني الأئمة من ولد فاطمة . . . »[3] .

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٢٧ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية / ٧٣ .

(٣) تفسير البرهان ٣ / ٦٦ .
وفيه روايات أخر منها رواية جابر الأنصاري فانظرها ولا تغفل .

٣٠ ـ الإمام واحد دهره

في رواية الكليني المطوّلة عن الرّضا عليه السلام :

« الإمـــام أمين الله في خلقـه وحجّتّـــه على عبـاده وخليفتـــه في بلاده ، والدّاعي إلى الله ، والذّاب عن حرم الله ، الإمـام المطهـر من الذنوب والمبرّأعن العيوب المخصوص بالعلم الموسـوم بالحلم ، نـظام الدين ، وعزّ المسلمين ، وغيظ المنـافقين ، وبوار الكـافرين . الإمـام واحد دهره لا يدانيه أحدٌ ولا يعادله عالم . . . »[١] .

في هـذه الروايـة الرّضـوية مـا يقـرب من مـائـة فضيلة مـذكـورة للإمام المفتـرض الطّاعـة ، عدد منهـا أمثال قـد ذكرنـا كل واحـدٍ منها على حـدة أكثـرهـا مصـدّرة بكلمـة (الإمام)، ومن ذلــك قـولــه عليه السلام : « الإمام واحد دهره » .

وهو من الأمثال السائرة يقال : « فلان واحـد دهره ، أو لا واحـد له » .

قـال ابن منـظور : (فـلان واحـد دهـره) : أي لا نـظيـر لـه .

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

وأوحده الله . جعله واحد زمانه ؛ وفلان أوحد أهل زمانه وفي حديث عائشة تصف عمرَ . . . : لله أمٌّ حفلت عليه ودرّت ! لقد أوحدت به ، أي ولدته وحيداً فريداً لا نظير له[1] .

ونظيره المثل السائر الآخر قال الميداني : (إنّه نسيج وحده) . وذلك أنّ الثّوب النّفيس لا ينسج على منواله عدّة أثواب ، قال ابن الأعرابي : معنى (نسيج وحده) انه واحد في معناه ليس له فيه ثانٍ ، كأنّه ثوب نُسج على حدته لم ينسج معه غيره ، وكما يقال : نسيج وحده يقال ، رَجُلُ وَحْدِهِ . ويروى عن عائشة أنها ذكرت عمر . . . فقالت : كان والله أحوذياً ـ ويروى بالزاي ـ ، نسيج وحده ، أعدّ للأمور أقرانها قال الرّاجز :

جاءت به معتجراً ببرده　　　سفراء تردي بنسيج وحده[2]

وقد ذكر جمع من الجمهور المثل وما روي في عمرٌ[3] والأوحديّة متنوعة الأهداف فيما ينشدها القائلون .

ثم الإمام لو لم يكن واحد دهره في خصائص الإمامة وهناك من يدانيه فيها لما كان إماماً للكل نعم الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا كما في الحديث في زمان واحد قد استثنيا من القاعدة على أنّ الحسن هو الأكبر وكان الحسين يقتدي به عليهما السلام مع أنّ لأهل البيت شأناً غير الشؤون لا يقاسون بأحد من النّاس والكلام في الإمامة المطلقة على النّاس لا بدّ أن تكون لخصائص يتفرد بها الإمام لا يشاركه فيها غيره وإلاّ للزم التّرجيح بلا مرّجح وهو قبيح .

---

(١) لسان العرب ٣ / ٤٥٢ ، في (وحد) .
(٢) مجمع الأمثال ١ / ٤٠ ، حرف الهمزة .
(٣) النّهاية ٥ / ١٦٠ في (وحد) . لسان العرب ٣ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠ في (وحد) .

٣١ ـ الإمامة أسّ الإسلام النّامي وفرعه السّامي

روى الشيخ الكليني بسنده عن عبد العزيـز بن مسلم قال : كنّـا مع الرّضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يـوم الجمعة في بـدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختـلاف النّاس فيهـا ، فدخلت على سيّـدي عليه السـلام فـأعلمتـه خـوض النّـاس فيـه ، فتبسّم عليـه السلام ثم قال :

« يـا عبد العـزيز جهـل القوم وخـدعـوا عن آرائهم ؛ إنّ الله عـزّ وجلّ لم يقبض نبيّه (ص) حتّى أكمل له الـدّين ، وأنزل عليـه القرآن فيـه تبيـان كـلّ شيءٍ بيّن فيـه الحـلال والحـرام ، والحـدود والأحكـام وجميع ما يحتاج إليه النّـاس كملاً ، فقـال عزّ وجـلّ : ﴿ **ما فـرّطنا فى الكتاب من شىءٍ** ﴾[1] . وأنزل في حجّـة الوداع وهي آخـر عمره صلى الله عليـه وآلـه : ﴿ **اليـوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[2] .

وأمـر الإمامـة من تمام الـدّين ولم يمض (ص) حتى بيّن لأمّتـه

---

(١) سورة الأنعام : الآية / ٣٨ .

(٢) سورة المائدة : الآية / ٣ .

معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق ، وأقام لهم عليّاً (ع) عَلَماً وإماماً وما ترك (لهم) شيئاً يحتاج إليه الأمّة إلاّ بيّنه ، فمن زعم أنّ الله عزّ وجلّ لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله ، ومن ردّ كتاب الله فهو كافر به .

- إلى قوله عليه السلام : - إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء ، وإرث الأوصياء ، إنّ الإمامة خلافة الله وخلافةالرسول (ص) ومقام أمير المؤمنين (ع) وميراث الحسن والحسين (ع) إنّ الإمامة زمام الدّين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدّنيا وعزّ المؤمنين ، إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النّامي ، وقرعه السّامي . . . »[1] .

الحدّيث مطوّل قد اشتمل على خصائص الإمامة وفضائلها الّتي لم توجد إلاّ في المعصوم عليه السلام وموزّع على نبذة تمثيلات مذكورة فيه منها : « الإمام كالشّمس الطالعة »[2] . و « الإمام البدر المنير »[3] و « الإمام الماء العذب على الظماء »[4]، و « الإمام الأنيس الرّفيق والوالد الشفق »[5] ، و « الإمام النّار على اليفاع »[6] و « الحار لمن اصطلى به »[7]، و « الإمام السّحاب الماطر »[8] .

(١) أصول الكافي ١ / ١٩٨ - ٢٠٠

(٢) حرف الهمزة مع الميم .

(٣) حرف الهمزة مع الميم .

(٤) حرف الهمزة مع الميم .

(٥) حرف الهمزة مع الميم

(٦) حرف الهمزة مع الميم .

(٧) حرف الحاء مع الألف .

(٨) حرف الهمزة مع الميم .

أسّ الشّيء وفرعه :

قال الشّيخ الطّريحي : وفي الحديث : « إذا قام القائم عليه السلام ردّ البيت إلى إساسه ، وردّ مسجد الرّسول إلى إساسه،وردّ مسجد الكوفة إلى إساسه » الإساس علي (فعال) بكسر الفاء : جمع أُسّ بالضّم كخِفاف جمع خُفّ ، والأسّ أصل البناء ، ومنه : « الإمامة أُسّ الإسلام النّامي » . أصله[1] . . .

يريد بقوله ومنه : « الإمامة أسّ الإسلام النامي » الكلمة المبحوثة عنها .

ومنه يرد :

أَسِّسْ على العلم ما ترجو بنابته   فالجهل ينقض ما يبنى على جرفه[2]

والغرض من قوله عليه السلام « الإمامة أسّ الإسلام . . . » : أي أصله بقرينة « وفرعه » أمّا كون الإمامة أصل الإسلام فمعلوم، إذ لولاها لما كان له قيّم يُقيم أركانه ويمنع من الإطاحة به .

وقد جرت سنّة الله عزّ وجلّ في تبليغ أحكامه وأوامره ونواهيه بإرسال الرّسل للنّاس وإنزال الكتب ومن المعلوم أنّ الإمامة وهي الخلافة ، استمرار للرّسالة والحفاظ على معطياتها إلى آخر الدّنيا .

ومن ثمّ وجب أن لا تخلو الأرض من حجة وإلّا لساخت بأهلها لو خلت ساعة منه كما نصّت بها نصوص أهل البيت عليهم السلام فقد روى الشيخ الكليني طاب ثراه الحديث العلوي :

---

(١) مجمع البحرين في (أسس) .

(٢) أمثال وحكم ١ / ١٧٣ في الأصل « بنيته » صحّحناه بما في المتن ويمكن تصحيح البنية أيضاً بمعنى وسطه ومعظمه ومنه المثل : دع عنك بنيّات الطّريق أي عليك بمعظم الأمر .مجمع الأمثال ١ / ٢٦٩ . حرف الذال .

« اللّهمّ إنّـك لا تخلي أرضـك من حجّـة لـك على خلقـك[1]» .
والبـاقـري : « . . . ولا تبقى الأرض بـغيـر إمـام حـجّـة الله على عباده »[2] . والصّادقي : « لـو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت »[3] ، والـكـاظمـيّ : « إنّ الأرض لا تخـلو من حـجّـة ، وأنـا والله ذلـك الحجّـة »[4] ، والصّـادقي : « لـو لم يبق في الأرض إلّا إثنـان لكـان أحدهما الحجّة »[5] .

قوله عليـه السلام : « الإسـلام النّامي » من النمـوّ : الزّيـادة أي زيادة المعتنقين بالإسـلام وأهله أذا علموا أنّـه هو الـذي يضمن سعادة الدّارين والحياة الـطّيّبة إذا طبّق وعمـل بتعاليمـه القيّمة كمـا أنّ الناس لـو علمـوا محـاسن كـلام أهـل البيت لاتّبعـوهم الحـاكي عن محض الإسلام على ما نطق به الحديث[6] . ولا يراد من النموّ زيادة أحكام الإسلام إذ حلاله حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة كما في النّبويّ[7] . قوله عليه السلام : « وفرعه السّامي » أمّا كون الإمامة أصل الإسلام فقد سبق بيانه .

وكيف يكون مـا هو الأصل لـه فرعاً منـه ؟ وهل تكـون الإمامـة أصل الإسلام وفرعه معاً ؟

---

(١) أصول الكافي ١ / ١٧٨ .
(٢) أصول الكافي ١ / ١٧٩ .
(٣) أصول الكافي ١ / ١٧٩ .
(٤) أصول الكافي ١ / ١٧٩ .
(٥) أصول الكافي ١ / ١٧٩ .
(٦) الوسائل ١٨ / ٦٥ ـ ٦٦ باب ٧ من أبواب صفات القاضي الحديث ٥٢ .
(٧) الـوسائـل ١٨ / ١٢٤ باب ١٢ من أبـواب صفـات القـاضي الحـديث ٤٧ ، الأمثال النّبويّة ١ / ٣٧٨ ، رقم المثل ٢٤٠ ، حرف الحاء مع اللّام .

الجواب نعم تكون الإمامة كذلك أمّا أصلاً لـه فلكونهـا الحفاظ والحـوط لولاهـا لاضمحل وانـدرست معالمه، وأمّا أنّهـا فـرع الإسـلام فلأن الله عزّ وجلّ هو المقصد الأعلى وإنّما شـرعت الشّرائـع والرّسـل لطاعته تعالى .

٣٢ ـ الأمّ البرّة بالولد الصّغير

في روايـة الشّيخ الكليني المـرفـوعـة عن الـرّضـا عليـه السـلام المشتملة على خصائص الإمامة والإمام فيها :

« الإمــام الأنيس الـرّفيق ، والــوالــد الشّفيق ، والأخ الشّقيق ، والأمّ البّرة بالولد الصّغير . . . »[١] .

تكلمنا عن « الإمام الأنيس الرّفيق . . . »[٢] .

قوله عليه السلام : و « الأمّ البّرة بالولد الصّغيـر » يضرب المثـل بالأمّ في بلوغ المحبّة إلى غايتها ، فإنها تلك من أعلى مـراتبها وأشدّها ، فإذا أريد بيان أقصى مراتب العلقة ضرب بـالأمّ المثل وعلقتهـا بولـدها الصّغيـر ولولا هـذه العلقة القلبيّـة منها لمـا كبر ولا تـرعـرع فتجهـرهـا تسهر ليلها وتصرف عمرهـا في مدّة رضـاعه إلى أن يكبـر بعد تحمّلهـا أيّـام حمله للمصاعب والمتـاعب مسرورة بـالحمل لـه مستبشرة بـه في أشهرها التّسعـة ويوم وضعـه ورضعه وفطامه ، فلو أنّ الـولد بعـد أن كبر

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ .

(٢) حرف الهمزة مع الميم .

قـام بجميع مـا يهمّها إلى آخـر أيّام حيـاتها لمـا أدّى من أقلّ الـواجب عليه .

وإنّ حقّ الأمّ أعـظم من الأب ففي صـادقيّ : « جـاء رجـل إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسـول الله مَنْ أبرّ ؟ قـال : أمّك قـال ثُمّ مَنْ ؟ قـال : أمّـك ، قال: ثمّ مَنْ ؟ قـال : أمّـك ، قـال : ثمّ مَنْ ؟ قال : أباك »[1] .

وعن إبـراهيم بن مهـزم قـال : « خـرجت من عنـد أبي عبـد الله عليه السلام ليلة ممسياً فأتيت منـزلي بالمـدينة وكـانت أمّي معي فوقـع بيني وبينهـا كلام فـأغلظت لها ، فلمّـا أن كان من الغـد صلّيتُ الغداة وأتيت أبـا عبد الله عليـه السلام فلمّـا دخلت عليـه فقـال مبتـدئـاً : يـا أبا مهزم مـالك ولخـالدة[2] أغلظت في كـلامها البـارحة ؟ أمـا علمت أنّ بطنها منزل قد سكنته ، وأنّ حجرها مهد قد غمزتـه ، وثديهـا وعاء قـد شربته ؟ قال قلت : بلى قال فلا تغلظ لها »[3] .

وفي حديث سجّاديّ : « فحقّ أمّـك أن تعلم أنّها حملتـك حيث لا يحمـل أحـدٌ أحـداً ، وأطعمتـك من ثمـرة قلبهـا مـا لا يـطعم أحـدٌ أحداً ، وأنّها وَقَتْكَ بسمعها وبصـرها ويـدها ورجْلهـا وشعرهـا وبشرهـا وجميـع جوارحهـا مستبشـرة بـذلـك فـرحـة مـوبلة[4] محتملة لمـا فيـه مكروهها وألمه وثقله وغمّه[5] حتّى دفعتهـا عنك يـد القدرة وأخـرجتك

(١) البحار ٧٤ / ٨٣ .
(٢) اسم أمّ أبي مهزم .
(٣) البحار ٧٤ / ٧٦ .
(٤) من الوبيل ضدّ الطّري مجمع البحرين في (وبل) .
(٥) لعلّ الصّحيح ، وألمهـا وثقلها وغمّهـا ، ليعود الضميـر الى الأمّ ، ويحتمل عود الضّمير إلى (لمـا فيه) ليكـون عطف هـذه الأمور على « مكـروهها » . أي دفعت أمّك عنك الشيء المؤلم والثّقل والغمّ .

إلى الأرض فرضيت أن تشبع وتجوع هي ، وتكسوك وتعرى ، وترويك وتظمأ وتظلّلك وتضحى وتنعّمك ببؤسها وتلذّذك بالنّوم بأرقها وكان بطنها لك وعاءً ، وحجرها لك حواءً ، وثديها لك سقاءً ، ونفسها لك وقاءً ، تباشر حرّ الدّنيا وبردها لك ودونك فتشكرها على قدر ذلك ، ولا تقدر عليه إلاّ بعون الله وتوفيقه »[1] .

تمثيل الإمام بالأمّ وأنّه الوالدة البرّة بولدها ناظر إلى الجهة المشتركة بينه وبينها وهي العلقة الشّديدة الكائنة بينهما الّتي أوجبت البرّ بالولد وأنّ الأمّة المرحومة بأجمعها بل النّاس بأسرهم هم أولاد الإمام المعصوم في كلّ زمان وهم عيال عليه مأمور من قبل الله جلّ جلاله أن يرعاهم ويأخذ بأيديهم إلى الجنّة وهذا شأن كلّ نبيّ ووصيّ نبيّ عليهما السّلام بقاعدة اللّطف الإلّهيّ من دلالة الخلق إلى التّوحيد والدّين الخالص ؛ إنّ الله خلق الخلق للعبادة كما قال عزّ وجلّ : ﴿ **وما خلقت الجنّ والأنس إلاّ ليعبدون** ﴾[2] . وللعلم بأنه تعالى قدير محيط لقوله جلّ جلاله : ﴿ **خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهنّ يتنزّل الأمر بينهنّ لتعلموا أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً** ﴾[3] . أي إنّما خلق الله تعالى العالم وبني آدم ليعلموا قدرته المطلقة وإحاطته تعالى بكلّ شيء ويعبدوه .

ومن الواضح أنّ الله عزّ وجلّ يريد أن يعبد كما يريد وبما يريد لا كما يريد العبد وبما يريده، وأن يعلم كما يشاؤه وبما يشاؤه لا كما

---

(١) البحار ٧٤ / ١٥ . أمالي الصدوق ٣٣٢ ، والوسائل ١١ / ١٣٥ مع اختلاف يسير في الأخيرين .

(٢) سورة الذاريات : الآية / ٥٦ .

(٣) سورة الطّلاق : الآية / ١٢ .

نشاء وبما نشاء وعليه فلا بدّ من رسول مبلغ عنه تعالى في جميع ذلك ووصيّ يقوم مقامه كذلك وهو الإمام المعصوم ومن أهمّ أسباب التّبليغ الرّفق فإنّ العُنف عائق عن الوصول مفرّق بين الرّسول والمرسل إليه .

ومن هنا وجب أن يكون في الرّحمة والعلقة كالأم الحنونة البرّة بولدها حتّى يكبر ، ولئلا يلزم من ترك ذلك نقض الغرض الأعلى وقد جاء التّمثيل في نفس الرّضويّ أنّه « الأنيس الرّفيق ، والوالد الشّفيق ، والأخ الشّقيق »[1] كلّ ذلك دليل قاطع وبرهان ساطع على ما قلناه في كيفيّة التّبليغ النّافع صوناً لنقض الغرض الأمثل كما ورد أنّ النّبيّ وعليّا صلى الله عليهما وآلهما وسلم أبوا هذه الأمة للسّرّ نفسه ؛ ففي حديث نبويّ : « ... يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمّة »[2] . وهي الأبّوة الرّوحيّة الّتي هي أعلى درجة من الأبوّة الجسميّة وأشرف منها بل ولولاها لما كانت الثّانية في عالم الوجود ذات أثر مطلوب .

---

(١) حرف الهمزة مع الميم .

(٢) أمالي الصّدوق ٥٨٧ .

٣٣ ـ الأمور بيد الله عزّ وجلّ

روى الشّيخ الصّدوق بإسناده إلى ابن بزيع قال :

« كان عندي جاريتان حاملتان فكتبتُ إلى الرّضا عليه السلام أعلمه ذلك ، وأسأله أن يدعو الله تعالى أن يجعل ما في بطونهما ذكرين ، وأن يهب لي ذلك . قال : فوقّع عليه السلام أفعلُ إن شاء الله تعالى » .

ثم ابتدأني عليه السلام بكتاب مفرد نسخته : « بسم الله الرّحمن الرّحيم عافانا الله وإيّاك بأحسن عافية في الدّنيا والآخرة برحمته ؛ الأمور بيد الله عزّ وجلّ يمضي فيها مقاديره على ما يحبّ ، يُولدُ لك غلامٌ وجاريةٌ إن شاء الله تعالى فسمّ الغلام محمّداً ، والجارية فاطمة على بركة الله تعالى . قال : فولد لي غلام وجارية على ما قاله عليه السلام »[1] .

قوله عليه السلام : « الأمور بيد الله عزّ وجلّ » كلمة سائرة على الألسن ومن ثمّ حسُن عدّها في الأمثال ، ومنها البيت لقائله الملاّ السّبزواري :

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٢٢٠

أزمّــة الأمــور طــرّاً بيــده والكــلّ مستمــدّة من مــدده

قــال في شرحــه : المصراع الأوّل إشـارة إلى التّوحيـد الذّاتي ، والثّـاني إلى الأفعال[1] والكلمـة الرّضـويّـة تعليم النّـاس التّـوحيـد في الأفعـال من الرّزق وغيـره وفي مـوردهـا طلب الـولـد الـذّكـر اثنين من الجـاريتين ولكنّ إرادة الله جـلّ جـلالـه كـانت في واحـد منهمـا ذكـراً والآخـر أنثى ، وليس كلّ مـا يريـده العبد كائناً ؛ لأنّـه لـو استجيب كـلّ دعاء لبطلت حكمة الرّبّ تعالى .

ثم إنّ العبـد إذا علم أنّ الأمور كلّهـا بيد الله عـزّ وجـلّ لم يحبّ تعجيل ما أخّـره الله ولا تأخيـر ما عجّله الله بـل يرضى بمـا قدّر لـه من تعجيـل أو تأخيـر ، ولا ينافي ذلـك الطّلب؛لأنّـه من الرّضـا ، والسّعْي في الرّزق وغيره كيف لا وقد قال تعـالى : **﴿ وأن ليس للإنسـان إلا ما سعى * وأنّ سعيه سـوف يُـرى ﴾**[2] . نعم الـواجب على السّـاعي المعـرفة بـأنّ كلّ شيء تحت طـوع إرادة الله جـلّ جـلالـه وليس معنى ذلك الجبر الباطل ولا التّفويض الّذي تقـوله اليهـود بل أمـرٌ بين أمرين كمـا في الحديث[3] . وفي قـوله تعـالى : **﴿ إن هو إلاّ ذكـر للعالمين * لمن شـاء منكم أن يستقيم * ومـا تشـاؤون إلاّ أن يشـاء الله ربّ العـالمين ﴾**[4] . إشارة إلى الـوسط إذ أسند الله المشيئـة إلى الشـائي أوّلاً ثمّ نفاها وأثبتها لنفسه تعالى والجمع بينهما هو الوسط .

---

(١) المنـظومة في الحكمـة المتعـاطيـة من ٨ للملا هادي، السّبـزواري المتـوفّي ١٢٨٩ هـ .

(٢) سورة النّجم : الآية / ٣٩ ـ ٤٠ .

(٣) البحار ٥ / ١٢ .

(٤) سورة التكوير : الآية / ٢٧ ـ ٢٩ .

ولا يخفى أنّ نظيرة الكلمة الرّضويّة قد جاءت في كـلام السّجّاد عنـد وقوفـه على قبر النّبيّ صلى الله عليه وآلـه : « . . . وأصبحت الأمور بيـدك فلا فقيـر أفقر منّي » . الوسائل ١٠ / ٢٦٩ .

٣٤ ـ أنا تمريّ وشيعتنا يحبّون التّمر

روى الكليني بإسناده عن سليمان بن جعفر الجعفري قال :

« دخلت على أبي الحسن الرّضا عليه السلام وبين يديه تمرٌ برني وهو مجدّ في أكله يأكله بشهوة فقال لي : يا سليمان ادن فكل، فدنوت منه فأكلتها معه وأنا أقول جُعلتُ فداك إنّي أراك تأكل هذا التّمر بشهوة فقال : نعم إنّي أحبّه فقلت : ولِمَ ؟ قال : لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان تمراً ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام تمريّاً ، وكان الحسن عليه السلام تمريّاً ، وكان أبو عبد الله الحسين عليه السلام تمريّاً ، وكان سيّد العابدين عليه السلام تمريّاً ، وكان أبو جعفر عليه السلام تمريّاً ، وكان أبو عبد الله عليه السلام تمريّاً ، وكان أبي تمريّاً ، وأنا تمريٌّ ، وشيعتنا يحبّون التّمر ؛ لأنّهم خلقوا من طينتنا ، وأعداؤنا يا سليمان يحبّون المسكر ؛ لأنّهم خلقوا من مارجٍ من نارٍ »[1] .

---

(١) فروع الكافي ٦ / ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ، قوله عليه السلام : « مارجٌ من نارٍ » إشارة الى آية : ﴿ وخلق الجانّ من مارجٍ من نار﴾،الرحمن :١٥ والمارج : اللّهب الصّافي الّذي لا دخان فيه . تفسير الكشاف ٤ / ٤٤٥ .

ولعلّ المثل السائر : « شيعتنا التّمريّون وأعداؤنا الخمريّـون »[1] مصدره الحديث المـذكور حيث قال عليه السلام فيه : « وشيعتنا يحبّـون التّمر . . . وأعداؤنا يا سليمان يحبّون المسكر » وهو الخمر .

وقـد جاء في أحـاديثهم عليه السـلام حـول التّمـر الشّيء الكثيـر منهـا ما تقـدّم ومنهـا البـاقريّ أو الصّـادقيّ : « في قـول الله عـزّ وجلّ : ﴿ **فلينـظر أيّها أزكى طعـامـاً فليـأتكم بـرزق منـه** ﴾[2] . قـال : أزكى طعاماً التّمر »[3] .

ويشهـد لـه القـرآن الكـريم على أنـه من الـرّزق قـال تعـالى : ﴿ **والنّخل بسـقت لها طلع نضيد * رزقاً للعباد** ﴾[4] .

ومنهـا الصّـادقيّ : « استـوصـوا بعمتّكم النّخلة خيـراً ؛ فـإنّهـا خُلقت من طينـة آدم ألا تـرون أنّـه ليس شيء من الشجـرة يـلقـح غيرها »[5] . والمثل النّبويّ : « أكرموا عمّتكم النّخلة »[6] .

وأمّـا الأنواع فكلّهـا خيـر ولكن في الصّـادقيّ : « خيـر تمـوركم البـرنيّ يذهب بـالداء ولا داء فيـه ، ويذهب بـالأعيـاء ولا ضـرر لـه ، ويـذهب بالبلغم ومـع كـلّ تمـرة حسنـة . . . »[7] . وفي العجـوة جـاء الصّـادقيّ : « العجـوة من الجنّـة وفيهـا شفـاء من السُّمّ »[8] . ولسنـا

---

(١) مشهور على الألسن .
(٢) سورة الكهف : الآية / ١٩ .
(٣) فروع الكافي ٦ / ٣٤٥ ، الوسائل ١٧ / ١٠٣ .
(٤) سورة قٓ : الآية / ١٠ ـ ١١ .
(٥) الوسائل ١٧ / ١١٣ .
(٦) الأمثـال النّبويّـة ١ / ١٥٦ ، رقم المثـل ٩٧ ، حـرف الهمـزة مـع الكـاف ، نهاية ابن الأثير « عمم » .
(٧) الوسائل ١٧ / ١٠٧ .
(٨) الوسائل ١٧ / ١٠٧ .

بصـدد ذلك سـوى التّرغيب ، ويستحب أكـل سبع تمـرات عجوة على الـرّيق من تمر العـالية فلم يضـرّه سُمٌّ ولا سحرٌ ولا شيـطانٌ كما صـرّح به في الصّحيح الصّادقيّ [1] .

ولا يخفى أنّ من الأمثـال السائـرة : « تمرةٌ خيـرٌ من جرادةٍ » [2] وهو مثلٌ صادقيٌّ [3] وتكلمّنا عنه في الأمثال الصادقية .

ثمّ لعـلّ الـوجـه في حبّه التّمـر وكـذا سـائـر أهـل البيت عليهم السلام وشيعتهم هو حـلاوته المتنـاسبة مـع حلاوة إيمـانهم ، والمؤمن كلّه حلو : حلو الكـلام ، حلو الطّعـام ، حلو المنام ، وحلو المعـاملة والمكافحة وكل شيءٍ منه حلوٌ .

---

(١) الوسائـل ١٧ / ١١٢ ، والعوالي والعـالية : أمـاكن بأعلى أراضي المـدينة . هامش المصدر .

(٢) الوسائل ٩ / ٢٣٢ .

(٣) الأمثال والحكم الصّادقيّة مخطوط .

٣٥ ـ أنا من آله ولستم من آله

روى الشّيخ الصّدوق حديث استدلال الرّضا عليه السلام باثني عشر آية على فضل الآل العترة الطّاهرة على سائر النّاس تكلّمنا عن تسع آيات منها(١) قال عليه السلام جواباً لعلماء العراق وخراسان :

« وأمّا العاشرة فقول الله عزّ وجلّ في آية التّحريم : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيكُم أمُهاتُكُم وبَناتكُمُ وأَخَواتكُمُ** ﴾(٢) الآية ، فأخبروني هل تصلح ابنتي أو ابنة ابني وما تناسل من صلبي لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أن يتزوّجها لو كان حيّاً ؟ قالوا : لا ، قال : فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوّجها لو كان حيّاً ؟ قالوا : نعم ، قال : ففي هذا بيان ؛ لأنّي أنا من آله ولستم من آله ، ولو كنتم من آله لَحُرمَ عليه بناتُكُم كما حُرمَ عليه بناتي ؛ لأنّي من آله وأنتم من أمّته فهذا فرقٌ بين الآل والأمّة ؛ لأنّ الآل منه والأمّة إذا لم تكن من الآل فليست منه فهذه العاشرة »(٣) .

---

(١) حرف الهمزة مع النون ، والهمزة مع الواو ، والهمزة مع الياء ، والجيم مع العين ، والخاء مع الصّاد ، والذّال مع الكاف ، والسّين مع اللاّم ، والفاء مع الضّاد ، والكاف مع اللاّم .

(٢) سورة النّساء : الآية / ٢٣ .

(٣) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٧ .

روى الصّدوق حديثاً : « قال فيه : نظر أبو نؤاس إلى أبي الحسن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلةٍ له فدنا منه أبو نؤاس فسلّم عليه وقال : يا ابن رسول الله قد قلت فيك أبياتاً فأحبّ أن تسمعها منّي قال ـ عليه السلام ـ : هات فأنشأ يقول :

مطهّرون نقيّاتٌ ثيابهُمُ ... تجري الصّلاةُ عليهم أينما ذُكِرُوا
من لم يكن علويّاً حين تَنْسبُهُ ... فماله من قديم الدّهر مفتخرُ
فالله لمّا برى خلقاً فأتقنه ... صفّاكم واصطفاكم أيّها البَشرُ
فأنتم الملأ الأعلى وعندكُمُ ... علم الكتاب وما جاءَتْ به السُّورُ

فقال الرّضا ـ عليه السلام ـ قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحدُ ، ثمّ قال يا غلام هل معك من نفَقَتنا شيءٌ ؟ فقال : ثلاثمائة دينار فقال : أعطها إيّاه ثم قال ـ عليه السلام ـ لعلّه استقلّها يا غلام سُقْ إليه البغلة ، ولمّا كانت سنة إحدى ومائتين حَجَّ بالنّاس . . . »[١] .

سجيّتكم الكرم وعادتكم الإحسان يا أهل بيت النّبوّة وقد روى ابن حجر عن الإمام الشّافعيّ قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبّكُمُ ... فرضٌ من الله في القرآن أنزلَهُ
كفاكمِ من عظيم القدر أنّكُمُ ... من لم يصلّ عليكُمْ لا صلاة لَهُ[٢]

---

(١) عيون أخبار الرّضا ٢ / ١٤٢ .

(٢) إحقاق الحقّ ٣ / ٢٧٣ . لو سمح المجال : لنقلنا شيئاً كثيراً من مدائحهم عليهم السلام ، ولكن .

٣٦ ـ أنت أخي ما أطعت الله عزّ وجلّ

روى الشّيخ الصّدوق بإسناد له إلى ياسر قال :

« إنّه خرج زيد بن موسى أخو أبي الحسن عليه السلام بالمدينة وأحرق وقتل وكان يسمّى زيد النّار ، فبعث المأمون فأسر وحمل إلى المأمون فقال المأمون : اذهبوا به إلى أبي الحسن ، قال : فلما أدخل إليه قال له أبو الحسن عليه السلام : يا زيد أغرّك قول سفلة أهل الكوفة ـ إلى أن قال عليه السلام : ـ إن كنت ترى أنّك تعصي الله عزّ وجلّ وتدخل الجنّة وموسى بن جعفر عليه السلام أطاع الله ودخل الجنّة ، فأنت إذا أكرم على الله عزّ وجلّ من موسى بن جعفر ، والله ما ينال أحدٌ ما عند الله عزّ وجلّ إلاّ بطاعته ، وزعمتَ أنّك تناله بمعصيته فبئس ما زعمتَ ، فقال له زيدٌ : أنا أخوك وابن أبيك ، فقال له أبو الحسن عليه السلام ، أنت أخي ما أطعت الله عزّ وجلّ ؛ إنّ نوحاً عليه السلام قال : ﴿رب إن ابنى من أهلى وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين﴾ فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ ينوحُ إنّه ليس من أهلك إنّه عملٌ غير صالح ﴾[١] . فأخرجه الله عزّ وجلّ من أن يكون من أهله بمعصيته »[٢] .

---

(١) سورة هود : الآية / ٤٥ ـ ٤٦ .

(٢) عيون الأخبار ٢ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧ . وفي البحار ٤٩ / ٢١٨ و ٢٢١ : « فإذا عصيت فلا إخاء بيني وبينك » .

ليس بين الله وبين عباده قرابة ، وإنّما القريب المقرّب مَنْ قَرَّبتْهُ طاعة الله عزّ وجلّ ، فقد روى الصّدوق بإسناده عن الرّضا عليه السلام : ومَنْ أحبّ عاصياً فهو عاص[1] ومَنْ أحبّ مطيعاً فهو مطيعٌ[2] ومَنْ أطاع ظالماً فهو ظالمٌ[3] ومَنْ خَذَلَ عادلاً فهو ظالمٌ ، إنّه ليس بين الله وبين أحد قاربة[4] ولا ينال أحد ولاية الله إلّا بالطّاعة ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبني عبد المطلب أئتوني بأعمالكم لا بأحسابكم قال الله تعالى : ﴿ **فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون * فَمَنْ ثقلت موازينه فأولئك هم المُفلحون * ومَنْ خَفَّتْ موازينه فأولئك الّذين خسروا أنفسهم في جهنّم خالدون** ﴾[5]

سبق الدين القرابة ، حتّى قرابة الأخ التي هي أقرب من كلّ قريب وإنّما الأخ الحقيقي الّدين كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أخوك دينك فاحتط لدينك بما شئت »[6] والخطاب لكميل بن زياد النّخعي ولكنّه يعمّ غيره وإن كان مورده ذلك قال الشّيخ الأنصاري : « في قبال الأخ الظّاهري وقد يفسّر الحديث العلويّ بأنّ الدين يجب أن يراعى كما يراعى الأخ وليس هو كالأباعد »[7] الأخ

(١) حرف الميم مع النّون .

(٢) حرف الميم مع النّون .

(٣) حرف الميم مع النون .

(٤) حرف اللّام مع الياء .

(٥) سورة المؤمنون : الآية ١٠١ ـ ١٠٣ ، وعيون الأخبار ٢ / ٢٣٧ .

(٦) أمالي ابن الشيخ الطوسي ١ / ١٠٩ والوسائل ١٨ / ١٢٣ ، وحرف الهمزة مع الخاء من الأمثال والحكم العلويّة مخطوط .

(٧) الرسائل ١٩٧ ، مبحث البراءة ، في ردّ دليل الأخباريّ ، طبع القطع الوزيري .

للأخ كالعضد من العضد ، فلو لم يكن له أخ لم يكن له عضد ومع هذا لو دار الأمر بين الأخ والدّين فالدّين هو المقدّم عليه، والحديث الرّضويّ النافي لأخوّة زيد العاصي غير المطيع لله عزّ وجلّ ينطبق عليه العلويّ الآمر بالاحتياط في الدّين؛ لأنّ مقتضى الأحتياط [وهو من اتّخاذ الحائطة للشيء] التّحرز من الأخ العاصي واختيار المطيع لله عزّ وجلّ وإن لم يكن بأخٍ له فالحديث العلويّ والرّضويّ يرميان مرمى واحداً وهو تقديم الّدين وما يقتضيه على كلّ شيءٍ وعلى كلّ أحدٍ ، فالقرابة والرّحم عند الدوران بينها وبين الّدين يجب التحرّز عنها نعم لا بدّ من المصاحبة المعروفة مع الوالدين الآمرين للولد بالشّرك كما قال تعالى : ﴿ **وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما** ﴾[1] ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدّنيا معروفاً** ﴾[2] .

والشرك الذي هو أعظم المعاصي إذا أمر الوالدان أو أحدهما الولد به يجب على الولد ترك طاعتهما فيه مع وجوب المصاحبة المعروفة إيّاهما في الدّنيا ومن ثَم نهى النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يقتل ابن عبد الله بن أبيّ المنافق أباه لقوله الّذي حكاه الله في القرآن الكريم : ﴿ **يقولون لئن رجعنا إلى المدينة لَيَخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأذلَّ** ﴾[3] عند رجوعه من غزوة المريسع : وهي غزوة بني المصطلق سنة خمس من الهجرة يريد ابن أُبيّ بالأعزّ نفسه وأصحابه وبالأذلّ رسول الله وأصحابه ففي رواية « إنّ ولد عبد الله بن أُبيّ أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله إن كنت عزمت على

---

(١) سورة العنكبوت : الآية / ٨ .
(٢) سورة لقمان : الآية / ١٥ .
(٣) سورة المنافقون : الآية / ٨ .

قتله فمرني أن أكون أنا الّذي أحمل إليك رأسه . . . »(١) فمنعه الرّسول صلى الله عليه وآله أن يقتل أباه لا لكونه غير جائز بل أنّ قتل الولد الوالد موجب لقصر العمر .

وكيف كان إن الإيمان لا يجتمع مع الكفر ولا يجوز المـوادّة مع المحاديّن وإن كانوا من أمسّ أقرباء الإنسان قال تعالى : **﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾**(٢) .

والرّضا عليه السلام حجّة الله على خلقه كيف يوادّ زيداً المحادد وإن كان أخاه والمودّة مع الكافر منهيّة من المؤمنين فكيف بأئمة المؤمنين عليهم السلام .

ثم الطّاعة لله عزّ وجلّ تجب عقلاً ونقلاً ، أمّا العقل فلوجوب شكر المنعم ، وما بنا من نعمة فمنَ الله تعالى وللزوم دفع الضّرر المحتمل بترك الطّاعة فضلاً عن مظنونة أو مقطوعه فالبرهان العقليّ قائم على وجوب الطّاعة وأمّا النّقل فقد روى طاووس الفقيه حالات السّجاد وكلماته ومن مناجاته :

أتحرقني بالنّار يا غاية المُنى ... فأين رجائي ثمّ أين محبتي
أتيتُ بأعمال قباح رديّةٍ ... وما في الورى خلق جنى كجنايتي

قال عليه السلام : « خلق الله الجنّة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبداً حبشيّاً ، وخلق النّار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً »(٣) .

---

(١) تفسير الصّافي ٢ / ٧٠٥ ، وتفسير البرهان ٤ / ٣٣٨ ، وتفسير نور الثّقلين ٥ / ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

(٢) سورة المجادلة : الآية / ٢٢ .

(٣) تفسير نور الثّقلين ٣ / ٥٦٣ ـ ٥٦٤ ، نقلاً من كتاب المناقب لابن شهرآشوب .

٣٧ ـ إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشر

روى الكليني بسنده إلى محمد بن عرفة قال : قال لي الرّضا عليه السلام :

« ويحك يا ابن عرفة : اعملوا لغير رياء ولا سمعة ؛ فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى عمل ، ويحك ما عمل أحدٌ عملاً إلاّ ردّاه الله إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشرٌّ »[1] .

قوله عليه السلام : « ردّاه الله » أي جعل عمله كالرّداء إمّا رداء خير جميل إن كان عمله كذلك أو رداء شرّ إن لم يكن إلاّ شراً وهو المثل المعروف : « كما تدين تدان »[2] والمثل الرّضويّ قد ذكره

(١) اصول الكافي ٣ / ٢٩٤ . ورواه الشيخ الحرّ بلفظ « إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً » في الوسائل١ / ٤٨ ، باب ١١ من أبواب مقدمة العبادات رقم الحديث ٨ ، وكلا اللّفظين صحيح .

(٢) المستقصى ٢ / ٢٣١ ـ ٢٣٢ ، الجمهرة على هامش مجمع الأمثال ٢ / ١٥٤ ـ ١٥٥ ، الأمثال المستخرجة من نهج البلاغة ، رقم المثل ١١٦ .

الميدانيّ قال : (النّاس مجزيّون بأعمالهم : إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشرٌّ) . أي : إن عملوا خيراً يجزون خيراً ، وإن عملوا شرّاً يجزون شرّاً[1] .

وكلام الله جلّ جلاله : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره** ﴾[2] . أجمع للمقصود ، وأدلّ وأشمل ؛ لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كان يسمّيها الجامعة[3].وهي أحكم آية في القرآن وفيها بيان مقدار العمل أقلّ ما يأتيه العامل يرى جزاءه من خير أو شرّ . والذّرّة وهي الهباء الّذي يظهر في الكوّة من أثر الشّمس وقيل : النّملة الصّغيرة التي لا تكاد ترى لا ثقل لها ، ويقال إنّ المائة منها زنة حبّة شعير أو جزء من أجزاء الهباء كما تقدّم[4] .

أمّا إخلاص العمل فهو مقام المخلصين (بالفتح) وهم المعصومون (وكسر اللام) من سائر المؤمنين قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الدّنيا كلّها جهل إلاّ مواضع العلم ، والعلم كلّه حجّة إلاّ ما عمل به ، والعمل كلّه رياء إلاّ ما كان مخلصاً ، والإخلاص على خطر حتّى ينظر العبد بما يختم له »[5] . وفي صادقيّ : « إنّه قال لعبّاد من كثير البصريّ في المسجد ، ويلك يا عبّاد إيّاك والرّياء ؛

---

(١) مجمع الأمثال ٢ / ٣٤١ ، حرف النون .
(٢) سورة الزّلزلة : الآية / ٧ ـ ٨
(٣) تفسير الصّافي ٢ / ٨٤١ .
(٤) مجمع البحرين في (ذرر) .
(٥) التّوحيد : ٣٧١ .

فإنّه مَنْ عمل لغير الله وكله الله إلى مَنْ عمل له »[1] .

لـو لم يمتلك القلب حبّ الله عـزّ وجــلّ لمـا أمكن الإخــلاص الحقيقي ومن هنـا تجد المعصـوم عليه السـلام لا يتأتّى منـه إلّا العمل الخالص وكيف لا ولسان حاله وقاله يقول : إلهي من ذا الّذي ذاق حلاوة محبّتك فرام منك بدلاً ، ومن ذا الّذي أنس بقربك فابتغى عنك حولاً فلا تقطعني عنك ولا تبعدني منك يا نعيمي وجنّتي ، ويا دنياي وآخرتي .

(١) أصول الكافي ٢ / ٢٩٣ .

٣٨ ـ انظروا كم فرق بين المنزلتين ؟

روى الفيض عن الشّهيد الثّاني حديث الرّضا عليه السلام :

« يقال للعابد يوم القيامة : نعم الرّجل كنت ، همّتك ذات نفسك وكفيت النّاس مؤونتك فادخل الجنة ، ألا إنّ الفقيه من أفاض على النّاس خيره وأنقذهم من أعدائهم ووفّر عليهم نعم جنان الله تعالى وحصّل لهم رضوان الله تعالى ، ويقال للفقيه ، يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادي لضعفاء محبّيهم ومواليهم قف حتى تشفع لك من أخذ عنك أو تعلّم منك ، فيقف فيدخل الجنّة معه فئاماً فئاماً فئاماً ـ حتى قال عشراً ـ وهم الّذين أخذوا عنه علومه وأخذوا عمّن أخذ عنه وعمّن أخذ عمّن أخذ عنه إلى يوم القيامة ، فانظروا كم فرق بين المنزلتين ؟ »[١] .

أي : بين منزلة العابد المنجي نفسه وبين الفقيه العالم المُنجي نفسه ونفوس الآخرين ؛ لأنّ العلم نور والنّور هو الظّاهر في

---

(١) المحجّة البيضاء ١ / ٣٢ .

قوله عليه السلام : « فئاماً . . » قال ابن الأثير : الفئام مهموز : الجماعة الكثيرة . النهاية ٣ / ٤٠٦ ، (فأم) ، وقال الطريحي : وفي الحديث « قلت : وما الفئام ؟ قال : مائة ألف » مجمع البحرين (فأم) .

نفسه المظهر لغيره ولعلّ في حديث « إنّما هو نور »[١] إشارة إلى ذلك ففي صادقي صحيح رواه الكليني : « رجل راوية لحديثكم يبثّه ذلك في النّاس ويشدّده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ولعلّ عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرّواية أيهما أفضل ؟ قال : الرّاوية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد »[٢] . وآخر : « النّاس ثلاثة : عالم ومتعلّم وغُثاء »[٣] . وآخر : «يغدو النّاس على ثلاثة أصناف : عالم ومتعلّم وغُثاء ، فنحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون وسائر النّاس غثاء »[٤] . وآخر : « أُغدُ عالماً أو متعلماً أو أحبّ أهل العلم ، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم »[٥] . ونبوىّ : « أغدُ عالماً أو متعلّماً أو مستمعاً أو محبّاً ولا تكن الخامس فتهلك »[٦] .

العلم جوهرة لا تعطى الجاهل الّذي لا يعرف ثمنها أو يضلّ بها فيهلك . وعن زيد العابدين في أبيات منسوبة إليه :

إنّي لأكتم من علمي جواهره	كي لا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسن	إلى الحسين ووصي قبله الحسنا
يا ربّ جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا
ولاستحلّ رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا[٧]

وفي صادقيّ : « خالطوا النّاس بما يعرفون ودعوهم مما

---

(١) البحار ١ / ٢٢٥ ، الضمير عائد إلى العلم المذكور فيه .
(٢) أصول الكافي ١ / ٣٣ ، كتاب فضل العلم .
(٣) المصدر ص ٣٤ ، وغثاء : ما يحمله السّيل من الزّبد والوسخ . هامش المصدر .
(٤) أصول الكافي ١ / ٣٤ .
(٥) المصدر .
(٦) البحار ١ / ١٩٥ ، الجامع الصّغير ٤٨ .
(٧) المحجّة البيضاء ١ / ٦٥ .

ينكرون ولا تحملّوا على أنفسكم وعلينا ؛ إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان »[1] .

---

(١) المصدر ص ٦٦ . بصائر الدرجات ٤٦ ، وفيه عدة أخرى . في هذا الصدد انظر من ص ٤٦ ـ ٤٩ من المصدر .

٣٩ ـ أنفق ولا تخشى من ذي العرش اقتاراً

روى الكليني بإسناده إلى ابن أبي نصر قال ·

« قرأت في كتاب أبي الحسن الرّضا إلى أبي جعفر عليهما السلام يا أبا جعفر بلغني أنّ الموْالي إذا ركبتَ أخرجوك من الباب الصغير فإنّما ذلك من بخلٍ منهم لئلا ينال منك أحد خيراً ، وأسألك بحقّي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلاّ من الباب الكبير ، فإذا ركبت فليكن معك ذهبٌ وفضة ، ثم لا يسألك أحدٌ شيئاً إلاّ أعطيته ، ومن سألك من عمومتك أن تبرّه فلا تُعطه أقلّ من خمسين ديناراً والكثير إليك ، ومَنْ سألك من عمّاتك فلا تُعطها أقلّ من خمسة وعشرين ديناراً . والكثير إليك ، إنّي إنّما أريد بذلك أن يرفعك الله فأنفق ولا تخشى من ذي العرش إقتاراً »[1] .

نظيره المثل السائر النّبويّ قال الميداني في مجمع الأمثال :
« أنفق بلال ولا تخشى وذي العرش إقلالاً » قاله النّبيّ صلى الله

---

(١) الكافي ٤ / ٤٣

عليه وآله لبلال . يضرب في التّوسّع وترك البخل [1] .

وقد ذكرناه وعددناه في الأمثال النّبويّة ، وقلنا سواء أمر صلى الله عليه وآله بلالاً بالإنفاق أم لا إنّ القرآن الكريم والسّنّة القطعيّة ندبا إليه ما لو رام الكاتب ذلك لأفرد له باباً يستوعب فيه أحكام النّفقات الواجبة والمندوبة[2] .

في ثلاثة وسبعين موضعاً تناول القرآن الكريم الإنفاق منها قوله تعالى : ﴿ **وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** . . . ﴾ [3] وفيها : الدّلالة على الهلاك من ترك الإنفاق وإشارات ليس هنا موضع ذكرها وكفى ذلك اهتماماً بشأن الإنفاق في سبيل الله عزّ وجلّ ، ومن السّنّة :النّبويّ الّذي رواه الميداني والرّضوي المبحوث ، والعلويّ : « طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من كلامه » [4] . والنّبويّ : « الأيدي ثلاثة : فيد الله عزّ وجلّ العليا ويد المعطي الّتي تليها ، ويد السّائل السُّفلى فأعط الفضل ولا تعجز نفسك » [5] والعلويّ : « أنفقوا ممّا رزقكم الله عزّ وجلّ ؛ فإنّ المُنفق بمنزلة المجاهد في سبيل الله ، فمن أيقن بالخلف سخت نفسه بالنّفقة » [6] .

---

(١) المجمع ٢ / ٣٤١ ، رقم ٤٢٤٩ ، حرف النون .
(٢) الأمثال النّبويّة ١ / ١٩٩ ، رقم المثل ١٢٦ ، حرف الهمزة مع النّون .
(٣) سورة البقرة : الآية / ١٩٥ . ومن تلك الاشارات عدم ذكر نفس الهلاك ليعمّ غيره أيضاً : أي لا تلقوا بأيديكم أنفسكم ولا نفوس الآخرين فيها .
(٤) البحار ٩٦ / ١١٧ .
(٥) البحار ٩٦ / ١١٩ .
(٦) البحار ٩٦ / ١٢٠ وفي المقام روايات أخرى لا يسع ذكرها .

٤٠ ـ إن كان شرّاً فشرّاً ، وإن كان خيراً فخيراً

روى الشّيخ الكليني نسخة وصيّة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام الّتي فيها التّنصيص على خلافة الإمام الرّضا عليه السلام وإمامته وإخراج بقيّة إخوته منهم العبّاس بن موسى عليه السلام المعارض لأخيه الرّضا وقد ذكرنا المعارضة بتمامها عند الكلمة الرّضويّة : « اخسأ عنّا وعنهم الشيطان »[١] . ولم يكن المثل السّائر : « إن كان شرّاً فشراً ،وإن كان خيراً فخيراً » ، مذكوراً في المعارضة على رواية الصدوق وإنّما هو مذكورٌ في رواية الكليني طاب ثراهما مع ألفاظ أخرى وإليك نصّ المعارضة بنسخة الكافي :

قال أبو الحكم ـ بعد ذكر الوصيّة التي لم نذكرها ـ : فحدّثني عبد الله بن آدم الجعفري عن يزيد بن سليط قال :

كان أبو عمران الطّلحي قاضي المدينة فلمّا مضى موسى قدّمه[٢] إخوته إلى الطّلحي القاضي فقال العبّاس بْن موسى : أصلحك الله وأمتع بك إنّ في أسفل هذا الكتاب كنزاً وجوهراً ويريد أن يحتجبه ويأخذه دوننا ولم يدع أبونا رحمه الله شيئاً إلاّ ألجأه إليه

---

(١) الهمزة مع الخاء .

(٢) الرّضا عليه السلام المُقدَّم .

وتركنا عالةً ولولا أنّي أكفّ نفسي لأخبرتك بشيءٍ على رؤوس الملأ ، فوثب إليه إبراهيم بن محمّد فقال : إذا والله تخبر بما لا نقبله منك ولا نصدّقك عليه ثمّ تكون عندنا ملوماً مدحوراً ، نعرفك بالكذب صغيراً وكبيراً وكان أبوك أعرف بك لو كان فيك خيراً [خيرٌ] وإن كان أبوك لعارفاً بك في الظّاهر والباطن وما كان ليأمنك على تمرتين ، ثم وثب إليه إسحاق بن جعفر عمّه[1] فأخذ بتلبيبه فقال له : إنّك لسفيه ضعيف أحمق أجمع هذا مع ما كان بالأمس منك ، وأعانه القوم أجمعون . فقال أبو عمران القاضي لعليّ ـ عليه السلام ـ : قم يا ابا الحسن حسبي ما لعنني أبوك اليوم وقد وسّع لك أبوك ولا والله ما أحدٌ أعرف بالولد من والده ، ولا والله ما كان أبوك عندنا بمستخفٍّ في عقله ولا ضعيف في رأيه .

فقال العبّاس للقاضي : أصلحك الله فضّ الخاتم واقرأ ما تحته ، فقال أبو عمران : لا أفضّه حسبي ما لعنني أبوك اليوم[2] ، فقال العبّاس : فأنا أفضّه ، فقال ذاك إليك ، ففضّ العبّاس فإذا فيه إخراجهم وإقرار عليّ لها وحده وإدخاله[3] إيّاهم في ولاية عليّ إن أحبّوا أو كرهوا وإخراجهم من حدّ الصّدقة وغيرها وكان فتحه[4] عليهم بلاء وفضيحة وذلّة ، ولعليّ عليه السلام خيرةً ، وكان في الوصيّة الّتي فضّ العبّاس تحت الخاتم هؤلاء الشّهود :

إبراهيم بن محمّد ، وإسحاق بن جعفر ، وجعفر بن صالح ،

---

(١) في معجم رجال الحديث ٣ / ٤٢ ـ ٤٣ التّوثيق العالي له .

(٢) لأنّ الكاظم عليه السلام قال في الوصيّة : « ليس لاحدٍ أن يكشف وصيّتي . . . فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه . . . » الكافي ١ / ٣١٧ .

(٣) العباس .

(٤) كتاب الوصيّة .

وسعيد بن عمران ، وابرزوا وجه أمّ أحمد في مجلس القاضي وادّعوا أنها ليست إياها حتّى كشفوا عنها وعرفوها ، فقالت عند ذلك : قد والله قال سيّدي هذا : إنك ستؤخذين جبراً وتخرجين إلى المجالس[1] فزجرها إسحاق بن جعفر وقال : اسكتي ؛ فإنّ [عقول] النّساء إلى الضّعف ما أظنّه قال من هذا شيئاً . ثم إنّ عليّاً عليه السلام التفت إلى العبّاس فقال :

يا أخي إنّي أعلم أنّه إنّما حملكم على هذه ، الغرائم والدّيون الّتي عليكم ، فانطلق يا سعيد[2] فتعين لي ما عليهم ، ثمّ اقض عنهم ، ولا والله لا ادع مواساتكم وبرّكم ما مشيت على الأرض فقولوا ما شئتم فقال العبّاس : ما تعطينا إلاّ من فضول أموالنا ومالنا عندك أكثر ، فقال : قولوا ما شئتم فالعرض عرضكم[3] فإن تُحسنوا فذاك لكم عند الله ، وإن تسيؤوا فإنّ الله غفور رحيم والله إنّكم لتعرفون أنّه مالي يومي هذا ولد، ولا وارث غيركم ولئن حبست شيئاً فما تظنّون أو ادّخرته فإنّه هو لكم ومرجعه إليكم والله ما ملكت منذ مضى أبوكم رضي الله عنه شيئاً إلاّ وقد سيّبته[4] حيث رأيتم .

فوثب العبّاس فقال : والله ما هو كذلك ، وما جعل الله لك من رأي علينا ولكن حسد أبينا لنا وإرادته ما أراد ممّا لا يسوّغه الله إيّاه ولا إيّاك وإنّك لتعرف أنّي أعرف صفوان بن يحيى بيّاع السّابري بالكوفة ولئن سلمتُ لأغصّصنّه بريقه[5] وأنت معه ،فقال عليّ عليه

---

(١) انظر معجم رجال الحديث ٢٣ / ١٧٢ ـ ١٧٣ ترجمة أمّ أحمد .

(٢) لعلّه الخادم .

(٣) بالكسر ـ للعين ـ فيهما ، وفي بعض النّسخ [فالغرض غرضكم] على ما في هامش الكافي ١ / ٤١٦ .

(٤) من التّسيّب : الجري والتّرك ومنه السّائبة .

(٥) مثل سائر يقال في الخنق .

السلام :

لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم ، أمّا أنّي يا إخوتي فحريصٌ على مسرّتكم الله يعلم ، اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي أحبّ صلاحهم وأنّي بارٌّ بهم واصل لهم رفيق عليهم أعني بأمُورهم ليلاً ونهاراً فأجزني به خيراً وإن كنتُ على غير ذلك فأنت علّام الغيوب فأجزني به ما أنا أهله إن كان شرّاً فشرّاً ، وإن كان خيراً فخيراً ، اللّهمّ أصلحهم وأصلح لهم واخسأ عنّا وعنهم الشّيطان وأعنهم على طاعتك ووفقهم لرشدك ، أمّا أنا يا أخي فحريصٌ على مسرّتكم جاهدٌ على صلاحكم ، والله على ما نقول وكيلٌ ، قال العبّاس : ما أعرفني بلسانك وليس لمسحاتك عندي طين[1]. فافترق القوم على هذا وصلى الله عليه محمد وآله[2] .

ثمّ إنّ كلّ ما ذكرناه خارج عن موضوع البحث وقوله عليه السلام : « إن كان شرّاً فشرّاً ، وإن كانِ خيراً فخيراً » هو المقصود ؛ وذلك من الأمثال السّائرة وقد ذكره الميداني بلفظ : « النّاس مجزيّون بأعمالهم : إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشرٌ »[3] .

---

(١) مثل سائر يضرب لعدم التأثير وللخيبة .

(٢) الكافي ١ / ٣١٧ ـ ٣١٩ ، وعيون أخبار الرّضا ١ / ٢٩ ـ ٣٠ مع تغيير ما .

(٣) مجمع الأمثال ٢ / ٣٤١ ، حرف النون . ذكرناه مع ما يمتّ إليه بصلة عند المثل الرّضويّ حرف الهمزة مع النّون .

٤١ ـ إنّ أهل قم يدفع عنهم بك
كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن ـ عليه السلام ـ

روى الشيخ المفيد طاب ثراه بإسناده إلى زكريّا بن آدم قال :

« قلت للرّضا عليه السلام إنّي أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السّفهاء ، فقال : لا تفعل ؛ فإنّ أهل قم يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن عليه السلام »[1] .

وهل امتداح كهذا الامتداح في شأن زكريّا بن آدم إلاّ وهو يقصر البلوغ دونه، نعم جاء عنه عليه السلام أيضاً في سؤال ابن المسيّب : شقّتي بعيدة ولستُ أصل إليك في كلّ وقت فممّن آخذ معالم ديني ؟ فقال : من زكريّا بن آدم القمّيّ المأمون على الدّين والدّنيا[2] .

إذا كان زكريا بمثابة الإمام المعصوم في دفع البلاء عن أهل بغداد وهذا عن أهل قم فلا يكون لا محالة إلا أميناً على الدّين والدنيا، والأمانة هي الّتي دعت الرّضا عليه السلام إلى أن يقارنه وأباه في دفع ما يحذر منه عن سكنة بغداد وقم وقد قال في سبب إرادة الخروج قوله : فقد كثر السّفهاء ويعلم منه أنّهم المدفوع عنهم ببركة وجود زكريّا بن آدم من أهل قم ولكن عموم الأهل يمنع اختصاص

---

(١) الاختصاص ٨٧ ، ومعجم رجال الحديث ٧ / ٢٧٢ .

(٢) المصدران .

الدّفع عن طائفة خاصّة ومن المقرّر في محله هو الأخذ بعموم الجواب لا خصوص السّؤال إلّا بمخرج معتبر من عقل أو نقلٍ .

وزكريّا بن آدم معدود من أصحاب الرّضا والجواد بل الصّادق عليهم السلام كما عن الشيخ[1] . وله منهم الثّناء الرّفيع قدّمنا بعضاً منه وإليك آخر :

قال المفيد حدّثنا جعفر بن محمد بن قولويه عن الحسن بن بنان عن محمّد بن عيسى عن أبيه عن علي بن مهزيار عن بعض القمّيين عن محمد بن إسحاق والحسن بن محمد قالا : خرجنا بعد وفاة زكريّا بن آدم إلى الحجّ فتلقانا كتابه عليه السلام في الطريق ما جرى من قضاء الله الرّجل المتوفّى في رحمة الله يوم وُلد ويوم قبض ويوم يبعث حياً فقد عاش أيّام حياته عارفاً بالحقّ ، قائلاً به صابراً محتسباً للحقّ قائماً بما يحبّ الله ورسوله ومضى رحمة الله عليه غير ناكثٍ ، ولا مبدّل ، فجزاه الله أجرنيّته وأعطاه جزاء شيعته . . .[2]

فلو كان للأئمّة عليهم السلام اثنان من أصحابهم المرضيّين بكلّ معنى كلمة الرّضا فأحدهما زكريا بن آدم صاحب الرّضا عليه السلام المدفون في البقعة المعروفة بـ (شيخان) في بلدة قم يزار ويتبرك به رضوان الله تعالى عليه .

---

(١) معجم رجال الحديث ٧ / ٢٧١ .

(٢) الاختصاص ٨٧ ـ ٨٨ ، معجم الرجال ٧ / ٢٧٣ . فيه ورد النص هكذا : «خرجنا بعد وفاة زكريا بن آدم بثلاثة أشهر نحو الحجّ ، فتلقانا كتابه عليه السلام في بعض الطريق فإذا فيه : ذكرت ما جرى من قضاء الله به في الرجل المتوفى رحمه الله يوم ولد ويوم قبض ويوم يبعث حيّا . فقد عاش أيّام حياته عارفاً بالحق قائلاً به صابراً مخلصاً للحق ، قائماً بما يحبّه الله ورسوله . . . » الخ .

٤٢ ـ إنّ الّذي يموّن الحمار يموّن البرذون

روى الشيخ الكليني بإسناده إلى ابن طيفور المتطبّب قال :

« سألني أبو الحسن عليه السلام أيّ شيءٍ تركب ؟ قلت : حماراً ، فقال : بكم ابتعته ؟ قلت : بثلاثة عشر ديناراً ، فقال : إنّ هذا هو السّرفُ أن تشتري حماراً بثلاثة عشر ديناراً وتدع برذوناً . قلت : يا سيّدي إنّ مؤونة البرذون أكثر من مؤونة الحمار ، قال : فقال : إنّ الّذي يموّن الحمار يموّن البرذون ، أما علمت أنّ من ارتبط دابّة متوقّعاً به أمرنا ويغيظ به عدوّنا وهو منسوب إلينا أدرّ الله رزقه ، وشرح صدره ، وبلّغه أمله ، وكان عوناً على حوائجه »[1] .

الحمار يعرفه كلّ إنسان ، و (البرذون) بكسر الباء الموحّدة وبالّذال المعجمة : هو من الخيل الّذي أبواه أعجميّان، والأنثى برذونة، والجمع براذين[2] . والبغل هو البرذون الفحل قال الدميري : البغل معروف وكنيته أبو الأشحج وأبو الحرون وأبو الصّقر وأبو قضاعة وأبو

(١) الكافي ٦ / ٥٣٥ .

(٢) مجمع البحرين في (برذ) وفي لغة الفُرس : (ستور ، وأسب تاتاري) . منتهى الأرب ، في (برذون) .

قمـوص وأبو كعب وأبـو مختار وأبـو ملعون . ويقـال له : ابن بـاهق ، وهـو مركّب من الفَرَس والحمار ؛ ولـذلـك صـار لـه صـلابـة الحمـار وعظم آلات الخيل ، وكذلك شحيجـه : أي صوتـه ، مولـد من صهيل الفـرس ونهيق الحمار، هـو عقيم لا يولـد له . . . وإذا كـان الذكـر حمـارا يكون شديد الشّبه بالفَرَس ، وإذا كان الذكر فرسـاً يكون شـديد الشّبـه بالحمار .

ومن العجيب أنّ كـلّ عضـو فـرضتـه منـه يكـون بين الفـرس الحمـار وكـذلـك أخـلاقـه ليس لـه ذكـاء الفـرس ولا بـلادة الحمـار ، ويقـال : إنّ أوّل من انتجها قـارون ولـه صبـر الحمـار وقـوّة الفـرس ، ويـوصف بـرداءة الأخـلاق والتّلوّن لأجـل التّـركيب وينشـد في ذلــك قوله :

خـلق جـديـد كـلّ يـوم   مثـلَ أخـلاق البـغـال

لكنّه مع ذلـك يوصف بـالهدايـا في كلّ طريق يسلكه مـرّة واحداً وهو مع ذلـك مركب الملوك في أسفـارها وقعيـدة الصّعاليـك في قضاء أو أمـرها مـع احتمالـه للأثقـال وصبره على طـول الإيغـال وفي ذلـك يقال :

مركب قاضٍ وإمـام عدلٍ   وعــالمٍ وسيّـدٍ وكهــل[1]

* يصلح للرّحل وغير الرّحل *

حياة الحيوان / ١٩٥ . وفي المصدر (كهل) بلا واو واللازم ثبوتها .

أقول : في حديث أبي هـاشم الجعفري حـرف القاف مـع الدّال من الحكم الـرّضويـة ذكرنـا حديث الهـادي عليه السـلام ودعاؤه لأبي هـاشم الجعفـري ولبرذونه فراجع ، فإنّه يمسّ المقام بعض المساس .

وقال في البرذون : كنيته أبو الأخطل كنى به لخطل ذنيه وهو استرخاؤهما بخلاف أذن الفرس العربي وهو الذي أبواه أعجميّان ، والأعجميّ من النّاس : الّذي لا يفصح الكلام عجميّاً كان أو عربيّاً ألا تراهم قالوا : زياد الأعجم لعجمة كانت في لسانه وهو عربيّ .

وقال في خواصّه إذا شربت امرأة دم برذون لم تحمل أبداً ، وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت لخاصّيته فيه ، وإذا جفف وذرّ منه في الأنف حبس الرّعاف ، وإذا ذرّ على الجراحات حبس الدّم . وقال : البرذون في المنام خصومة وقيل غلام ويعتبر أيضاً برجل أعجميّ ويعبّر أيضاً بامرأة ؛ فمن سرق برذونه طلق زوجته[1] .

وقال الجاحظ :

البراذين والبغال والحمير وأشباه ذلك من ذوات الشّعر[2] . وقال البراذين والعتاق كلّها خيل[3] . وقال البراذين عند الفرس ضأن الخيل[4] . وأنّ الأنثى أشدّ أكلاً من الذكر قيل لبعض الأعراب : أيّ شيءٍ آكل ؟ قال : برذونة رغوث[5] .

أقول : للبرذون خلال أخرى ذكرها بعض الكُتّاب نقتصر على بعض الأمثال المضروبة في ذلك قال الثعالبي : البغل الهرم لا يفزعه صوت الجُلْجُل)، (قيل للبغل : من أبوك ؟ قال : الفرس خالي) ، (فلان بغلة أبي دُلامة) لكثير العيوب . (في سبيل الله سرجي وبغلي) فيمن يتصدّق بما فاته وخاب .

---

(١) حياة الحيوان ١ / ١٦٨ و ١٧٢ .

(٢) الحيوان ٥ / ٤٨٤ .

(٣) الحيوان ٣ / ٢٠٢ .

(٤) الحيوان ١ / ١٥٢ .

(٥) الحيوان ١ / ١١٢ ، رغوث : مرضعة .

(ارتفع عن ذلّة العير ، واتّضع عن خيلاء الخيل ، وخير الأمور أوساطها)[١] .

وقد قيل في الحمار أيضاً نبذ من الكلمات المثليّة منها (لا يأبى الكرامة إلّا الحمار)[٢] (كحمار القصّار أن جاع شرب ، وإن عطش شرب) . (بال الحمار فاستبال أحمرةً) .

كم من حمارٍ على جوادٍ ومن جوادٍ على حمار
إنّ الحمار مع الحمار مطيّة فإذا خلوت به فبئس الصاحب[٣]

وقوله تعالى : ﴿ **والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة** ﴾ [٤] ، مقدّماً الأولى على الثّانية والثّانية على الثّالثة وفيه دلالة على أوساطيّة البغال الّتي هي خير [٥] .

ولعلّ الحديث المبحوث ينظر إلى ذلك وإنّ البرذون وهو البغل أو النّوع الخاصّ منه على البيان الآنف الذّكر ركوبه الخروج من الخيلاء الحاصلة من الخيل والتّرفع عن الأتّضاع من ركوب الأحمرة ، وأنّ الله جلّ جلاله الكافل للمؤن الكثيرة والقليلة وأنّ الذي يموّن الحمار يموّن البرذون ونظيره المثل الصّادقيّ : « إنّ ربّ الماء ربّ الصّعيد » ، والآخر : « فإنّ ربّ الماء ربّ التراب » [٦] . في كون الطّهارة التّرابيّة كالطّهارة المائيّة مجزية ومسقطة للتكليف .

---

(١) التّمثيل والمحاضرة ٣٤٢ (الأمثال النّبويّة) ١ / ٣٩٣ ، حرف الخاء مع الياء .
(٢) التمثيل والمحاضرة ٣٤٣ . وحرف اللام مع الألف من الأمثال العلوية .
(٣) التّمثيل والمحاضرة ٣٤٤ ـ ٣٤٥ .
(٤) سورة النّحل : الآية / ٨ .
(٦) الوسائل ١ / ٩٨٤ ، باب ١٤ من أبواب التيمّم ، الحديث ١٥ و ١٣ . وفي الباب أحاديث أُخر .

٤٣ ـ أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ

قال الصّدوق طاب ثراه : حدّثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدّقّاق رضي الله عنه قال حدّثنا محمد بن أبي عبد الله الحسني عن عبد السّلام بن صالح الهرويّ قال : حدّثني معمر بن خلّاد وجماعة قالوا :

دخلنا على الرّضا ـ عليه السلام ـ فقال له بعضنا : جعلنا الله فداك مالي أراك متغير الوجه ؟ فقال ـ عليه السلام ـ : إنّي بقيت ليلتي ساهراً متفكّراً في قول مروان بن أبي حفصة :

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ   لبني البنات وراثة الأعمام

ثمّ نمت فإذا أنا بقائل قد أخذ بعضادة الباب وهو يقول :

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ	للمشركين دعائم الإسلام
لبني البنات نصيبهم من جدّهم	والعمّ متروك بغير سهام
ما للّطليق وللتراث ؟ وإنما	سجد الطليق مخافة الصّمصام
قد كان أخبرك القرآن بفضله	فمضى القضاء به من الحّكام
إنّ ابن فاطمة المنوّه باسمه	حاز الوراثة عن بني الأعمام
وبقي ابن نُثْلة واقفاً متردّداً	يبكي ويُسعده ذووا الأرحام[1]

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٤ ـ ١٧٥

ومروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة شاعر مروانيّ نشأ في العصر الأموي =

يريد الشّاعر بشعره الّذي كان الرّضا عليه السلام متفكراً فيه أنّ الخلافة للعبّاسيّين دون بني هاشم ،لأنهم ينتمون الى النّبيّ صلى الله عليه وآله بالعمومة وبنو هاشم من ولد علي عليهم السلام بنو بنته والعمّ أقرب من أبن بنت الميّت وأولى بميراثه وعليه الخلافة للمأمون العبّاسيّ دون الرّضا عليه السلام ابن بنت الرّسول ومن أجل ذلك استغرب الشّاعر الضّالّ أن تكون الإمامة وراثة أولاد فاطمة عليهم السلام الّتي هي خصيصةً الأعمام قائلاً :

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثة الأعمام

فأجاب عنه القائل في المنام بالأبيات التي أنشدها الرّضا عليه السلام : أنّ الخلافة نصيب أولاد فاطمة من جدّهم والعمّ متروك السهم .

مَنْ هذا القائل الّذي رآه الرّضا عليه السلام في المنام ؟ وهل نوم المعصوم وما يراه كغيره ؟ وقد جاء في صادقيّ : « إنّ منّا لمن ينكت في أذنه ، وإنّ مّنا لمن يرى في منامه ، وإنّ منّا لمن يسمع مثل صوت السلسلة التي تقع في الطّست »[1] ، وآخر : « إنّا لنعلم ما فى اللّيل والنّهار »[2] . وآخر : « أترى أنّ الله استرعى راعياً واستخلف خليفة ثم يحجب عنه شيئاً من أمورهم »[3] ، وللبحث تتمّة مرهونة .

= ضالّ منحرف ، ولد ١٠٥ هـ ، ومات ١٨٢ ، كما قاله الزركلي في الأعلام ٧ / ٢٠٨ .

(١) البحار ٢٦ / ٥٥ .

(٢) المصدر ص ٦١ .

(٣) المصدر ص ١٤٢ .

٤٤ ـ انّ الشّيء إذا لم يُرَدْ لم تكن إرادةٌ

كلمة مستخرجة من مناظرة الرّضا عليه السلام مع سليمان المروزي في الإرادة التي رواها الصّدوق ، ولبيان المراد نذكر شيئاً من متن المناظرة :

« قال سليمان إنّها كالسّمع والبصر والعلم ، قال الرّضا ـ عليه السلام ـ : قد رجعت إلى هذا ثانية فأخبرني عن السّمع والبصر والعلم أمصنوع ؟ قال سليمان : لا ، قال ـ عليه السلام ـ فكيف نفيتموه ؟ قلتم لم يرد ، ومرّة قلتم أراد وليست بمفعول له ، قال سليمان : إنّما ذلك كقولنا مرّة عَلِمَ ومرّة لم يعلم ، قال الرّضا ـ عليه السلام ـ ليس ذلك سواء ؛ لأنّ نفي المعلوم ليس كنفي العلم ونفي المراد نفي الإرادة أن تكون ؛ لأن الشّيء إذا لم يُرَدْ لم تكن إرادةٌ فقد يكون العلم ثابتاً وإن يكن المعلوم ؛ بمنزلة البصر فقد يكون الإنسان بصيراً وإن لم يكن المُبصَر . . . »[١] .

قوله عليه السلام : « قد رجعت إلى هذا ثانية » والأُولى قوله

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٩ ، التّوحيد : ٤٤٨ ـ ٤٤٩ وفي هامشه « لم تكن الارادة » ومتنه « لم يكن إرادة » .

أي قـول سليمان : « مـا تقـول فيمن جعـل الإرادة اسمـا وصفـة مثـل حيّ، وسميع وبصير وقدير »[١] .

والصّنـع أثر الفعـل وكيف تكون صفـة الّذات كـالسّمـع والبصـر والعلم أثـراً لفعـل الّـذات وهـل هــذا إلاّ خلط بين صفـات الّــذات والفعـل ؟ على أنّ الأُولى لا يصحّ نفيهـا في حال فـلا يقال قـد يسمـع وقـد لا يسمـع ولا يبصـر ولا يعلم بينمـا يقـال قـد لم يـرد فلو كـانت الإرادة كالسّمع والبصر لما صحّ نفيها .

نعم ربّمـا يقـال عـالم ولا معلوم وسميـع ولا مسمـوع وقادر ولا مقدور وهو صحيح إذ النفي خاصّ بـالمعلوم والمقدور والمسمـوع كما نجـد الإنسان بصيـراً أي ذا بصر ولا مُبْصَـرٌ يبصـره وهـذا كلّه بخـلاف المــراد والإرادة إذ الشيء إذا لم يـرد لم تكن إرادة لعــدم معقــوليّــة التّفكيـك بينهما فـلا يقال لـه تعالى مـريداً إلاّ والمـراد مـوجـود . نعم القدرة على إيجاد المـراد موجـودة أمّا بـوصف الإرادة فلا يعقـل وجوده بدونها أو وجودها بدونه فافهم ، فإنّه دقيق .

بقي شيء :

وهـو أنّ لله إرادتين : ١ـ إرادة حتمٍ لا تتخلف عن المـراد ولا هو عنهـا . ٢ ـ إرادة عزم بتخلّف المـراد عنها كمـا في ذبـح إسماعيل ، وأكـل آدم من البُرّ المنّهيّ عنـه في الجنّـة، فلو لم يـرد ذلك لغلبت إرادة آدم وإبـراهيم عليهما السـلام على إرادة الله جلّ جـلالـه وذلـك محـال فلم يـرد من النّهي المذكـور إلا إرادة العزم ؛ ببيـان ذكرنـاه عند كلمـة « أنّ الفعـل كلّه محدث »[٢] . والمـراد من الكلام الجـاري هو مـطلق الإرادة ولا يفرق بين كونها حتميّة وعزميّة .

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٦ ، التّوحيد : ٤٤٥ .
(٢) التّوحيد : ٦٤ ، وانظر أيضاً حرف الهمزة مع النّون

٤٥ ـ إنّ الصّدقة محرّمة على محمّد وآله

روى الشيخ الصدوق حديث استدلال الإمام الرّضا عليه السلام بالاثني عشر آية من القرآن الكريم على فضل العترة الطّاهرة جواباً لعلماء أهل العراق وخراسان الّذين جمعهم المأمون كعادته في غير مرّة لما أضمره ما الله عزّ وجلّ يعلمه ، ذكرنا طائفة منها متفرّقة عند كلمات انتزعناها ، ومنها الآية الثّامنة وهي آية الخمس[1] لم نذكر ها هنا ، ولا شرحه عليه السلام إيّاها ، ولبيان ربط الكلمة المختارة ما يلي من الحديث :

« فلمّا جاءت قصّة الصّدقة نزّه نفسه ورسوله ونزّه أهل بيته فقال : ﴿ **إنّما الصّدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفى الرّقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السّبيل فريضة من الله** ﴾[2] فهل تجد في شيءٍ من ذلك أنّه سمّى لنفسه أو لرسوله أو لذي القربى ؛ لأنّه لما نزه نفسه عن الصّدقة ونزّه رسوله ونزّه أهل بيته لا بل حرّم عليهم ؛ لأنّ الصّدقة محرّمة على محمّد وآله وهي أوساخ أيدي النّاس لا يحلّ لهم لأنّهم طهروا من كلّ دنس ووسخ

---

(١) سورة الأنفال : الآية / ٤١

(٢) سورة التّوبة : الآية / ٦٠ .

فلمّـا طهّرهم الله عـزّ وجـلّ واصـطفـاهم رضي لهم مـا رضي لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه عزّ وجلّ فهذه الثامنة »[1]

يـريـد عليـه السـلام أنّ المعصـومين الّـذين هم آل محمّـد عليهم السـلام منزلتهم غيـر موصـوفـة إلّا لمن في رتبتهم والّـذي يكشف عن علوهّم مقـارنتهم مـع الله والـرّسـول في سهم الخمس من الغنـائم والأنفال والطّاعة والولاية كما ذكـرنا ذلـك كلّه عند كلمـة « جعلهم في حيّز وجعل النّاس في حيّز دون ذلك »[2] . كما شـاركوا الله والـرّسول في التّنزيه في آيـة الصّدقـة حيث لم يؤت ذكرهم كمـا لم يؤت ذكر الله والرّسول فكلّ ما ذكرا ذكروا كما في آية الخمس والطاعة والولاية وكلّ ما لم يـذكرا لم يـذكروا كمـا في آية الصّدقات ؛ ومن ثمّ صـارت الصّدقـة محـرّمة عليهم عليهم السـلام حيث لم يرضيهـا الله عزّ وجـلّ لنفسه ولا لرسوله فلم يرضهـا لأهل البيت فهم شـركاء في ذلك كلّه . وهذه فضيلة لا مـطمع فيهـا لسواهم ولا نصيب فيهـا لغيرهم ، وفي علويّ : « أكـرم الله رسـوله وأكـرمنـا أهـل البيت أن يـطعمنـا من أوسـاخ النّـاس »[3] . وكيف لا وهم ملوك الدّنيا والآخرة ولولاهم لما خلق العالم بأسره .

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٦ ـ ١٨٧ الوسائل ٦ / ٣٦٠

(٢) حرف الجيم مع العين

(٣) الوسائل ٦ / ٣٥٨

٤٦ ـ إنّ الصّمت يكسب المحبّة

روى الشّيخ الكليني طاب ثراه بسنده الصّحيح إلى أحمدبن أبي نصر قال قال أبو الحسن الرّضا عليه السلام :

« من علامات الفقه الحلم ، والعلم ، والصّمت ؛ إنّ الصّمت باب من أبواب الحكمة ؛ إنّ الصّمت يكسب المحبّة ؛ إنّه دليل على كلّ خيرٍ »[1]

قال الميداني في مجمع الأمثال : (الصّمت يكسب أهله المحبّة) : أي محبّة النّاس إيّاه لسلامتهم منه .

يضرب في مدح قلّة الكلام .[2] فالرّضويّ هوالمثل السّائر مع تغيير مّا ، ولا يمتري اثنان في كسب الصّمت المحبّة ، وقد جاء امتداحه البالغ في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وغيرها نذكر بعضها :

ففي باقريّ : « إنّما شيعتنا الخُرس » . وصادقي « وهو يقول

(١) أصول الكافي ٢ / ١١٣ .

(٢) ج ١ / ٤٠٢ ، حرف الصاد .

لمولى له يقال له سالم ـ ووضع يده على شفتيه وقال : ـ يا سالم احفظ لسانك تسلم ، ولا تحمل النّاس على رقابنا » . وعن حمّاد بن عيسى قال : حضرت أبا الحسن صلوات الله عليه وقال له رجل : أوصني ، فقال له : « أحفظ لسانك تُعزّ ولا تمكّن النّاس من قيادك فتذلّ رقبتك » . وصادقيّ « قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل أتاه : ألا أدلّك على أمرٍ يدخلك الله به الجنّة ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : أنل مما أنالك الله[1] : قال : فإن كنت أحوج ممّن أنيله ؟ قال : فانصر المظلوم ، قال : وإن كنت أضعف ممّن أنصره ؟ قال : فاصنع للأخرق[2] يعني أشر إليه ، قال : فإن كنت أخرق ممّن أصنع له ؟ قال : فاصمت لسانك إلّا من خير ، أما يسرّك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرّك إلى الجنة ؟ » . وصادقيّ آخر : « قال : قال لقمان لأبنه : يا بنيّ إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضّة ؛ فإنّ السّكوت من ذهب »[3] وعلويّ : « ما من شيءٍ أحقّ بطول السّجن من اللّسان »[4] .

وأمّا غير الأحاديث من الكلمات المحتملة الانتزاع منها فكما يلي بعضها أيضاً؛ فإنّ الاستقصاء الكامل مخرج للموضوع .

قالوا : (من أخافه الكلام أجاره الصّمت) . (وعاء الخطايا بالصّمت يختم) . (الصّمت ينفع النّاس والطّير) .

الصّمت حكمٌ وقليلٌ فاعله   يُسعد بالقول ويَشْقى قائلُه[5]

---

(١) أي أعط مما أعطاك الله .

(٢) الأخرف : الجاهل بما يجب أن يعمله ومن لا يحسن التّصرّف في الأمور ولم يكن في يده صنعة يكتسب بها . هامش أصول الكافي ٢ / ١١٣ .

(٣) أصول الكافي ٢ / ١١٣ ـ ١١٤ .

(٤) الوسائل ٨ / ٥٣٥ ، وحرف الميم مع الألف من الأمثال العلوية .

(٥) التمثيل والمحاضرة ٤٢٥ .

قال بعضهم : الصّمت يجمع للرّجل خصلتين : السّلامة في دينه ، والفهم عن صاحبه . وقال آخر : حفظ اللّسان أشدّ على النّاس من حفظ الدّنانير والدّراهم[1]

وفيما ذكر للعاقل الكفاية ، ولا تغني الكتب إن لم يكن .

---

(١) المحجّة البيضاء للكاشاني ٥ / ١٩٧ ، كتاب آفات اللّسان .

٤٧ ـ إنّ الفاعل قبل المفعول

من كلمات مناظرة الرّضا عليه السلام مع سليمان المروزي في الإرادة المدّعي قِدمها وقد أبطلها عليه السلام رواها الصّدوق ، ولربط الكلمة وبيان المراد منها نذكر شيئاً من المناظرة :

« قال سليمان : إرادته منه ـ عزّ وجلّ ـ كما أنّ سمعه منه وبصره منه وعلمه منه ، قال الرّضا عليه السلام : فإرادته نفسه ؟! قال : لا ، قال عليه السلام فليس المريد مثل السّميع والبصير ، قال سليمان : إنّما أراد نفسه كما سمع نفسه وأبصر نفسه وعلم نفسه ، قال الرّضا عليه السلام : ما معنى أراد نفسه : أراد أن يكون شيئاً أو أراد أن يكون حيّاً أو سميعاً أو بصيراً أو قديراً ؟! قال : نعم ، قال الرّضا عليه السلام : أفبإرادته كان ذلك ؟! قال سليمان : لا ، قال الرّضا عليه السلام : فليس لقولك : أراد أن يكون حيّاً سميعاً بصيراً معنىً إذا لم يكن ذلك بإرادته ، قال سليمان : بلى قد كان ذلك بإرادته، فضحك المأمون ومن حوله وضحك للرضا عليه السلام ، ثم قال لهم : ارفقوا بمتكلّم خراسان ، يا سليمان فقد حال عندكم عن حالة وتغيّر عنها وهذا ممّا لا يوصف الله عزّ وجلّ به ، فانقطع .

ثم قال الرّضا عليه السلام : يا سليمان أسألك مسألةً ، قال : سل جعلت فداك قال : أخبرني عنك وعن أصحابك تكلّمون النّاس

بما يفقهون ويعرفون أو بما لا يفقهون ولا يعرفون ؟! قال : بما يفقهون ويعرفون ، قال الرّضا عليه السلام : فالّذي يعلم النّاس أنّ المريد غير الإرادة وأنّ المريد قبل الإرادة وأنّ الفاعل قبل المفعول ، وهذا يبطل قولكم : إنّ الإرادة والمريد شيء واحد ، قال : جعلت فداك ليس ذاك منه على ما يعرف النّاس ولا على ما يفقهون ، قال عليه السلام فأراكم أدّعيتم علم ذلك بلا معرفة ، وقلتم : الإرادة كالسّمع والبصر إذاً كان ذلك عندكم على ما لا يعرف ولا يعقل ، فلم يحر جواباً . . . »[1] .

والقبليّة قبليّة القيام بالمفعول كما قال العالم عليه السلام : « والمشيّة في المنشأ قبل عينه ، والإرادة في المراد قبل قيامه »[2] .

وبعد ما قال المروزي الإرادة منه تعالى مثل السّمع والبصر والعلم، سأله هل هي نفسه المتعالية ؟ قال : لا ، فقال عليه السلام فليست إذاً مثل السّمع والبصر والعلم إذ يصحّ أن يقال سمعٌ كلّه بصرٌ كلّه علمٌ كلّه، ولا يقال إرادةٌ كلّه إلاّ أن يراد بها الاقتدار على إيجاد ما أراد، ثم غلط المروزي بقوله أراد نفسه وردّه عليه السلام بعدم المعنى المعقول ؛ لأنّ ذلك لا يخلو أن يريد تعالى ذاته أو كونه حيّاً أو سميعاً أو بصيراً والمروزي مرّة قال نعم ، وأخرى لا بالتناقض ومِنْ ثَمَّ ضَحَكَ الجميع منه، وأمر عليه السلام برفقه وألزمه بلزوم التغيّر في الله جلّ جلاله المنفيّ عنه بقوله عليه السلام : « وهذا مما

(١) التّوحيد ٤٤٥ ـ ٤٤٦ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٧ .

(٢) التّوحيد ٣٣٤ . كما أنّ فاء ﴿ **كن فيكون** ﴾ يّس : ٨٢ . بيان رتبة الفاعل والمفعول تعرّضنا إلى ذلك بتفصيل عند كلمة « أرأيت ما أكل أهل الجنّة . . . » حرف الهمزة مع الرّاء .

لا يوصف الله عزّ وجلّ به ، فانقطع » .

ثمّ وجّه عليه السلام سؤالاً أفحمه في الجواب .

وحاصل السّؤال : هل تكلّم النّاس أنت وأصحابك بما لا يعرفون أو يعرفون، فإن قلت بما يعرفون فالنّاس يفرّقون بين المريد والإرادة، وأنّ المريد قبلها والفاعل قبل المفعول وأين هذا من القول بالوحدة بينهما فهم على خلاف ما أنت عليه ، ولتحقيق ذلك نقول :

إنّ الفعل هو صدورٌ وحركةٌ حاكيةٌ عن الفاعل وعلى حدّ اللّفظ المرويّ العلويّ : « الاسم ما أنبأ عن المسمّى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى . . . »[1] . فالفعل محكيّ كلمة الفاء والعين واللّام ليس إلّا حركة صادرة عن شخص ، وبما أنّ الله عزّ وجلّ مبّرأ عن الأدوات والآلات وكلّ ما يجري في المخلوق كان ذلك منه إبداع وصنع ﴿ إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾[2] . قال الرّضا عليه السلام : « وكن منه صنعٌ وما يكون به المصنوع »[3] . وله عليه السلام بيان حول الحروف المبدعة بالإبداع وهي مفعول بذلك الفعل وهي ثلاثة وثلاثون حرفاً إلى آخر ما هناك فراجع[4] . فالفعل مخلوق الله تعالى بقوله : ﴿ كن فيكون ﴾ ، والفاعل هو تعالى ذاته المقدّسة القدرة كلّه والعلم كلّه والحياة كلّه السّميع البصير القدير المريد، ولكن لا تكون الإرادة ذاته المتعالية ولا صفة ، نعم المريد اسم من أسمائه الحسنى ، اسم فعل ، وتلك أسماء الذات ونعوته الجماليّة والكلّ أسماء الكمال ؛ ومن أجلها صحّ قسمة الاسم إلى اسم ذاتٍ وصفةٍ وفعلٍ يجمعها اسم الكمال الّذي لا يكون إلّا

---

(١) البحار ٤٠ / ١٦٢ .

(٢) سورة يٓس : الآية / ٨٢ .

(٣) التوحيد ٤٣٦ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٠ .

(٤) المصدران .

بالجمال والجلال .

ونعود إلى المناظرة :

بعدما أقرّ المروزي بأنّه لا يتكلّم مع النّاس هو ولا أصحابه إلاّ بما يعرفون أبطل مدّعاه بما عند النّاس من الفرق بين المريد والإرادة والفاعل والمفعول وأنّ كلاً من ذلك قبل صاحبه؛ لأنّ مدّعاه يعود إلى أنّ الفاعل والمفعول، شيء واحد والمريد والإرادة شيء واحد، كما أنّ السّميع والسّمع والبصير والبصر والقدير والقدرة في الله تعالى شيء واحد .

ثم المروزي رجع عن إقراره المتقدّم إلى إنكار ما يعرفون وأنّه على خلافهم في العقيدة فكرّ عليه السلام عليه وردّه بأنّه يقول ما لا يعرف ولا يعقل ، وأنّه يتفرّد في ذلك وهذا باطل في العقول ؛ لأنّ الحكم العقلي لا يختصّ بمتكلّم خراسان، وبإنسان دون إنسان ؛ ومن هنا لم يحر جواباً لهذا الكلام الحاسم القاصم .

ثم قال الرّضا عليه السلام : « يا سليمان هل يعلم الله عزّ وجلّ جميع ما في الجنّة والنّار ؟! قال سليمان : نعم ، قال : أفيكون ما علم الله عزّ وجلّ أنّه يكون من ذلك ؟! قال : نعم قال : فإذا كان حتّى لا يبقى منه شيء إلاّ كان أيزيدهم أو يطويه عنهم ؟! قال سليمان : بل يزيدهم ، قال : فأراه في قولك : قد زادهم ما لم يكن في علمه أنّه يكون . . . »[1] .

وللكلام تتمّة هامّة لا تسع المقام واطلبها من كلمة: « أنّ الفعل كلّه محدث »[2] ، وغيرها خاصّة من كلمة « أرأيت ما أكل أهل الجنّة وما شربوا أليس يخلف مكانه »[3] .

---

(١) التوحيد ٤٤٦ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٢) حرف الهمزة مع النّون .

(٣) حرف الهمزة مع الرّاء .

٤٨ ـ إنّ الفعل كلّه محدث

كلمة مستخرجة من مناظرة مع سليمان المروزي في الإرادة التي رواها الصّدوق ، ولبيان ربطها لا بدّ من ذكر شيءٍ من المناظرة : قال الرّضا عليه السلام :

«أرأيت ما أكل أهل الجنة وما شربوا أليس يخلف مكانه؟! قال: بلى ، قال : أفيكون يقطع ذلك عنهم وقد أخلف مكانه ؟! قال سليمانِ : لا ، قال : فكذلك كلّ ما يكون فيها إذا أخلف مكانه فليس بمقطوع عنهم ، قال سليمان : بل نقطعه عنهم فلا يزيدهم ، قال الرّضا عليه السلام إذا يبيد ما فيهما وهذا يا سليمان إبطال الخلود وخلاف الكتاب؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد** ﴾[1] . ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **عطاءً غير مجذوذ** ﴾[2] ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **وما هم منها بمخرجين** ﴾[3] ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **خالدين فيها أبداً** ﴾[4] . ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **فاكهة**

---

(١) سورة قَ : الآية / ٣٥ .

(٢) سورة هود : الآية / ١٠٨ .

(٣) سورة الحجر : الآية / ٤٨ .

(٤) سورة البيّنة : الآية / ٨

كثيرة * **لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾[1]. فلم يحر جوابا

ثم قال الرّضا عليه السلام : يا سليمان ألا تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل ؟ قال : بل هي فعل ، قال : فهي محدثة، لأنّ الفعل كلّه محدث ، قال : ليست بفعل ، قال فمعه غيره لم يزل ، قال سليمان : الإرادة هي الإنشاء ، قال : يا سليمان هذا الّذي ادّعيتموه [عبتموه] على ضرار وأصحابه من قولهم : إنّ كلّ ما خلق الله عزّ وجلّ في سماء أو أرض أو بحر أو برّ من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابّة إرادة الله عزّ وجلّ وإنّ إرادة الله عزّ وجلّ تحيي وتموت وتذهب وتأكل وتشرب وتنكح وتلد وتظلم وتفعل الفواحش وتكفر وتشرك فتبرأ منها وتعاديها وهذا حدّها »[2].

يرى النّاظر إلى هذه المناظرة تناقض المروزي إذ مرّة ينكر انقطاع الأكل والشّرب من أهل الجنة، والعذاب لأهل النّار وأنّه تعالى يزيد كلاً منهم ، وأخرى يدّعي قطعها عنهم ومنع الزّيادة وهو تناقض واضح ، والحقّ ثبوت الزّيادة وعدم الانقطاع ، لآية ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾ و ﴿ لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ المتقدّمة الذكّر ، وحيث ردّ عليه السلام بها فلم يعرف الجواب ..

ولا غرو إن تناقضت أقواله، إذ لم يأخذها من عين صافية من علوم آل محمّد عليهم السّلام ثم نبّه عليه السّلام المروزي أنّ ما عاب به على ضرار بن عمرو وأصحابه القائلين بالجبر قد وقع فيه، ولا يخفى أنّ هذا المذهب موافق لبعض العرفاء والمتصوفة من وحدة

---

(١) سورة الواقعة : الآية / ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢) التّوحيد ٤٤٧ ـ ٤٤٨ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٨ ـ ١٤٩

وفي هامش التوحيد ٤٤٨ : أي فتبرأ من الإرادة بالمعنى الّذي ذهب إليه ضرار وتعاديها مع أنّ هذا الذي ذهبت إليه من أنّ الإرادة هي الإنشاء حدّ الإرادة بالمعنى الّذي ذهب إليه ضرار .

الـوجود وأنّ الكـلّ بالإرادة التّكـوينيّة ، وقـد جـاء النّصّ بـأنّ لله إرادتين : إرادة حتم وإرادة عزم والثّاني قد يتخلّف فراجع[1] .

ثم الإرادة لا ريب في كـونهـا فعـلاً والفعـل كلّه محـدث فهي محدثة لا محالة وهذا مذهب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم[2] .

إذا دريت أنّ الإرادة محدثة فلنعد إلى كلام الـرّضا عليـه السلام في ردّ سليمان وإبطال مذهبه بِقدِمها .

أختار عليه السـلام الردّ بـطرح السّؤال وضرب الأمثـال كما سبق منـه بالسّؤال بقـوله : « يـا سليمان أسـألك مسـألة » ذكـرناه عنـد كلمة « أنّ الفاعل قبل المفعول »

وهـا هنا سؤال آخـر استمراراً لإبـطال القول بقـدم الإرادة ، عن طـريق علم الله عزّ وجـلّ وتخلّف المعلوم عنـه وأنّ مـا تعلّق علمـه بـه هـل هو كـائن لم يتخلّف كمـا في علمـه تعـالى بجميـع مـا في الجنّـة والنّار ؟ وهل يزيد على الكائن المعلوم أو يطويه عنهم ؟!

فـإن قال المـروزي لا ، فقد أنكـر فضله وقـدرتـه تعـالى ، وإن قال : نعم يزيدهـم كما أقرّ بالزّيادة وأنّها لا نهاية لها فقـد أبطل مذهبه، حيث لم تكن الـزّيادة من الكـائن المعلوم أوّلاً كما هو الفرض فتخلف المراد ، والمروزي ينكر التخلّف .

وأمّـا الحقّ الّذي لا معـدل عنه أنّ المـراد لا يتخلّف عن الإرادة أي الحميّة دون إرادة العزم كمـا يأتي بيان ذلك، فلم تكن إن لم يكن كمـا قـال الصـادق عليـه السـلام : « إن المـريـد لا يكـون إلاّ المـراد

(١) حرف الهمزة مع الراء .

(٢) المصدر .

(٣) حرف الهمزة مع النّون .

معه »[1] . والباقري عليه السلام : « ولا لإرادته فصل »[2] فيتحقق المراد بلا فصل، فالفاء في قوله تعالى : ﴿ كن فيكون ﴾[3] . ليس فصلاً بل بيان الرّتبة بأنّ الفاعل قبل المفعول كما ذكرناه في « أنّ الفاعل قبل المفعول »[4] . وأنّ القبليّة قبليّة القيام به كما قال العالم عليه السلام :

« فالعلم بالمعلوم قبل كونه ، والمشيّة في المنشأ قبل عينه ، والإرادة في المراد قبل قيامه »[5] . نعم له تعالى إرادتان : إرادة حتم تسمّى بالإرادة التكّوينيّة ،وإرادة عزم تسمّى بالإرادة التّشريعيّة بمعنى يريد تعالى المراد بإرادة العبد فقد توافق إرادته وقد تخالفها بالعصيان وأمّا التكّوينيّة فلا تخلّف بين الإرادة والمراد ففي الرّضويّ[6] . « . . . ويحك يا فتح إنّ لله إرادتين ومشيئتين إرادة حتم وإرادة عزم ينهى وهو يشاء ، ويأمر وهو لا يشاء ، أو ما رأيت أنّه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشّجرة وهو يشاء ذلك ، ولو لم يشأ لم يأكلا ولو أكلا لغلبت مشيئتهما مشيئة الله ، وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام وشاء أن لا يذبحه ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيئة إبراهيم مشيّئة الله عزّ وجلّ . . . »[7] .

---

(١) التوحيد ١٤٦ .

(٢) التوحيد ٥٨ .

(٣) سورة يّس : الآية / ٨٢ .

(٤) حرف الهمزة مع النّون .

(٥) التّوحيد ٣٣٤ .

(٦) كما استظهر المعلّق في هامش التّوحيد ٦١ أنّ الحديث للرضا عليه السلام .

(٧) التوحيد ٦٤ .

خرجنا عن بيان الرّضا عليه السلام فلنعد ثانياً .

قال ما حاصله إنّ الكائن المعلوم لا تمنعه الزّيادة غير المتناهية وهي معلومةٌ له تعالى فما ادّعاه المروزي من عدم المعلوميّة لعدم التناهي فاسدٌ وليس العلم به موجب **لإنقطاعه**؛ والآي المذكورة تشهد بذلك وتنصّ على عدم الإنقطاع ولا ريب أنّ الأكل والشّرب في الجنّة يخلفان مكانهما بما لا انقطاع وكذا ما في النّار؛ والدليل على ذلك آية : ﴿ **لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾ وإنكار الزيادة إبطال الخلود .

وهل هذا يربط قدم الإرادة ؟ إصرار المروزي على إنكار الزّيادة دليل الرّبط وإثباتها تصريح بلزوم حدوثها فافهم ، **فإنّه دقيق** .

٤٩ ـ إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن

روى الصّدوق بإسناده إلى الإمام الرّضا عليه السلام أنّه قال :

« من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم ، ثم قال : إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن ، ومحكماً كمحكم القرآن فردّوا متشابهها إلى محكمها ، ولا تتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا »[١] .

المحكم والمتشابه :

القرآن الكريم مشتمل على الآيات المحكمة والمتشابهة قال تعالى : **﴿ هو الّذى أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأمّا الّذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون فى العلم ﴾**[٢] .

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ٢٣٦ ، الوسائل ١٨ / ٨٢ .
(٢) سورة آل عمران : الآية / ٧

مـادّة المحكم والمتشابـه جـاءت في الكتـاب العـزيـز في آيـة : ﴿ كتـاب أُحكمت آيـاتـه ثمّ فصّلت من لـدن حكيم خبيـر ﴾[1] . أي آياته بعد تفصيلها وتكثـرّها بعـد النّزول حـالها كمـا كانت قبـل النّزول في الإحكام والإتقان وبهذا المعنى القرآن كلّه مـوصوف بـذلك ، وفي آيـة : ﴿ كتابـاً متشابهـاً مثانى ﴾[2] . الكتـاب العزيـز كلّه متشابـه إذ لم يخصّصـه تعالى بقسم منـه بل وصف الكتـاب كلّه بالمتشـابه في هـذه الآية ، والمراد مشابهة بعضه لبعض في الهداية والبلاغـة والسّلامـة من التّناقض والاختلاف كمـا قال عـزّ وجلّ : ﴿ ولـو كان من عنـد غير الله لـوجدوا فيـه اختلافـاً كثيراً ﴾[3] . وأمّـا ما جـاء في آيـة من سـورة آل عمـران الّتي تلوناهـا آنفـاً فهـو غيـر المحكم والمتشـابـه المنعـوت بـه القـرآن كلّه بل منـه محكم وآخر متشـابه فـلا بدّ من معـرفتهما حتى لا يشتبـه بين هذين وذينـك وقد كثـر في معنى المحكم والمتشابـه أقـوال العلماء وربّما أنهيت إلى عشرين تفسيراً لا يسع المقام ذكرها .

وهل هذه الآية هي من الآيات المحكمة أو المتشابهة ؟

وعنـدي أنّها من المحكمـات بقرينـة التّقسيم وذكرهمـا فيها معـاً ويـراد بهما المعنى اللّغـويّ الّـذي يعـرفـه النـاس وأنّ المحكم أصـل الكتاب المنزل للهداية لا يفتقر إلى بيان لوضوح معنـاه كقولـه تعالى : ﴿ وكـان الله على كـلّ شيءٍ مقتـدراً ﴾[4]. وأمـا المتشـابـه فـلا يعلم تـأويله وتفسيـره : إلاّ الله والـرّاسخـون في الـعلم وهـم الأئمـة المعصومون عليهم السلام لإحتمالـه للمعاني الكثيرة المتشابهـة بمعنى الالتبـاس الّتي ربّما خـالفه العقـل والنقل كقـوله تعـالى : ﴿ الـرحمن

---

(١) سورةِ هود : الآية / ١

(٢) سورة الزّمر : الآية / ٢٣ .

(٣) سورة النّساء : الآية / ٨٢ .

(٤) سورة الكهف : الآية / ٤٥ .

على العرش استوى ﴾[1] . ومن ثمّ جاء الأمر بالعمل بالأوّل دون الثّاني كما في صادقيّ : « المحكم ما يعمل به ، والمتشابه ما اشتبه على جاهله »[2]. وآخر : « إن القرآن فيه محكم ومتشابه فأمّا المحكم فنؤمن به ونعمل به وندين به ، وأمّا المتشابه فنؤمن به ولا نعمل به »[3] دلّ الحديثان على أنّ العمل بالمحكم والإيمان به واجب دون المتشابه فإنّ العمل به ممنوع ولاء الإيمان به فلو لم يكن المحكم مبيّناً المراد لما وجب العمل به ، لأنّه فرع العلم بخلاف المتشابه فلا يطلب غير الإيمان لعدم اتضاح المراد منه إلاّ بعد ورود التفسير والتأويل من الراسخين من آل محمد صلى الله عليهم اجمعين .

وأما اختلاف العلماء في تفسير المحكم والمتشابه فلا يصلح دليلاً على كون الآية المشتملة على المحكم والمتشابه بحملةً ومتشابهة غير محكمة لأنهم يتكلّمون على القواعد المتكثّرة التي في أيديهم ومن شاء نظر إليها[4] .

فلنعد إلى الحديث الرضوي :

أما قوله عليه السلام : « من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدى إلى صراط مستقيم » فدليل على ما قدمناه من وضوح معنى المحكم إذ لو لم يكن واضح المعنى كيف يمكن ردّ المتشابه إليه على أنّ قوله تعالى : ﴿ هنّ أمّ الكتاب ﴾ أي أصله الّذي يبنى عليه

---

(١) سورة طه : الآية / ٥ .
(٢) تفسير البرهان ١ / ٢٧١ .
(٣) في المقدمة الرابعة من تفسير الصافي ١ / ١٨ .
(٤) تفسير الميزان ٣ / ١٩ ـ ٤٦ ، وتفسير المنار ٣ / ١٦٣ ـ ١٩٦ .

ويرجع إليه ففيه دلالة على ردّ المتشابه إلى المحكم والعمل على طبقه والحديث الرّضوي وكذا الصّادقيّان عليهما شاهد من القرآن فيؤخذ بهما كما في صادقيّ : « إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وإلاّ فالّذي جاءكم به أولى به »[١].

قوله عليه السلام : «إنّ في أخبارنا متشابها كمتشابه القرآن» أي فكما يجب رد متشابه القرآن ألى محكمه يجب ردّ متشابه الحديث إلى محكمه؛ فإنّ في روايات أهل البيت عليهم السلام ما لا يحتمله إلا من هداه الله إلى الولاية واستنار بنورها ففي باقري : « حديثنا صعب مستصعب لا يؤمن به إلاّ ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان فما عرفت قلوبكم فخذوه وما أنكرت فردّوه إلينا »[٢]

ومعنى ردّه إليهم ترك الإنكار وعدم تفسيره بالقياس والاعتبار العقليّ كما في المتشابه القرآني ليس لنا تفسيره بالرّأي واتّباع ما وافق ذلك، فإنّه أولاً يشمله قوله تعالى : ﴿ **فأمّا الّذين فى قلوبهم مرض فيتبعون ما تشابه منه** ﴾ ، وثانياً النّهيّ الوارد ففي نبويّ : « من قال في القرآن بغير علم فليتبوّء مقعده من النّار »[٣] . وصادقيّ : « ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلاّ كفر »[٤] .

ولا بدّ من السّؤال منهم والتمسّك بهم والأخذ عنهم لا العمل بالقياس والرّأي فقد جاء النّهيّ لعلّه في مائة وثلاثين حديثاً .

وفي باقريّ : « ويحك يا قتادة إنّما يعرف القرآن من خوطب

(١) الوسائل ١٨ / ٧٨ .
(٢) بصائر الدرجات ٤١
(٣) الوسائل ١٨ / ١٤٠ .
(٤) الوسائل ١٨ / ١٢٥ .

وصـادقي : « ويحك أيّهمـا أعظم قتـل النّفس أو الـزّنـا ؟ فقـال اي أبـو حنيفة ـ قتـل النّفس ، قال : فـإن الله عـزّ وجـلّ قـد قبـل في قتل النّفس شاهدين ولم يقبل في الزنا إلا أربعة »[2] .

(١) المصدر ص ١٢٩ .

(٢) الـوسائـل ١٨ / ٢٩ وتمـامـه : « ثم ايهمـا اعـظم ؟ الصـلاة أم الصـوم ؟ قـال الصلاة ، قال : فما بال الحـائض تقضي ، الصيام ولا تقضي الصـلاة ؟ فكيف يقوم لك القياس فاتق الله ولا تقس » والروايات في ذلك كثيرة كما ذكرنا .

٥٠ ـ إنّ لله واديا من ذهب حماه بأضعف خلقه النّمل

روى الكليني بسنده الى يونس عمّن ذكره قال قيل للرّضا عليه السلام : إنّك متكلم بهذا الكلام والسّيف يقطر الدّم ، فقال : « إنّ لله وادياً من ذهب حماه بأضعف خلقه النّمل فلو رامته البخاتي لم تصل إليه »[١] .

في خبر رواه المجلسي « قال الوشاء : إنّي سألته عن هذه البلاد وقد سمعت الحديث قبل مسألتي ، فأخبرت أنه بين بلخ والتّبّت وأنّها تُنبت الذّهب وفيها نمل كبار . . . »[٢] .

قال الطّريحي : في الحديث « في الإبل البُخت السّائمة مثل ما في الإبل العربيّة » البُخت نوع من الإبل ، الواحد بختى مثل روم وروميّ والأنثى بختية ، والجمع بُخاتي غير مصروف ؛ لأنه جمع الجمع ، ومنه الحديث : « إنّ لله وادياً من ذهب حماه بأضعف خلقه النّمل ، فلو رامه البخاتي لم تصل إليه » خصها بالذّكر ؛ لأنّها أقوى

---

(١) الوسائل ١١ / ١٥٩ ، البحار ٤٩ / ١١٦ .

(٢) البحار ٤٩ / ٥٤

خلق الله من الحيوان [1] .

يـريد بـالحديث مـا ذكرنـاه ، وحديث النجـاتي ذكره الكليني[2] والبُخت والبُخاتي ـ بالضّمّ ـ ، الإبل الخراسانية [3] .

يريد الـرّضا عليـه السلام بـذكر وادي الـذّهب المحميّ بأضعف خلق الله عـزّ وجـلّ الخـلّ ، المثـل لحفـظه تعـالى إيّـاه من الـطّاغيـة المأمون غيـر المأمون فكمـا حفظ الله عزّ وجـلّ الوادي الـذّهبي يحفظ حجتّه البالغـة ، والمناسبـة مرعيّـة بين مضرب المثـل والممثّل لـه وهو الإمـام عليه السـلام ، هذا إذا ما لم ينزل القضـاء فإذا نـزل خلّي بينه وبينـه ولا محيص من يوم خطّ القلم كمـا قـالـه الحسين عليـه السـلام جـدّه : « خطّ الـمـوت على ولـد آدم مـخطّ الـقـلادة عـلى جيـد الفتاة . . . لا محيص عن يوم خطّ بـالقلم رضى الله رضانـا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفّينا أجر الصابرين »[4] .

وقد نجّى الله جلّ جـلاله الإمـام الرّضـا عليه السـلام من مواطن الهلكـة .

منها: قصّـة رواها الصدوق بـإسنـاده عن محمـد بن خلف قـال حدّثني هرثمة بن أعين قال : دخلت على سيـدي ومولاي يعني الـرّضا عليـه السلام في دار المـأمون وقـد كان قـد ظهـر في دار المـأمـون أنّ الرّضا عليه السلام قد توفّي ولم يصـحّ هذا القـول فدخلت أريـد الإذن عليه قال : وكان في بعض ثقات خـدم المأمـون غلام يقـال له صبيـح الـدّيلمي وكان يتـوالى سيّدي حقّ ولايتـه وإذا صبيح قد خرج ، فلمّـا رآني ، قـال لي: يا هـرثمـة ألست تعلم أنّي ثقـة المـأمــون على سره

(١) مجمع البحرين في « بخت » .

(٢) الكافي ٣ / ٥٣٢ .

(٣) هامش الوسائل ١٦ / ٤٥٧ ، نقلاً عن المحاسن ٤٧٣ .

(٤) نفس المهمرم ١٦٣ .

وعـلانيته ؟قلت : بلى ، قـال : اعلم يـا هـرثمـة أنّ المـأمـون دعـاني وثـلاثين غـلامـاً من ثقـاتــه على سـرّه وعــلانيتـه في الثلث الأول من الليل ، فدخلت عليه وقد صـار ليله نهاراً من كثـرة الشّموع وبين يـديه سيـوف مسلولة مشحـوذة مسمومـة فدعـا بنا غـلاماً غـلاماً وأخـذ علينـا العهـد والميثاق بلسـانه وليس بحضـرتنا أحـد من خلق الله غيرنـا فقال لنا : هذا العهـد لازم لكم أنّكم تفعلون ما آمـركم به ولا تخـالفوا فيـه شيئـاً قال : فحلفنـا له فقـال يأخـذ كلّ واحـد منكم سيفاً بيـده وامضوا حتـى تدخلوا على عليّ بن موسى الرّضا في حجرتـه ، فإن وجـدتموه قـائماً أو قـاعداً أو نـائماً فـلا تكلّمـوه وضعـوا أسيـافكم عليـه واخلطوا لحمـه ودمه وشعـره وعظمـه ومخّـه ثم اقلبـوا عليـه بسـاطـه وامسحـوا أسيافكم به وصيروا إليّ وقد جعلت لكـلّ واحد منكم على هـذا الفعل وكتمـانه عشـر بُدر دراهـم وعشـر ضيـاع منتخبـة والحـظوظ عنـدي مـا حييت وبقيت ، قال : فأخذنا الأسياف بأيدينا ودخلنـا عليه في حجـرته فـوجدنـاه مضطجعـاً يقلب طرف يـديه ويتكلّم بكـلام لا نعرفـه قـال : فبادر الغلمان إليه بالسيـوف ووضعت سيفي وأنا قـائم أنظر إليـه وكأنـه قـد كان علم مصيـرنا إليـه فليس على بدنـه ما لا تعمـل فيـه السيـوف فـطووا عليـه بسـاطـه وخـرجـوا حتى دخلوا على المــأمـون فقــال مـا صنعتم ؟ قالوا فعلنا ما أمرتنا بـه يا أميـر المؤمنين ، قال : لا تعيـدوا شيئاً فما كان .

فلمّـا كـان عنـد تبلّج الفجـر خـرج المـأمـون فجلس مجلسه، مكشـوف الرّأس محلّل الأزرار وأظهـر وفاتـه وقعـد للتّعـزيـة ، ثمّ قـام حافياً حاسراً فمشى لينـظر إليه وأنـا بين يديـه فلمّا دخـل عليه حجـرته سمـع همهمته فـأرعد ثم قـال : من عنده ؟ قلت : لا علم لنـا يا أميـر المؤمنين ، فقال اسرعوا وانظروا ، قال صبيح فـأسرعنـا إلى البيت فإذا سيّدي عليه السلام جالس في محرابه يصلّي ويسبّح .

فقلت يا أمير المؤمنين هوذا نرى شخصاً في محرابه يصلّي ويسبّح فانتفض المأمون وارتعد ثمّ قال : غدرتموني لعنكم الله ثمّ التفت إليّ من بين الجماعة فقال لي يا صبيح : أنت تعرف فانظر من المصلي عنده؟!قال صبيح : فدخلت وتولّى المأمون راجعاً ثم صرتُ إليه عند عتبة الباب قال عليه السلام لي : يا صبيح قلت لبيك يا مولاي وقد سقطت لوجهي فقال قم يرحمك الله : ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمّ نوره ولو كره الكافرون**﴾[1]، قال : فرجعت إلى المأمون فوجدت وجهه كقطع اللّيل المظلم فقال لي يا صبيح ما وراءك فقلت له يا أمير المؤمنين هو والله جالس في حجرته وقد ناداني وقال لي كيت وكيت ، قال فشدّ أزراره وأمر بردّ أثوابه ، وقال قولوا إنّه كان غشي عليه وأنّه قد أفاق ، قال هرثمة فأكثرت لله عزّ وجلّ شكراً وحمداً ثم دخلت على سيّدي الرّضا عليه السلام فلمّا رآني قال يا هرثمة لا تحدّث أحداً بما حدّثك به صبيح إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان بمحبتنا وولايتنا ، فقلت نعم يا سيّدي ، ثم قال عليه السلام يا هرثمة والله لا يضرّنا كيدهم شيئاً حتى يبلغ الكتاب أجله »[2] .

أقول : كلمة « حتى يبلغ الكتاب أجله » تكلّمنا عنها بتفصيل فراجع[3] ، وقد نقلنا بعض القصّة المسرودة هناك ، ولئن صحّت فقد دلّت على غاية ما أضمره للمأمون من الإساءة والفتك به عليه السلام ولا عجب منه وقد عجنت طينته بحبّ الدّنيا الّذي هو رأس كلّ خطيئةٍ ، وامتاز المأمون عن بقيّة المناوئين لأهل البيت عليه

(١) سورة الصف : الآية / ٨ .

(٢) عيون الأخبار ٢ / ٢١٥ ـ ٢١٧ ، والمناقب ٤ / ٣٤٩ ، والبحار ٤٩ / ١٨٦ ـ ١٨٧ .

(٣) حرف الحاء مع التّاء من الحكم .

السلام أن أدخل الإمام عليه السلام في قبول ولاية العهد جبراً كما صرّح به عليه السلام فقد روى الشّيخ الصّدوق بسنده عن أبي الصّلت الهرويّ حديثه المشتمل على كلام المأمون ـ إلى أن قال للرّضا عليه السلام ـ :

« فإن لم تقبل الخلافة ولم تحبّ مبايعتي لك ، فكن وليّ عهدي لتكون لك الخلافة بعدي فقال الرّضا عليه السلام والله لقد حدّثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، إنّي أخرج من الدّنيا قبلك مسموماً مقتولاً بالسُّمّ مظلوماً تبكي عليّ ملائكة السّماء وملائكة الأرض وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرّشيد ـ إلى أن قال ـ : ومن الّذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ[1] ؟

فقال الرّضا عليه السلام أما أنّي لو أشاء أن أقول لقلت من الّذي يقتلني ؟ فقال المأمون : يا ابن رسول الله إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك ليقول النّاس إنّك زاهد في الدّنيا ، فقال الرّضا عليه السلام والله ما كذبت منذ خلقني ربّي عزّ وجلّ وما زهدت في الدّنيا للدّنيا وإنّي لأعلم ما تريد فقال المأمون وما أريد ؟ قال الأمان على الصّدق ؟ قال : لك الأمان ، قال : تريد بذلك أن يقول النّاس أنّ عليّ بن موسى الرّضا لم يزهد في الدّنيا بل زهدت الدّنيا فيه ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة ؟ فغضب المأمون : ثم قال إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه وقد أمنت سطوتي فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلاّ أجبرتك على ذلك ، فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك فقال الرّضا عليه السلام قد

---

(١) من آخر الحديث تعلم كذبه .

نهـاني الله تعالى أن ألقى بيـدي الى التّهلكة فـإن كان الأمـر على هذا فافعل ما بدا لك . . . الحديث »[1] .

لو شئت لنقلت جميع خـداع المأمـون وتفرعنـه ، وكذلـك تفعل الـطّغـاة من الـرّؤسـاء مهمـا كـانت أسمـاؤهم . فلنعـد إلى الحـديث الجاري .

قوله عليه السلام : « إنّ لله واديـاً من ذهب حماه بـأضعف خلقه النّمل » .

قـد سبق أنّ هـذا الـوادي « بين بلخ والتّبّت وأنّهـا تُنبت الـذّهب وفيها نمل كبار . . . » ، بلخ من بلاد خـراسان وهي الآن محسـوبة من أفغـان وكانت من مسـاكن ملوك العجم ، ونهر بلخ مشهـور[2] . ويقال لجيحـون نهر بلخ بينهمـا عشرة فـراسـخ[3] . وتِبَـت بكسـر التّـاء اسم لناحية آسيوية مركزيّة الصّين .

وهـل المقصود بـالّذهب مـا هو المعـروف به وبـالتِّبـر وقـد ذكـر الفرق بينهما بأنّ التّبر أخصّ منه لأنّه القطعة وغير المسكوك والعسجد وغيرها من أسمـاء ؟ أو أنّه كنـاية عمّـا يشترى بـالذّهب أو مـا هو أغلى منـه كالنِّفط وبعض المعـادن وكثيـراً يـطلق الـذّهب على أمـور حَيَـويّـة كـالّدجلة والفـرات وغيرهمـا من الأنهار والميـاه الّتي لولاهـا لمـا كـان شجـر ولا ثمر ولا بشـر ولا شيء حيّ كما قـال تعالى : ﴿ وجعلنـا من

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٣٨ ـ ١٣٩ البحار ٤٩ / ١٢٩ ـ ١٣٠ .
أقـول وقد صـدق عليه السـلام مـا أخبـر أنّـه مـات مسمـومـاً ٢٠٣ ، ومـات المأمون سنة ٢١٨ .

(٢)مجمع البحرين في (بلخ) .

(٣) تعليق المصدر .

الماء كلّ شيءٍ حيٍّ ﴾[1] ، ولكن خلاف ظاهر الحديث خاصّة كلمة الوادي والأصل الأخذ بمدلوله العرفي والتّأويل أو الكناية لا يصار إليهما إلاّ بدليلٍ ظاهر من نقل أو عقل .

وادي النّمل :

ثم وادي الذّهب الذي فيه النّمل الحامي له هل هو وادي النّمل المذكور في آية : **﴿ حتّى إذا أتوا على واد النّمل قالت نملة يا أيّها النّمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾**[2] ؟!

يشهد له قول علي بن إبراهيم القميّ : « قعد على كرسيّه وحملته الرّيح فمرّ به على وادي النّمل وهو وادٍ ينبت فيه الذّهب والفضّة وقد وكل به النّمل وهو قول الصّادق عليه السلام : « إنّ لله وادياً ينبت الذّهب والفضّة وقد حماه الله بأضعف خلقه وهو النمل لو رامته النّجاتي ما قدرت عليه »[3] ؛ كما يشهد للحديث الرّضوي صدوره المظنون ولا ينافي أنّه من الصّادق عليه السلام مرّة والرّضا عليه السلام مرّة ثانية ، والاحتمال المتقدّم آتٍ في الفضّة كما هو آتٍ في الذّهب من أنّها كناية عن معادن النّفط أو غيره ممّا يبذل بإزائه الذّهب والفضّة .

ثمّ إنّه قد قيل أنّ وادي النّمل بالشّام[4] ؛ ويردّه حديث الوشّا

---

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٣٠

(٢) سورة النمل : الآية / ١٨ .

(٣) تفسير القمّي ٢ / ١٢٦ - ١٢٧ ، تفسير البرهان ٣ / ١٩٧ ، تفسير الصّافي ٢ / ٢٣٤ .

(٤) حياة الحيوان للدّميريّ ٢ / ٣٧٧ .

أنّه بين بلخ وتبت[1] .

والنّمل له شأن وكفاه أنّ الله عزّ وجلّ خصّ باسمه سورة النّمل . يقال إنّ تلك النّملة إنّما أمرت رعيّتها بالدّخول في مساكنها لئلا ترى النّعم الّتي أوتيها سليمان وجنوده فتقع في كفران نعمة الله عليها وفي هذا تنبيه على أنّ مجالسة أرباب الدّنيا محظورة .

ويروى أنّ سليمان قال لها : لِمَ قُلت للنمل ادخلوا مساكنكم؟ أخفت عليها منّي ظلماً ؟ قالت : لا ولكنّي خشيت أن يفتنوا بما يرون من جمالك وزينتك فيشغلهم ذلك عن طاعة الله تعالى[2] .

---

(١) البحار ٤٩ / ٥٤ .

(٢) حياة الحيوان للدّميري ٢ / ٣٧٨ .

وفيه قال بعض أهل التذكير : إنّها تكلّمت بعشرة أنواع من البديع : قولها « يا »نادت« أيها » نبّهت ، « النّمل » سمّت ، « ادخلوا » أمرت ، « مساكنكم » نعتت ، « لا يحطمنّكم » حذّرت ، « سليمان » خصّت ، « وجنوده » عمّت ، « وهم » أشارت . « لا يشعرون » اعتذرت . واختلف في اسمها طاخية وقيل حزمى . حياة الحيوان ٢ / ٣٧٨ .

وانظر ٣٧٤ ـ ٣٨١ بقية شؤون النّمل ،فإنّها جديرة بالنّظر والاعتبار .

٥١ ـ إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً

روى الشيخ المجلسي طاب ثراه من كتاب النّزهة قال مولانا الرّضا عليه السلام :

« ... إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً ونشاطاً وفتوراً فإذا أقبلت بصرت وفهمت ، وإذا أدبرت كلّت وملّت ، فخذوها عند إقبالها ونشاطها ، واتركوها عند إدبارها وفتورها »[١] .

الأصل لهذا المعنى : قول أمير المؤمنين عليه السلام : « إنّ للقلوب شهوةً وإقبالاً ، وإدباراً ، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها ؛ فإنّ القلب إذا أكره عميَ »[٢] .

قال ابن أبي الحديد : والعلّة في كون القلب يعمى إذا أكره على ما لا يحبّه ؛ أنّ القلب عضو من الأعضاء ، يتعب ويستريح كما تتعب الجثّة عند استعمالها وأحمالها ، وتستريح عند ترك العمل ، كما يتعب اللّسان عند الكلام الطّويل ، ويستريح عند الإمساك ، وإذا نواصل إكراه القلب على أمرٍ لا يحبّه ولا يؤثره تعب ؛ لأنّ فعل غير

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ، إحقاق الحقّ ١٩ / ٥٨٣ .
(٢) النّهج ١٩ / ١١ ، الحكمة ١٨٩ .

المحبــوب مُتعب ؛ ألا تـرى أنّ جمــاع غيـر المحبــوب يحــدث من الضّعف أضعاف ما يحدثه جماع المحبوب ؛ والـرّكوب إلى مكـان غير محبـوب متعب ولا يشتهى ، يتعب البدن أضعـاف مـا يتعبه الـرّكـوب إلى تلك المسافة إذا كان المكان محبـوباً ، وإذا أُتعب القلب وأعيـا ، عجز عن إدراك ما نكلفـه إدراكه ، لأنّ فعله هـو الإدراك ، وكلّ عضـوٍ يتعب فـإنّـه يعجـز عن فعله الخـاصّ بـه ، فـإذا عجـز القلب عن فعله الخاصّ به وهو العلم والإدراك ، فذاك هو عماه[1] .

والقــول العلويّ الآخـر : « إنّ للقلوب إقبــالاً وإدبـاراً ، فــإذا أقبلت فـاحملوهـا على النّـوافـل ، وإذا أدبــرت فـاقتصــروا بهـا على الفرائض »[2] .

قـال الشارح : لا ريب أنّ القلوب تمـلّ كمـا تمـلّ الأبـدان[3] ؛ وتُقبـل تارة على العلم وعلى العمـل ، وتُدبـر تارة عنهمـا ، قـال علي عليـه السـلام : فإذا رأيتمـوها مقبلة أي قـد نشطت وارتـاحت للعمل فـاحملوهـا على النّـوافـل ، ليس يعني اقتصـروا بهـا على النّـافلة ، بـل أدّوا الفـريضـة وتنفّلوا بعـد ذلك ، وإذا رأيتمـوها قـد ملّت العمل وسئمت فـاقتصـروا بهـا على الفرائض ، فـإنه لا انتفـاع بعمل لا يحضـر القلب فيه[4] .

فظهر من كلام الرّضا عليه السـلام المراد من إقبـال القلوب وإدبارها ولمزيد الإيضاح نذكر ما جاء أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام ومنه قـوله عليـه السلام : « إنّ هـذه القلوب تملّ كـما تملّ

---

(١) شرح النّهج ١٩ / ١١ .
(٢) النّهج ١٩ / ٢١٩ ، الحكمة ٣١٨
(٣) في العلوي : «إنّ هذه . . . » النّهج ١٨ / ٢٤٦
(٤) شرح النّهج ١٩ / ٢١٩ .

الأبدان ، فابتغوا لها طرئف الحكمة »[1] ، والآخر : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « روّحوا أنفسكم ببديع الحكمة ؛ فإنها تكلّ كما تكل الأبدان »[2] .

الملّ : النَّصَب والضّجر المسبب عمّا لا يلائم الإنسان من عمل أو غيره والكَلّ : الإعياء والثقل ومنه الحديث « ملعون من ألقى كلّه على النّاس »[3] ، أي ثقله ، ولعلّ الملّ في الجسم وغيره ، والكلّ في الأجسام فقط فلا يقال (كلّ روحي - ويقال : ملّ) .

وكيف كان فقد قال ابن أبي الحديد : المراد أن لا يجعل الإنسان وقته كلّه مصروفاً في الأنظار العقلية في البراهين الكلاميّة والحكميّة بل ينقلها من ذلك أحياناً إلى النّظر في الحكمة الخلقيّة فإنّها حكمة لا تحتاج إلى إتعاب النّفس والخاطر فأمّا القول في الدّعابة فقد ذكرناه أيضاً فيما تقدّم وأوضحنا أنّ كثيراً من أعيان الحكماء والعلماء كانوا ذوي دعابة مقتصدة لا مسرفة فإن الإسراف فيها يخرج صاحبه إلى الخلاعة ولقد أحسن من قال :

أفد طبعك المكدود بالجدّ راحة ... يجمّ وعلّله بشيءٍ من المزح
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكن ... بمقدار ما يعطي الطّعام من الملح[4]

وأجمل ما يتحف القلوب الملولة والنّفوس الكليلة ، الحبّ والأمل والنّشاط وفي نبويّ « كلّ لهو المؤمن باطل إلاّ في ثلاث : في تأديبه الفرس ، ورميه عن قوسه ، وملاعبته امرأته ، فإنّهنّ حقّ »[5] .

---

(١) النّهج ١٨ / ٢٤٦ ، الحكمة ٨٩ .
(٢) أصول الكافي ١ / ٤٨ ، باب النّوادر الحديث ١ .
(٣) مجمع البحرين في « كلل » ، الوسائل ١٣ / ١٨
(٤) شرح النّهج ١٩ / ١٦ ، الحكمة ١٩٣ .
(٥) الوسائل ٨ / ٣٦١ .

وممّا يذهب بالملال لقاء الأخلّاء لأنّ الخليل يسكن إليه في كثير من الحالات الطّارئة ، إلّا أنّ استرسال السّكون ليس بمطلوب وقد جاء « عثرة الاسترسال لا تستقال »[١] .

نعم الاسترسال مع الأئمة الطاهرين عليهم السلام والمكالمة معهم بل الحبّ المفرط لهم مطلوب؛ لأنّ من أحبّ الله أحبّهم ولا ينفكّ حبّه تعالى عن اتّباعهم الّذي هو المتابعة للرّسول صلى الله عليه وآله قال تعالىّ : ﴿ **قل إن كنتم تحبّون الله فاتّبعوني يحببكم الله** ﴾[٢] .

والمتحصّل : أنّ عامل الحبّ ذاهب بكلّ كلّ وملّ خاصّة التّبادل مع من تسكن النّفس إليه ويطمئنّ القلب به وخاصّة مع الله عزّ وجلّ تسكن النّفوس وبذكره تطمئنّ القلوب وقد دعا العباد بلطف فقال تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[٣] بفناء رحمته تحطّ الرّحال ، وعليه تعكف الآمال وبه لا بسواه يتحقّق الرّجاء ؛ لأنّه منه وإليه .

---

(١) غرر الحكم ٢٢١ .
(٢) سورة آل عمران : الآية / ٣١ .
(٣) سورة الرعد : الآية / ٢٨ .

٥٢ ـ إنّ هٰذا البنيان بانياً

روى الصّدوق بإسناده إلى محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرّضا ـ عليه السلام ـ .

«قال: دخل رجلٌ من الزّنادقة على الرّضا عليه السلام وعنده جماعة فقال له أبو الحسن عليه السلام : أرأيت إن كان القول قولكم وليس هو كما تقولون ألسنا وإيّاكم شرع سواء ؟ ولا يضرّنا ما صلّينا وصمنا وزكّينا . . . وإن يكن القول قولنا وهو قولنا وكما نقول ألستم قد هلكتم ونجونا ؟ قال رحمك الله فأوجدني كيف هو ؟ وأين هو ؟ قال : ويلك إنّ الّذي ذهبت إليه غلط وهو أيّن الأين وكان ولا أين وكيّف الكيف ، وكان ولا كيف فلا يعرف بكيفوفيّة ، ولا بأينونيّة ولا يدرك بحاسة ولا يقاس بشيءٍ . قال الرّجل : فإذاً أنّه لا شيء إذا لم يدرك بحاسّة من الحواسّ ، فقال أبو الحسن عليه السلام : ويلك لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيّته ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنّا أنّه ربّنا وأنّه شيءٌ بخلاف الأشياء ، قال الرّجل : فأخبرني متى كان ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان ؟ قال الرّجل : فما الدّليل عليه ؟ قال أبو الحسن : إنّي لمّا نظرت إلى جسدي فلم يمكنيّ زيادة ولا نقصان في العرض والطّول ودفع المكاره عنه وجرّ المنفعة إليه علمت أنّ لهذا البنيان بانياً فأقررت به مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته وانشاء السّحاب وتصريف الرّياح ومجرى الشّمس والقمر والنّجوم

وغير ذلك . . . »[1] .

أمّا تمثيل الرّضا عليه السلام للجسد بأنّ له خالقاً قادراً عالماً بما بناه الباني؛ لإفتقار كلّ بناء إلى بانٍ فبدليل العقل والوجدان فإذا ضمّ الأمران أي الأوّل وهو صغرى القياس والثاني وهو كبراه نتج قوله عليه السلام : « أنّ لهذا البنيان بانياً فأقررت به » وهو الله جلّ جلاله لأنّ غيره من الخلق المجسّد أيضاً هو بناء يفتقر إلى بانٍ كما افتقر جسدي وما حواه إليه، فلا يصلح أن يكون ذلك بانياً له ولا لي بل لا بدّ من كون الباني غنياً بذاته لا يفتقر إلى بان وليس هو إلا الله الغنيّ القادر بالغنى والقدرة المطلقة .

وهذا من أبين البراهين الّتي نراها بالعيان وبالعقل والوجدان لأنّ نفس الإنسان أقرب شيء إليه من بين الأشياء على أنّ روحنا روح الله عزّ وجلّ الّذي نفخه فينا كما قال تعالى : ﴿ **نفخت فيه من روحي** ﴾[2] . ممزوج مع نور الإيمان ولا نور إلّا نور واحد وهو نور روح الله جلّ جلاله المنفوخ في الإنسان، ومن العجيب أنّه به عاش ما عاش وهو جاهل لا يعلم ما هو .

---

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ١٠٨ .

(٢) سورة الحجر : الآية / ٢٩ ، وسورة صّ : الآية / ٧٢ .

ففي صادقي : « . . . فليست بالتي نقصت من الله شيئاً هي من قدرته » ، تفسير الصّافي ١ / ٩٠٢ .

وآخر « أنه سئل عن الرّوح ؟ فقال : هي من قدرته من الملكوت » . المصدر ص ٩٠٣ . وآخر : « مثل المؤمن وبدنه كجوهرة في صندوق إذا أخرجت الجوهرة طرح الصندوق ولم يعبأ به، وقال : إن الأرواح لا تمازج البدن ولا تداخله إنّما هي كالكلل للبدن محيطة به » وآخر : « قيل : أفيتلاشى الرّوح بعد خروجه عن قالبه أم هو باقٍ ؟ قال : بل هو باقٍ إلى يوم ينفخ في الصّور » . تفسير الصّافي ١ / ٩٠٣ .

٥٣ ـ إنّ المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل

روى الشّيخ الصّدوق حديث الرّضا عليه السلام الذي فيه استدلاله بآي من القرآن الكريم على فضل العترة الطّاهرة على سائر النّاس وهي اثنتا عشرة آية قال عليه السلام في الآية السّادسة :

« . . . فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية على نبيّه صلى الله عليه وآله : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة فى القربى ﴾[1]، فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا أيها النّاس إنّ الله عزّ وجلّ قد فرض لي عليكم فرضاً فهل أنتم مؤدّوه ؟ فلم يجبه أحد فقال : يا أيّها النّاس إنّه ليس بذهب ولا فضّة ولا مأكول ولا مشروب فقالوا : هات إذاً فتلا عليهم هذه الآية فقالوا : أمّا هذه فنعم ، فما وفى بها أكثرهم وما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً إلّا أوحى إليه أن لا يسأل قومه أجراً ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يوفيه أجر الأنبياء ومحمّد ـ صلى الله عليه وآله ـ فرض الله عزّ وجلّ مودّة طاعته ومودّة قرابته على أمّته وأمره أن يجعل أجره فيهم ليؤدّوه في قرابته بمعرفة فضلهم الّذي أوجب الله عزّ وجلّ لهم ؛ فإنّ المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل فلمّا أوجب الله تعالى ثقل ذلك لثقل وجوب

---

(١) سورة الشّورى : الآية / ٢٣ .

الطّاعة فتمسّك بها قوم قد أخذ الله ميثاقهم على الوفاء ، وعاند أهل الشّقاق والنفاق وألحدوا في ذلك فصرفوه عن حدّه الّذي حدّه الله عزّ وجلّ فقالوا : القرابة هم العرب كلّهم وأهل دعوته فعلى أي الحالتين كان فقد علمنا أنّ المودّة هي القرابة فأقربهم من النّبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ أولاهم بالمودّة وكلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها . . . » [1] .

البيان الرّضوي حول أيه المودّة متّسع الجوانب مشبع بالأدّلة العقلية والنّقلية، ولأجله ذكرنا بعضه عند كلمة « أيّ شرف يتقدّم هذا أو يدانيه ؟ »[2] . والآخر عند حكمة : « كلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها »[3] .

علل المودّة أمور أهمّها الإدراك والمعرفة بفضل المودود ومقامه الشّامخ المعنوي وفضائله وخُلُقه المرضيّة وحبّه ورأفته وكلّما كانت المعرفة بذلك أتمّ كانت المودّة أكثر حتّى يصل عرفانه إلى حدّ يتفانى العارف في المعروف وحتّى لا يشاء إلاّ ما شاء المودود وليس له همّ سواه كما كان أهل البيت عليهم السلام في طاعة الله عزّ وجلّ كذلك ﴿ **لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾[4] ، ومن ثمّ كان

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٢) حرف الهمزة مع الياء .

(٣) حرف الكاف مع اللام .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٢٧ . وقبله ﴿ **بل عباد مكرمون** ﴾ .

قال الفيض : لا يقولون شيئاً حتّى يقوله كما هو شيمة العبيد المؤدّبين.. تفسير الصافي ٢ / ٨٩ . ولابن العربي على ما في هامش إحقاق الحق ٢ / ٢٢٣ : =

النّبيّ صلى الله عليه وآله أحبّ الأسماء إليه (عبد الله) .

= رأيت ولائي آل طه وسيلة
على رغم أهل البُعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى
بتبليغه إلاّ المودّة في القربى

٥٤ ـ إنّ النّعم كالإبل المعقولة في عَطَنها على القوم

روى الصّدوق طاب ثراه بإسناده عن محمد بن عرفة قال : قال أبو الحسن الرّضا عليه السلام :

« يا ابن عرفة إنّ النّعم كالإبل المعقولة في عَطَنها على القوم ما أحسنوا جوارها فإذا أساؤوا معاملتها نفرت عنهم »(١)

قال أبن منظور : وعقلت الإبل من العقل ، شدّد للكثرة ، وقال بُقَيْلة الأكبر وكنيته أبو المنهال :

يعقّلُهُنّ جعدٌ شيظمّي ... وبئس معقّل الذّود الظّؤارِ

وفي الحديث : « القرآن كالإبل المعقّلة » أي المشدودة بالعقال ، والتّشديد فيه للكثرة ، وفي حديث عمر : كتب إليه أبيات في صحيفة ، منها :

فما قُلُصٌ وُجِدْنَ معقّلاتٍ ... قفا سَلْع بمختلف النّجارِ

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١١

العطن بالتحريك مبرك الإبل ، ومربض الغنم حول الماء .

يعني نساء معقّلات لأزواجهنّ كما تعقّل النّوق عند الضّراب[1] .

والعطن للإبل : المناخ والمبرك ، ولا يكون إلّا حول الماء فأمّا مباركها في البّرية أو عند الحي فهي : المأوى والجمع أعطان[2] .

في النّبويّ : « أحسنوا مجاورة النّعم لا تملّوها ولا تنفروها ؛ فإنّها قلّ ما نفرت من قومٍ فعادت إليهم »[3] .

وعلوي « أحسنوا صحبة النّعم قبل فراقها ؛ فإنّها تزول وتشهد على صاحبها بما عمل فيها »[4] .

وصادقيّ : « أحسنوا جوار النّعم ، قيل : وما جوار النّعم ؟ قال : الشّكر لمن أنعم بها ، وأداء حقوقها »[5] .

وآخر : « أحسنوا جوار نعم الله واحذروا أن تنتقل عنكم إلى غيركم أما إنّها لم تنتقل عن أحدٍ قط وكادت أن ترجع إليه ، وكان عليّ عليه السلام قال [يقول] : « قلّ ما أدبر شيءٌ فأقبل »[6] .

أداء حق النّعم شكرها بأن لا تصرف إلّا في طاعة الله عزّ وجلّ وعدم صرفها في المعاصي قال علي عليه السلام : « شكر كلّ نعمة الورع عن محارم الله »[7] .

---

(١) اللّسان ١١ / ٤٥٩ ، في (عقل) ، والنهاية ٣ / ٢٨١ ، في (عقل) .
(٢) مجمع البحرين في (عطن) .
(٣) البحار ٧٧ / ١٧٣ .
(٤) البحار ٧١ / ٥١ .
(٥) البحار ٧١ / ٥٤ .
(٦) المصدر .
(٧) البحار ٧١ / ٥٦ .

والتمثيل بالبعير المعقول ناظر إلى سهولة التناول والتّصرف في النّعمة وعدم التّعصيّ فكما أن الإبل المعقولة يتناولها المتناول بسهولة ويسر ، ما لم تقطع عقالها ، كذلك النعمة ما لم تفقد بالكفر والعصيان كما هو واضح .

٥٥ ـ إنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب

روى الشّيخ الصّدوق المناظرة المطوّلة للرّضا عليه السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات وما كلّم به عمران الصّابي في التّوحيد عند المأمون قال عمران :

« أسألك عن الحكيم في أيّ شيءٍ هو ، وهل يحيط به شيءٌ ، وهل يتحوّل من شيءٍ إلى شيءٍ ، أو به حاجة إلى شيءٍ ؟ قال الرّضا عليه السلام : أخبرك يا عمران فاعقل ما سألت عنه ؛ فإنّه من أغمض ما يرد على المخلوقين في مسائلهم ، وليس يفهمه المتفاوت عقله العازب علمه[١] ولا يعجز عن فهمه أولوا العقل المنصفون :

أمّا أوّل ذلك فلو كان خلق ما خلق لحاجة منه لجاز لقائل أن يقول: يتحوّل إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك، ولكنّه عزّ وجلّ لم يخلق شيئاً لحاجته[٢] ولم يزل ثابتاً لا في شيءٍ ولا على شيءٍ إلاّ أنّ الخلق يمسك بعضه بعضاً ويدخل بعضه في بعض ويخرج منه ، والله عزّ وجلّ وتقدّس بقدرته يُمسك ذلك كلّه ، وليس يدخل في شيءٍ ولا يخرج منه ولا يؤُدُهُ حفظه ولا يعجز عن إمساكه ، ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك إلاّ الله عزّ وجلّ ومن أطلعه عليه من رسله ، وأهل سرّه والمستحفظين لأمره وخزّانه القائمين بشريعته ؛

(١) في لفظ : « العازب حلمه » ، وآخر : « العازب حكمه » . هامش التوحيد ٤٣٩ .

(٢) في لفظ : « لحاجة » . المصدر .

وإنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب . . . »[1] .

للمناظرة المذكورة بيان لا يتحمّله المقام

قوله عليه السلام : « إنّما أمره كلمح البصر أو هو أقرب » مقتبس من قوله عزّ وجلّ : **﴿ وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح بالبصر ﴾**[2] . و**﴿ ما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب ﴾**[3] والأول أقرب إلى الاقتباس ، والمثل مضروب لبيان غاية السّرعة واليُسر قال الفيض : يعني يقول : كن فيكون « كلمح البصر » في اليسر والسّرعة[4] وقال في الثّاني : في سرعته وسهولته كرجع الطّرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها « أو هو أقرب » ؛ لأنّه يقع دفعة[5] .

ونظير الآيتين في تمثيل السّرعة والسّهولة قوله جلّ جلاله الحاكي عن آصف بن برخيا : **﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك ﴾**[6] ، في أقلّ من طرفة عينٍ جاء بعرش بلقيس كما في الخبر الهادوي[7] .

ومنه المثل السّائر : (أسرع من طرف العين)[8] ، و (أسرع من لمح البصر)[9] .

---

(١) التوحيد ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .
(٢) سورة القمر : الآية / ٥٠ .
(٣) سورة النّحل : الآية / ٧٧ .
(٤) تفسير الصافي ٢ / ٦٣٧ .
(٥) تفسير الصافي ١ / ٩٣٣ .
(٦) سورة النمل : الآية / ٤٠ .
(٧) تفسير الصافي ٢ / ٢٣٩ .
(٨) المستقصى ١ / ١٦٤ .
(٩) المستقصى ١ / ١٦٥ .

٥٦ ـ إنّما تحدّ الأدوات أنفسها

من خطبة الإمام الرّضا عليه السلام رواها الصّدوق في التّوحيد تكلمّنا عنها عند نبذةٍ منها : « ابتداؤه إيّاهم دليل على أن لا ابتداء له » ، إلى فقرة: « شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرّزها »[1] ، وإليك من موضع القطع :

« دالة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها ، حجب بعضها عن بعض، ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها ، له معنى الرّبوبيّة إذ لا مربوب ، وحقيقة الإلّهيّة إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السّمع ولا مسموع ليس منذ خلق استحقّ معنى الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئيّة ، كيف ولا تغيّبه مذُ ولا تدنيه قدُ ، ولا تحجبه لعلّ ، ولا توقّته متى ، ولا تشمله حينٌ ، ولا تقارنه معٌ ، إنّما تحدّ الأدوات أنفسها ، وتشير الآلة إلى نظائرها . . . »[2] .

قال المعلّق على « دالّة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها » : إثبات التّفاوت هنا لا ينافي قوله تعالى : **﴿ ما ترى في خلق الرّحمن من تفاوت ﴾**[3] ؛ لأنّ ما في الآية بمعنى عدم التّناسب[4]

(١) حرف الشّين مع الألف .

(٢) التوحيد ٣٨ ـ ٣٩ .

(٣) سورة الملك : الآية / ٣ .

(٤) هامش التوحيد ٣٨ .

يريد إتقان الصّنع ، وجمال النّظم ، وحاصل معاني الكلمات المذكورة في هذه الخطبة أنّه لا تجري عليه صفات المخلوقين وإلاّ لما كان خالقاً ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الحمد لله العليّ عن شَبَه المخلوقين »[1] ، وحكاية عن الملائكة : « ولا يجرون عليه صفات المصنوعين »[2] ، وفي الكلام الرّضوي المبحوث : « فكلّ ما في الخلق لا يوجد في خالقه » .

ومن الواضح أنّ الوقت والحجاب والغيبة والتّرقّب والتّوقيت والاشتمال والتّفاوت والتّريب الّتي دلّت عليها كلمة الوقت ، والحجب ، ومذ ، وقد ، ولعلّ ، ومتى ، وحين ، ومع . كلّها ثابتة في المخلوق الفاقد الفقير ، وتعالى الله عن الفقد والنّقص والفقر ، وكيف وهو الغنيّ المتعال المبّرء عن ذلك كلّه وله الكمال المطلق لا يشذّ منه شيء .

قال المعتزلي عند الكلام العلويّ الّذي عين الرّضوي : ثمّ قال ـ عليه السلام ـ : « وإنّما تحدّ الأدوات أنفسها وتشير الآلات[3] إلى نظائرها »[4] ، هذا يؤكّد التّفسير الثّاني[5] ؛ وذلك لأنّ الأدوات كالجوارح إنّما تحدّ وتقدّر ما كان مثلها من ذوات المقادير ، وكذلك إنّما تشير الآلات - وهي الحواسّ - الى ما كان نظيراً لها في الجسميّة ولوازمها ، والباري ليس بذي مقدار ولا جسم ولا حالّ في جسم[6] . . .

(١) النّهج ١١ / ٦٢ ، الخطبة ٢٠٦ .
(٢) النّهج ١ / ٩١ ، الخطبة ١ .
(٣) المذكور في الرّضويّ : « تشير الآلة » .
(٤) النّهج ١٣ / ٧٣ ، الخطبة ٢٣٢ .
(٥) أي قوله عليه السلام : « وتشير الآلات إلى نظائرها » يؤكّد : «وإنما تحدّ للأدوات أنفسها » ويراد من الثّاني الآخر ويحتمل غير ذلك .
(٦) شرح النّهج ١٣ / ٧٥ ، وانظر هامش التوحيد ٣٩ .

٥٧ ـ إنّما الدّنيا كظلّ زائل

قال الصّدوق : حدّثنا الحاكم أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي قال حدّثنا محمّد بن يحيى الصّولي قال : حدّثنا محمّد بن يحيى بن أبي عَبّاد قال حدّثني عمّي قال سمعت الرّضا ـ عليه السلام ـ يوماً ينشد وقليلاً ما كان ينشد شعراً :

كلّنا نأمل مدّاً في الأجل ... والمنايا هنّ آفات الأمل
لا تغرنّك أباطيل المُنى ... والزم الصّمت ودع عنك العلل
إنّما الدّنيا كظلّ زائل ... حلّ فيه راكبٌ ثمّ رحل[١]

الأبيات لأبي العتاهية المتوفّي ٢١١ هـ ، وقبره الى نهر عيسى في بغداد وأوصى أن يكتب على قبره :

إنّ عيشاً يكون آخره المو ... ت لعيش معجّل التنغيص

وذكروا له أرجوزة حكميّة سمّاها ذات الأمثال في بضعة آلاف بيت وأشعار كثيرة في شتّى المعاني[٢] .

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٥ .
(٢) الكنى والألقاب للمحدّث القمّي ١ / ١٢٢ ـ ١٢٣ .

وقد ذكرنا عند التّمثيل العلويّ : « أهل الدّنيا كركب يساربهم وهم نيام » أبياتاً منها :

تـزوّد من الدّنيا فإنّك راحل — وبادر فإنّ الموت لا شكّ نازل
سرورك في الدّنيا غرور وحسرة — وعيشك في الدنيا محال وباطل
ألا أنّما الدّنيا كمنزل راكب — أناخ عشيّاً وهوفي الصّبح راحل[1]

وفي باقريّ : « ... فأنزل الدّنيا كمنزل نزلته ثمّ ارتحلت عنه ، أو كمالٍ وجدته في منامك واستيقظت وليس معك منه شيء ، إنّي إنّما ضربت لك مثلاً ؛ لأنّها عند أهل اللّبّ والعلم بالله كفيء الظّلال »[2] .

وعلويّ : « احذروا هذه الدّنيا الخدّاعة الغدّارة الّتي قد تزيّنت بحليّها ، وفتنت بغرورها وغرّت بآمالها وتشوّقت لخطّابها فأصبحت كالعروس المجلوّة ، والعيون إليها ناظرة ، والنّفوس بها مشغوفة ، والقلوب إليها تائقة ، وهي لأزواجها كلّهم قاتلة ، فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بسوء أثرها على الأوّل مزدجر ، ولا اللّبيب فيها بالتّجارب منتفع »[3] .

والرّضا عليه السلام إنّما تمثّل بالأبيات للاتّعاظ .

---

(١) الأمثال المستخرجة من نهج البلاغة ٦٩ ـ ٧٠ ، رقم المثل ٢٠ .
(٢) البحار ٧٣ / ٣٦ .
(٣) البحار ٧٣ / ١٠٨ ـ ١٠٩ .
وكم لأمير المؤمنين عليه السلام من عظات موقظات لو صادفت قلوباً طاهرة ، ونفوساً نظيفة ، وعقولاً حصيفة تعرف من هو القائل؟ وما الّذي يقول؟لا يقول إلا ما قاله الله تعالى

٥٨ ـ الأنيس الرّفيق والوالد الشّفيق والأخ الشّقيق

في رواية الكليني عن الإمام الرّضا عليه السلام الواردة في بيان خصائص الإمامة والإمام قال فيها :

« الإمام الأنيس الرّفيق ، والوالد الشّفيق ، والأخ الشّقيق . . . »[١] .

إنّ ظاهرة الأنس والرّفق والشّفقة والإخاء في الإمام المفترض الطّاعة لا تقاس إلى ذويها من النّاس ؛ لأنّها لم تبن على صرح الغرائز العاطفيّة البشريّة الزّائلة بل حبّه للعباد حبّ الله عزّ وجلّ ورحمته لهم رحمة الله ولا ترمي من ورائها الأغراض الماديّة كما هي في غيره ؛ فإنّ الأنس والرّفق بين الرّفقة المتئآنسين ناشٍ عن أمر زائل يزول بزواله وكذا الوالد في حبّ ولده المطبوع عليه، والأخ للأخ عن الطّبع الّذي جعله الله في البشر لأمرٍ أهمّ وهو الاستدلال به على محبّة الله الذاتية غير المعلولة عن العلل الزّائلة .

ولعلّ توصيف الإمام بهذه الخصال من دون ذكر أداة التّشبيه

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠

إشارة الى أنّه توصيف حقيقي باق ببقاء الحقيقة الّذاتية المطلقة وأين هذا من حبّ الوالدين للولد والأخ للأخ والرّفيق للرّفيق الّذي يضمحلّ لا محالة قال تعالى : **﴿ يوم يفرّ المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصحبته وبنيه * لكلّ امرىء منهم يومئذٍ شأن يُغْنيه ﴾**[1] .

والإمام المعصوم عليه السلام هو الشّفيق في الدّنيا والآخرة لم تَزُلْ شفقته بزوال الدّنيا كما تزول من غيره وفي الدّنيا يضحّون أنفسهم في سبيل الله ليستنقذوا العباد من حيرة الضّلالة وفي الآخرة يشفعون لهم **﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾**[2]، وفي الدنيا يحزنون لما يصيب المؤمنين وفي مقدمتهم النبيّ الامين قال تعالى : **﴿لقدجاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾**[3] ، بل للعالم كله قال عزّ وجلّ : **﴿ وما أرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين ﴾**[4] ، وأهل بيته هم شجرة النّبوّة وموضع الرّسالة ومعدن الرّحمة ، ونقول ذلك في المؤمنين إذا أخلصوا حبّهم لله عزّ وجلّ ؛ فإنّ الحبّ الخالص ورقة من تلك الشّجرة الطّيّبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها فما ظنّك بأئمّة المؤمنين والشّفاعة من ورائنا إن نحن سرنا على منهجهم ولم نمل عنهم قيد شعرةٍ إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة عبس : الاية / ٣٤ ـ ٣٧

(٢) سورة الأنبياء : الآية / ٢٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية / ١٢٨ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية / ١٠٧

٥٩ ـ أُوجدكم في ذلك قرآنا

روى الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى رواية استدلال الإمام الرضا عليه السلام باثنتي عشرة آية من كتاب الله العزيز على أفضلية العترة الطاهرة جواباً لعلماء أهل العراق وخراسان الذين جمعهم المأمون . تكلّمنا عنها عند كلمات انتزعناها من نفس الرواية فراجع[1] . قال عليه السلام :

«وأمّا الرّابعة : فإخراجه ـ صلى الله عليه وآله ـ النّاس من مسجده ما خلا العترة حتى تكلم الناس في ذلك ، وتكلّم العبّاس فقال : يا رسول الله تركت عليّاً وأخرجتنا ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : ما أنا تركته وأخرجتكم ، ولكن الله عز وجل تركه وأخرجكم ، وفي هذا تبيان قوله ـ صلى الله عليه وآله ـ لعلي ـ عليه السلام ـ : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى »[2] . قالت العلماء : وأين هذا من القرآن ؟ قال أبو الحسن : أُوجدكم في ذلك قرآنا وأقرؤه عليكم ، قالوا : هات ، قال : قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وأوحينا إلى**

---

(١) حرف الهمزة مع النّون ، والهمزة مع الياء ، والجيم مع العين ، والخاء مع الصّاد ، والذّال مع الكاف ، والسّين مع اللام ، والفاء مع الضاد ، والكاف مع اللاّم .

(٢) إحقاق الحق ٧ / ٤٢٨ ـ ٤٣٢

موسى وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيـوتاً واجعلوا بيـوتكم قبلة ﴾[1] ، ففي هذه الآية منـزلة هـارون من موسى ، وفيهـا أيضاً منـزلة عليّ ـ عليـه السـلام ـ من رسول الله ـ صلّى الله عليـه وآله ـ ، ومـع هذا دليـل واضح في قـول رسـول الله ـ صلّى الله عليـه وآلـه ـ حين قـال : ألا إنّ هـذا المسجد لا يحلّ لجنب إلاّ لمحمّـد وآله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ، قـالت العلمـاء : يا أبـا الحسن هذا الشّـرح وهـذا البيـان لا يـوجـد إلاّ عنـدكم معاشر أهـل بيت رسول الله ـ صلّى الله عليـه وآله ـ فقال : ومن ينكر لنـا ذلـك ورسـول الله يقـول : « أنـا مـدينـة العلم وعلي بـابهـا ، فمن أراد المـدينة فليـأتهـا من بـابهـا »[2] ، ففيمـا أوضحنـا وشـرحنـا من الفضـل والشّـرف والتّقدمـة والاصطفـاء والطّهـارة ما لا ينكـره إلاّ معانـدٌ ولله عـزّ وجلّ الحمد على ذلك ، فهذه الرّابعة »[3] .

في كاظميّ : « لما خـافت بنو إسـرائيل جبـابرتها أوحى الله إلى موسى وهارون **﴿ أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة ﴾** قال : أمروا أن يصلّوا في بيوتهم » .

ونبويّ : « خطب النّاس فقال : أيّها النّاس إنّ الله عـزّ وجلّ أمـر مـوسى وهارون أن يبنيـا لقومهمـا بمصر بيـوتاً وأمـرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب ولا يقـرب فيه النّسـاء إلاّ هارون وذرّيّتـه وأنّ عليّاً منّي بمنـزلة هـارون من موسى فـلا يحلّ لأحـدٍ أن يقرب النّسـاء في مسجدي ولا يبيت فيه جنباً إلاّ عليّ وذرّيتـه فمن ساءه ذلـك فها هنـا وضرب بيـده نحو الشام »[4] .

---

(١) سورة يونس : الآية / ٨٧ .

(٢) إحقاق الحقّ ٥ / ٤٦٩ ـ ٥٠١ .

(٣) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٢ ـ ١٨٣ . ويخـالف بعض كلماتـه تحف العقول ٤٣٠ .

(٤) تفسيـر الصـافي ١ / ٧٦٢ ، وفي هامشه : « فمن ساءه فهاهنا مقـره » أي ت أو الشام مثل قوله : ﴿ فمن ساءه ففي السقر أو في جهنم ﴾ .

٦٠ ـ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن

قال الشيخ الصدوق رضي الله عنه : حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال حدّثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن حمزة الأشعري قال حدّثني ياسر الخادم قال : سمعت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام يقول :

« إنّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن : يوم يولد [ويوم][1] يخرج من بطن أمه فيرى الدّنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ، ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدّنيا ، وقد سلّم الله عزّ وجلّ على يحيى ـ عليه السلام ـ في هذه الثلاثة المواطن وآمن روعته فقال :

﴿ وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً ﴾[2] ، وقد سلّم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال : ﴿ وسلام عليّ يوم ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أبعث حيّاً ﴾[3] .

---

(١) كذا .

(٢) سورة مريم : الآية / ١٥ .

(٣) سورة مريم : الآية ٣٣ والآية : ﴿ والسلام عليّ يوم ولدت . . . ﴾ ، عيون أخبار الرضا ١ / ٢٠١ ، وتفسير الصافي ٢ / ٤٠ ، وإحقاق الحق ١٩ / ٥٨١ .

إنّ الأيام الثّلاثة من أهمّ أيّام الإنسان لو لم تسلم له كان من الهالكين، خاصّة اليوم الأوّل من حياته الّذي هو كما قال علي بن الحسين عليهما السلام :

« أكبر ما يكون ابن آدم اليوم الذي يلد [يولد] من أمّه » قالت الحكماء : ما سبقه إلى هذا أحدٌ[1] ، وكلما كبر نقص من عمره وصغر على خلاف ما يعرفه النّاس وما من يوم يمضي إلّا وقد اقترب من الآخرة وابتعد من الدنيا لا يدري إلى الجنّة أو إلى النّار اقترابه ، وإذا ناله نقصان في ماله اغتمّ ولا يغمّه نقصان عمره ،والدّرهم يخلف عنه والعمر لا يردّه شيءٌ ،فهو بين مصائب ثلاث لا يعتبر بواحدة منهن :

الأولى : نقصان عمره .

الثانية : استيفاء رزقه إن كان حلالاً حوسب عليه أوحراماً عوقب عليه .

الثالثة : دنوّه كلّ يوم إلى الآخرة وبُعده عن الدّنيا لا يدري إلى الجنّة دنّوه أم إلى النّار[2] .

وأما يوم الموت فهو ألزم إلى أبن آدم من ظلّه وقد قال السّجّاد عليه السلام : « ولست أذكر منها ـ أي الدّنيا ـ إلّا قتيلاً أفنته أو مغيّب ضريح تجافت عنه فاعتبر أيّها السّامع بهلكات الأمم ، وزوال النّعم ، وفظاعة ما تسمع وترى من سوء آثارها في الدّيار الخالية ، والرّسوم الفانية والرّبوع الصّموت .

وكم عاقل أفنت فلم تبك شجوه ولا بد أن تفنى سريعا لحوقها

---

(١) البحار ٧٨ / ١٦٠ .

(٢) المصدر .

فتلك مغانيهم وهذي قبورهم | تـوارثها أعصارها وحريقها

فـرّقتهم أيدي المنـون فألحقتهم بتجـافيف التراب، فأضحـوا في فجوات قبورهم يتقلّبون، وفي بطون الهلكات عظاماً ورفاتاً وصلصالا في الأرض هـامدون ، أتملمـل تململ السّليم ، وأبكي بكـاء الحـزين أنادي ولات حين مناص .

سوى أنّهم كانوا فبانوا وإنّني | على جدد قصد سريعا لحوقها
فلو رَجَعَتْ تلك اللّيـالي كعهدها | رأت أهلها في صورة لا تروقها
حيـارَى وليـل القـوم داج نجومه | طوامس لا تجري بطيء خفوقها[1]

وأما يوم البعث والحشر الأكبر فـ ﴿ يـا أيها النـاس اتّقوا ربّكمُ إنّ زلـزلة السـاعة شيء عـظيم * يوم تـرونها تـذهل كـل مرضعـة عما ارضعت وتضع كل ذات حمـل حملها وتـرى الناس سكـرى وما هم بسكـرى ولكنّ عذاب الله شديد ﴾[2] .

قـال عمران بن الحصين وأبـو سعيد الخـدري : « نزلت الآيتـان من أوّل السّـورة ليـلاً في غـزاة بني المصـطلق وهم حيّ من خـزاعـة والنّـاس يسيرون فنـادى رسـول الله صلّى الله عليـه وآله فحثوا المـطيّ حتّى كـانوا حـول رسول الله فقـرأها عليهم فلم يـر أكثر بـاكياً من تلك اللّيلة فلّما أصبحوا لم يحـطّوا السّرُج عن الـدّوابّ ولم يضربـوا الخيام والنّاس بين باكٍ وجـالس حزين متفكّـر فقال لهم رسـول الله صلّى الله

(١) البحار ٧٨ / ١٥٥ ـ ١٥٨ ، مقتطفات ، ولأمير المؤمنين (ع) توصيف للموت في كلام له ما أعظمه ، يجدر النظر إليه طوال الحياة قال فيه : « وإن للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة ، أو تعتدل على عقول أهل الدّنيا » . النهج ١١ / ١٥٢ ، الخطبة ٢١٦ . ولشارحها المعتزلي شرح حريّ بالنظر . ص ١٥٢ ـ ١٥٤ .

(٢) سورة الحج : الآية / ١ ـ ٢ .

عليه وآله : أتدرون أيّ يوم ذاك ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال : ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النّار من ولدك، فيقول آدم : من كم كم ؟ فيقول عزّ وجلّ: من كلّ ألف تسع مائة وتسعة وتسعين إلى النّار وواحد إلى الجنة ، فكبر ذلك على المسلمين وبكوا فقالوا: فمن ينجو؟ يا رسول الله ؟ فقال: ابشروا ، فإنّ معكم خليفتين يأجوج ومأجوج ما كانتا في شيءٍ إلّا كثرتاه ما أنتم في النّاس إلّا كشعرة بيضاء في الثور الأسود ، أو كرقم[1] في ذراع البكر ، أو شامة في جنب البعير ، ثم قال : إنّي لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنّة فكبّروا ، ثمّ قال: إنّي لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنّة ، فكبّروا ثم قال : إنّي لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنّة؛ فإنّ أهل الجنّة مائة وعشرون [صنفاً] صفّاً ثمانون منها أمّتي ، ثمّ قال : ويدخل من أمّتي سبعون ألفاً الجنّة بغير حساب . . . فقام عُكّاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: اللّهم اجعله منهم، فقام رجل من الأنصار فقال: ادع الله أن يجعلني منهم ،فقال : سبقك عُكّاشة . قال ابن عبّاس: كان الأنصاري منافقاً فلذلك لم يدع له »[2] .

كلمة « كشعرة بيضاء في الثور الأسود » ذكرناها في كتابنا « الأمثال النّبويّة »[3] ، وكذا « سبقك عُكّاشة »[4] والحديث النّبوي فيه إنذارٌ وبشارةٌ .

---

(١) الرّقمتان هنتان شبه ظفرين في قوائم الدابة . الشامة علامة تخالف البدن الذي هي فيه .

(٢) تفسير الصّافي ٢ / ١١٠ - ١١١ . وهامشه .

(٣) ج ٢ / ٤٢ ، رقم المثل ٣٦٦ ، حرف الكاف مع الشين

(٤) ج ١ / ٤٦٣ ، رقم ٢٩٥ ، حرف السّين مع الباء .

والمهمّ أن العبد إذا مات عن إيمان بالله عزّ وجلّ ورسوله والأئمة المعصومين عليهم السلام شملته البشارة وإلّا فهو من غير الأمة المرحومة والعياذ بالله يموت وهو كافرٌ بكلّ شيءٍ نسأله تعالى حسن الختام .

٦١ ـ أوّل من أتاح اللّه له أن يتزوج بامرأة قُتل بعلها ، كان داود

من أجوبة الرّضا عليه السلام لمسائل ابن الجهم فيما رواه الصّدوق بإسناده إلى أبي الصّلت الهروي قال :

« لمّا جمع المأمون لعليّ بن موسى الرّضا عليهما السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والدّيانات من اليهود والنّصارى والمجوس والصّابئين وسائر أهل المقالات فلم يقم أحد إلاّ وقد ألزمه حجّته كأنّه ألقم حجراً قام إليه عليّ بن محمد بن الجهم فقال له : يا ابن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء ؟ قال : نعم ، قال : فما تعمل في قول الله عزّ وجلّ :

﴿ وعصى آدم ربّه فغوى ﴾[1]، وفي قوله عز وجل : **﴿ وذا النّون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه ﴾**[2] ، وفي قوله عزّ وجلّ في يوسف عليه السلام : **﴿ ولقد همّت به وهمّ بها ﴾**[3] ،

---

(١) سورة طه : الآية / ١٢١ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية / ٨٧ .

(٣) سورة يوسف : الآية / ٢٤

وفي قوله عزّ وجلّ في داود : ﴿ **وظنّ داود أنّما فتنّاه** ﴾[1] ، وقوله تعالى في نبيّه محمد صلّى الله عليه وآله : ﴿ **وتخفي في نفسك ما الله مبديه** ﴾[2] ؟

فقال الرّضا عليه السلام :

ويحك يا عليّ اتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأوّل كتاب الله برأيك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قد قال : ﴿ **ولا يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم** ﴾[3] .

وأمّا قوله عزّ وجلّ في آدم ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى** ﴾ ، فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة في أرضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنّة ، وكانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض وعصمته تجب أن تكون في الأرض ليتمّ مقادير أمر الله فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجّة وخليفة عصم بقوله عزّ وجلّ : ﴿ **إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾[4] .

وأما قوله عزّ وجل : ﴿ **وذا النّون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه** ﴾ ، إنّما ظنّ بمعنى استيقن أنّ الله لن يضيق عليه رزقه ، ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وأمّا إذا ما ابتلاه ربّه فقدر عليه رزقه** ﴾[5] . أي : ضيّق عليه رزقه ولو ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه لكان قد كفر .

---

(١) سورة صٓ : الآية / ٢٤ .
(٢) سورة الأحزاب : الآية / ٣٧ . .
(٣) سورة آل عمران : الآية / ٧
(٤) سورة آل عمران : الآية / ٣٣
(٥) سورة الفجر : الآية / ١٦

وأمّا قوله عزّ وجلّ في يوسف : ﴿ **ولقد همّت به وهمّ بها** ﴾ ، فإنّها همّت بالمعصية وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله ، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قوله عزّ وجلّ : ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء** ﴾[1] ، يعني القتل والزّنا .

وأمّا داود ـ عليه السلام ـ فما يقول من قبلكم فيه ؟

قال علي بن محمد بن الجهم يقولون : إنّ داود ـ عليه السلام ـ كان في محرابه يصلّي فتصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطّيور فقطع داود صلاته ، وقام ليأخذ الطّير فخرج الطّير إلى الدار فخرج [كذا] الطّير إلى السطح ، فصعد في طلبه فسقط الطّير في دار أوريا بن حنّان ، فاطلع داود في أثر الطير ، فإذا بامرأة أوريا تغتسل ، فلمّا نظر إليها هونها وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن قدّم أوريا أمام التابوت فقدّم فظفر أوريا بالمشركين ، فصعب ذلك على داود فكتب إليه ثانيةً أن قدّمه أمام التّابوت ، فقدّم فقتل أوريا فتزوّج داود بامرأته ، قال : فضرب الرّضا عليه السّلام بيده على جبهته وقال :

إنّا لله وإنّا إليه راجعون لقد نسبتم نبيّاً من أنبياء الله إلى التّهاون بصلاته حين خرج في إثر الطّير ثم بالفاحشة ثم بالقتل ، فقال : يا ابن رسول الله فما كان خطيئته ؟

فقال : ويحك إنّ داود إنّما ظنّ أن ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً هو أعلم منه ، فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملكين فتسوّرا في المحراب فقالا : ﴿ **خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا**

---

(١) سورة يوسف : الآية / ٢٤ .

بالحقّ ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط * إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب ﴾[١] . فعجّل داود عليه السلام على المدّعىٰ عليه فقال : ﴿ **لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه** ﴾[٢] ، فلم يسأل المدّعي البيّنة على ذلك ولم يُقبل على المدّعى عليه فيقول له : ما تقول ؟ فكان هذا خطيئته رسم الحكم ، لا ما ذهبتم إليه ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ ولا تتّبع الهوى** ﴾[٣] . إلى آخر الآية .

فقال يا ابن رسول الله فما قصّته مع أوريا ؟

فقال الرّضا عليه السلام : إنّ المرأة في أيام داود ـ عليه السلام ـ كانت إذا مات بعلُها أو قُتل لا تتزوّج بعده أبداً ، وأوّل من أتاح الله له أن يتزوّج بامرأة قُتل بعلها كان داود ـ عليه السلام ـ ، فتزوّج بأمرأة أوريا لمّا قتل وانقضت عدّتها منه ، فذلك الّذي شقّ على النّاس من قبل أوريا »[٤] .

والحديث ذكرنا أكثره لتربط الكلمة به، ولأنّ في محتواه ، الأسئلة وأجوبتها الّتي تنفع ولإتمام النّفع نذكر تمامه :

---

(١) سورة صٓ : الآية / ٢٢ ـ ٢٣

(٢) سورة صٓ : الآية / ٢٤ .

(٣) سورة صٓ : الآية / ٢٦ .

(٤) عيون أخبار الرضا ١ / ١٥٣ ـ ١٥٥ . تفسير الصافي ٢ / ٤٤٣ ـ ٤٤٤ .
وكان موت داود على ما أجاب أمير المؤمنين عليه السلام عمّا سأله السّائل عن أوّل من مات فجأةً فقال عليه السلام : « داود مات على منبره يوم الأربعاء » . عيون أخبار الرّضا ١ / ١٩٢ .

قال الرّضا عليه السلام بعده :

« وأمّـا محمّـد ـ صلّىٰ الله عليـه وآلـه ـ وقـول الله عـزّ وجـلّ : ﴿ وتخفى في نفسـك ما الله مُبـديـه وتخشى النّـاس والله أحقّ أن تخشه ﴾ ، فإنّ الله عزّ وجلّ عـرّف نبيّه ـ صلّىٰ الله عليـه وآله ـ أسمـاء أزواجـه في دار الـدّنيـا وأسمـاء أزواجـه في دار الآخـرة وأنّهنّ أمّهـات المؤمنين ، وإحداهن من سمّى له زينب بنت جحش وهي يـومئـذٍ تحت زيد بن حارثة، فأخفى اسمهـا في نفسه ولم يبده، لكيلا يقـول أحدُ من المنـافقين : إنّه قـال في أمرأة في بيت رجل: إنّهـا إحـدى أزواجـه من أمهـات المؤمنين وخشي قـول المنـافـقيـن فقـال الله عـزّ وجـلّ : ﴿ وتخشى النـاس والله أحقّ تخشـه ﴾[1] . يعني في نفسـك وإنّ الله عزّ وجلّ ما تولّى تـزويج أحـدٍ من خلقه إلاّ تـزويج حـوّاء من آدم عليه السـلام ، وزينب من رسول الله ـ صلّىٰ الله عليـه وآله ـ بقـوله ﴿ فلمّـا قضى زيـد منهـا وطـراً زَوَّجـنٰـكـها ﴾ الآية[2] ، وفـاطمـة من عليّ ـ عليهما السلام ـ قال فبكى عليّ بن محمّد بن الجهم فقـال : يا ابن رسـول الله أنـا تـائب إلى الله عـزّ وجـلّ من أن أنـطق في أنبيـاء الله ـ عليهم السلام ـ بعد يومي هذا إلاّ بما ذكرته »[3] .

العصمة في النبي والوصي واجبة عقلاً ونقلاً .

إذا كان النبي أو الوصي كـأحد النـاس يفقد العصمـة بما المـائز بينه وبين غيره ؟! ومـا وجه الأعتمـاد على إخباراتـه بالمغيّب ؟! ولـولا العصمـة للزم فوت الغـرض من بعثته لعـدم الاعتماد عليـه فلا يصدّق، فيفوت الهدف من ذلك لو ركب ما عنه نهى وترك ما أمر به .

---

(١) سورة الاحزاب : الآية / ٣٧ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية / ٣٧ .

(٣) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٥٥

وبلفظ آخر: إذا تخلّى عن الفضائل وتحلّى بالرّذائل فكيف تنجح دعوته إلى التحلّي بالأولى والتخلّي عن الثّانية ؟! وعلى هذا الأصل أجاب الرّضا عليه السلام عن مسائل ابن الجهم من عصيان آدم ، وظنّ يونس بعجز الرّب تعالى ، وهمّ يوسف بالزّنا ، وفتنة داود ، وما أضمره النّبيّ الأعظم عليه وآله وعليهم الصلاة والسلام، وكانت آيٌ من القرآن الكريم تعطي بظاهرها ذلك، ولا ريب أنّها من المتشابه الّذي يجب الرّجوع فيه إلى المعصوم عليه السلام وإلاّ شمله حديث : « من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب » كما في النبويّ[1] . و « ومن فسّر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر » كما في الصادقي[2] ، على أنّ القرآن له معان وتصاريف.، لا يعرفها إلا العالم كما جاء في الصادقي :

« إنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم »[3] والآخر : « نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة »[4] ، فمن المحتمل أنّ صوغ الآي المذكورة لذلك، فالنقل المرويّ عن أهل البيت عليهم السلام يحتمّ العصمة في الأنبياء عليهم السلام .

أمّا داود وقصّته فكما قال الرّضا عليه السلام وكما عن أمير المؤمنين عليه السلام : « لا أوتي برجل يزعم أنّ داود تزوّج امرأة أوريا إلاّ جلدته حدّين حدّاً للنّبوة ، وحدّاً للإسلام»، وروي أنّه قال :

---

(١) الوسائل ١٨ / ١٤٠ ـ ١٤١ .
(٢) الوسائل ١٨ / ٣٩ .
(٣) الوسائل ١٨ / ١٤١ .
(٤) أصول الكافي ٢ / ٦٣١ . وهو مثل سائر كما في مجمع الأمثال ١ / ٤٩ ، الرّقم ١٨٧ ، حرف الهمزة ، والتّمثّل الصّادقي به هو الرّضويّ المذكور في عيون أخبار الرّضا ١ / ١٦١ .

«من حدّث بحديث داود على ما يرويه القصّاص جلدته مائة وستين »[1]

والصادقي : « إن رضا النّاس لا يملك وألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوا إلى داود أنّه تبع الطّير حتى نظر إلى امرأة أوريا فهوئها وأنّه قدّم زوجها أمام التّابوت حتى قتل ثم تزوّج بها »[2] ؟! .

(١) تفسير الصّافي ٢ / ٤٤٤

(٢) المصدر .

٦٢ ـ الإيمان عقد بالقلب ولفظ باللّسان وعمل بالجوارح

روى الشّيخ الصّدوق طاب ثراه بإسناده إلى أبي الصّلت الهرويّ قال : سألت الرّضا عليه السّلام عن الإيمان؟فقال : « الإيمان عقد بالقلب ، ولفظ باللّسان ، وعمل بالجوارح ، لا يكون الإيمان إلّا هكذا »[1] .

وعنه عليه السلام بإسناده الأعلى عن آبائه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله خمس روايات في تعريف الإيمان أربعة منها : « الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللّسان وعمل بالأركان »[2] وواحدة : « الإيمان قول وعمل »[3] . قال أبو حاتم : لو قرأ هذا الإسناد على مجنون لبرأ[4] وبعدما روى الصّدوق الأخيرة قال: قال أحمد بن محمد بن

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٧٨ ، باب ٢٣ ما جاء عن الرّضا عليه السلام في الإيمان . . .

(٢) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٧٧ ـ ١٧٩ .

(٣) المصدر ص ١٧٩

(٤) المصدر .

حنبل : ما هذا الإسناد ؟ فقال له أبي : هـذا سعوط المجانين إذا سعط به المجنون أفاق[١] .

سـواء أكان تعريف : « الإيمان عقـد بالقلب ولفظ بـاللّسـان وعمـل بالجوارح ، ـ أو ـ معرفة بالقلب وإقرار بـاللّسان وعمـل بالأركـان ، ـ أو ـ قول وعمل »فـإنّه يعـطي شيئاً واحـداً وإنّ الكلّ نـابع عن عين صـافية عن النّبـوّة والولايـة ، وروح الإيمان هـو الحبّ في الله والبغض في الله كمـا نصّت نصوصهم عليهم السّلام به .

ففي صـادقيّ : « من أوثق عـرى الإيمـان أن تحـبّ فـي الله ، وتبغض في الله ، وتعطي في الله ، وتمنع في الله »[٢] .

وبـاقـريّ : « . . ألا مَنْ أحبّ في الله ، وأبغض في الله وأعـطى في الله ، ومنع في الله فهو من أصفياء الله »[٣] .

وآخـر : « يـا زيـاد ويحـك وهـل الـدّين إلاّ الحبّ ؟ ألا تـرى إلى قـولـه : ﴿ **قـل إن كنتم تحبّـون الله فـاتّبعـونى يحببكم الله ويغفـر لكم ذنـوبكم** ﴾[٤] ؟ أو لا تـرى قـول الله لمحمـد ـ صلى الله عليـه وآلـه ـ : ﴿ **حبّب إليكم الإيمـان وزيّنه فى قلوبكم** ﴾[٥] ؟ وقـال : ﴿ **يحبّـون من هاجر إليهم** ﴾[٦] ، فقال : « الدّين هوالحبّ ، والحبّ هو الدّين »[٧]

---

(١) المصدر ص ١٧٩ .
(٢) الوسائل ١١ / ٤٣١ ، باب ١٥ وجوب المحبّ في الله والبغض في الله . .
(٣) المصدر .
(٤) سورة آل عمران : الآية ٣١ .
(٥) سورة الحجرات : الآية ٧ .
(٦) سورة الحشر : الآية ٩ .
(٧) الوسائل ١١ / ٤٣٥ .

وصادقي : « . . . وهل الإيمان إلّا الحبّ والبغض ؟»[1] .

ويساعده الاعتبار العقلي؛ اذ لم ير العاشق للّشيء والمحبّ له إلّا وهو متفانٍ فيه لا يرى سواه ولا يسمع إلّا منه ولا يعمل إلّا من أجله ، ولا يقول إلّا ما شاءه ولم تصدر منه حركة ولا سكون إلّا للمحبوب وهذه سنّة الحبّ وشرع الهوى: بأن لا يهوى المحبّ إلا الحبيب ولا يقنع به بدلاً ولا يعرف في العالم غيره . وقد قال تعالى : ﴿ **والذّين آمنوا أشدّ حبّاً لله** ﴾[2] ، وأهل البيت عليهم السلام هم التامّون في محبة الله تعالى كما في الزيارة الجامعة[3] .

---

(١) المصدر .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٥ .

(٣) عيون اخبار الرضا ٢ / ٢٧٨

٦٣ ـ أيّ شرفٍ يَتَقدّمُ هذا أو يُدانيه ؟

روى الصدوق حديث الرضا عليه السلام المشتمل على استدلاله بالآيات القرآنية على فضل العترة الطاهرة على سائر الناس عندما سأله علماء أهل العراق وخراسان، ذكرنا بعضها عند الكلمة : « فضل بعد طهارة تنتظر »[1] ، و « نفس عليّ عليه السلام كنفسه صلى الله عليه وآله »[2] ، قال عليه السلام :

« والآية السادسة قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى** ﴾[3] .

وهذه خصوصيّة للنّبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ إلى يوم القيامة وخصوصيّة للآل دون غيرهم ؛ وذلك أن الله عزّ وجلّ حكى في ذكر نوح في كتابه : ﴿ **يا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجرى إلاّ على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا أنّهم ملاقوا ربّهم ولكنّى أراكم قوماً تجهلون** ﴾[4] ، وحكى عزّ وجلّ عن هود أنّه قال : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلاّ على الّذي فطرنى أفلا تعقلون**﴾[5] ، وقال عزّ

---

(١) حرف الفاء مع الضّاد .

(٢) حرف النّون مع الفاء .

(٣) سورة الشورى : الآية / ٢٣ .

(٤) سورة هود : الآية / ٢٩ .

(٥) سورة هود : الآية / ٥١ .

وجلّ لنبيّه محمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ : ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى**﴾ ولم يفرض الله تعالى مودّتهم إلّا وقد علم أنّهم لا يرتدّون عن الدّين أبداً ولا يرجعون إلى ضلال أبداً ، وأخرى أن يكون الرجل وادّاً للرّجل فيكون بعض أهل بيته عدوّاً له فلا يسلم له قلب الرّجل ، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن لا يكون في قلب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ على المؤمنين شيء ، ففرض عليهم الله مودّة ذوي القربى ، فمن أخذ بها وأحبّ رسول الله وأحبّ أهل بيته لم يستطع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ أن يبغضه من تركها ولم يأخذ بها وأبغض أهل بيته فعلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أن يبغضه ؛ لأنّه قد ترك فريضةً من فرائض الله عزّ وجلّ ، فأيّ فضيلة وأيّ شرف يتقدّم هذا أو يدانيه ؟ »[1] .

للحديث الشّريف بقيّة باقية ، ولطوله اقتصرنا على ما يرتبط الكلمة المستخرجة .

إنّ الله عزّ وجلّ فضّل محمّداً وأهل بيته على جميع الخلق من الأوّلين والآخرين وشرّفهم عليهم شرفاً وفضلاً لا يُدانيهما دان إلى يوم القيامة فلهم الفضل الجليل والشّرف الأصيل ؛ إذ هم الصّفوة المصطفون اصطفاهم الله تعالى لنفسه وقدّمهم على الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام ، فأجر رسالاتهم ليس إلّا أن يتخذ العباد إلى ربّهم سبيلاً كما قال عزّ وجلّ : ﴿ **قل لا أسألكم عليه من أجر إلّا من شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلاً** ﴾[2] ، ومودّة أهل البيت عليهم السّلام هي السّبب التام

(١) عيون أخبار الرّضا : ١ / ١٨٣ .

(٢) سورة الفرقان : الآية / ٥٧ .

ولا يخفى أن الآي المذكورة في القرآن الكريم في هذا الصدد على تنوّع معانيها اثنتا عشرة آية تعطي من تدبّر فيها الهدف الواحد وهو اتحاد سبيل الله عزّ وجلّ وعرفانه ومحبّته تعالى .

لأتّخاذ سبيل الرّبّ تعالى لأنَّ الّـذي يودّ أحـداً مودّة صـادقة ، يتّبعـه فيما يهمّـه وأهل البيت عليهم السّـلام لا يهمّهم شيء إلّا الله عـزّ وجـلّ فالوادّ الصادق لا محالـة متّخذ طـريق الله عزّ وجلّ، ومن ثمّ أمر العبـاد بمودّتهم عليهم للحصول على الهدف الأسنى وفي غيرها الخيبة والضّلال .



حرف الباء

٦٤ - بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له

من خطبة الرّضا عليه السلام في التّوحيد رواها الصّدوق ، ذكرنا من أوّلها إلى فقرة : « ابتداؤه إيّاهم دليل على أن لا ابتداء له ؛ لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره » ، ومنها إلى فقرة : « من غيّاه فقد غاياه »[1] ، وإليك من موضع القطع :

« ومن غاياه فقد جزّأه ، ومن جزّأه فقد وصفه ، ومن وصفه فقد ألحد فيه ، لا يتغيّر الله بانغيار المخلوق ، كما لا يتحدّد بتحديد المحدود ، أحدٌ لا بتأويل عدد ، ظاهرٌ لا بتأويل المباشرة ، متجلٍ لا باستهلال رؤية باطن لا بمزايلة ، مبائنٌ لا بمسافة ، قريب لا بمداناةٍ ، لطيفٌ لا بتجسمٍ ، موجودٌ لا بعد عدمٍ ، فاعلٌ لا باضطراب ، مقدّرٌ لا بحول[2] فكرةٍ ، مدّبرٌ لا بحركةٍ ، مريدٌ لا بهمامةٍ ، شاءٍ لا بهمّةٍ ، مدرك لا بمجسمةٍ ، سميعٌ لا بآلةٍ ، بصيرٌ لا بأداةٍ . لا تصحبه الأوقات ، ولا تضمّنه الأماكن ، ولا تأخذه السّنات ، ولا تحدّه الصّفات ، ولا تقيّده

(١) حرف الميم مع النون .

(٢) في نسخة « بجول » بالجيم كما في هامش التوحيد ٣٧ .

الأدوات ، سبق الأوقات كونه ، والعدم وجوده ، والابتداء أزله ، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له . . . »[1] .

قوله عليه السلام : « ومن غاياه فقد جزّأه . . . »[2] ، أي ذاته المقدّسة جزء وما ينتهي إليه جزء آخر .

وقال المعتزلي في شرح بعض الخطبة العلويّة : « ومن ثنّاه فقد جزّأه » : وهذا حقّ ؛ لأنّه إذا أطلق لفظة الله تعالى على الذّات والعلم القديم فقد جعل مسمّى هذا اللّفظ وفائدته متجزّئة ؛ « ومن جزّأه فقد جهله » : هذا حقّ لأنّ الجهل هو اعتقاد الشّيء على خلاف ما هو به[3] .

والإلحاد : هو الطّعن في أمر من أمور الدّين بالقول المخالف للحقّ المستلزم للكفر[4] ولبقيّة الكلمات شرح يخرج به عمّا نحن بصدده كقوله عليه السلام: «بتشعيره المشاعر عرف أن لا شعر له » .

ولا يخفى أنّ كثيراً من كلمات الرّضا عليه السلام في هذه الخطبة قد جاءت في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام .

قال المعتزلي : المشاعر : الحواسّ قال بلعاء بن قيس :

والرّأس مرتفعٌ فيه مشاعره   يهدي السّبيل له سمع وعينان

---

(١) التّوحيد ٣٦ ـ ٣٧ .
(٢) النّهج ١ / ٧٢ ، الخطبة ١ .
(٣) شرح النّهج ١ / ٧٥ .
(٤) هامش التّوحيد ٣٧ .

قال : بجعله تعالى المشاعر عرف أن لا مشعر له ؛ وذلك لأنّ الجسم لا يصحّ منه فعل الأجسام ، وهذا هو الدّليل الّذي يعوّل عليه المتكلّمون في أنّه تعالى ليس بجسم[1] .

وأمّا قوله عليه السلام : « وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له » فلم أجده في الخطب العلويّة ، ووجدته في خطبة الرّضا عليه السلام الجارية .

الجواهر واحدها الجوهر : مقول على معاني منها الحجر الثمين المستخرج المنتفع به كالألماس والياقوت وهو معرّب: « كوهر » بالفارسي ، ومنها جوهر الشيء ما وضعت عليه جبلّته وطبيعته . وجوهر السّيف : فرنده . والجواهر العِلْويّة : الأفلاك أو الكواكب أو الأرواح[2] . والمصطلح عند الحكماء : الموجود بنفسه ويقابله العَرَض وفسّر السّبزواري الجوهر بقوله :

الجوهر المهيّة المحصّلَة إذا غدت في العين لا موضوع له

وقال في تفسير العَرَض وأقسامه التّسعة المعروفة مع انضمام الجوهر بالمقولات العشرة وعند بعض بالأقلّ بما يلي :

العَرَضُ ما كونه في نفسه الكون في موضوعه لاتنسه
كمٌّ وكيفٌ وضعٌ أينٌ له متى فعلٌ مضافٌ وانفعالٌ ثبتا
أجناسه القصوى لد المعلِّم بالثلث أو بالأربع نُمي

فتكون تسعة[3] إلى آخر ما ذكره هناك فراجع .

---

(١) النّهج ١٣ / ٧٢ ، الخطبة ٢٣٢ . وشرحه ١٣ / ٧٣ .
(٢) منتهي الأرب في لغة العرب ، وغيره من الكتب في (جوهر) .
(٣) المنظومة في الحكمة المتعالية المقصد الثّاني في الجوهر والعرض الفريدة الأولى والثانية ص ١٣٦ ـ ١٣٧

والجوهر أعمّ من الجسم المركبّ من الأبعاد الثلاثة الطّول والعرض والعمق والعناصر الأربعة أو الأكثر ، ومن البسيط المجرّد عنها .

وهل هنا مجرّد سوى الله جلّ جلاله كما عليه جمع أو لا ؟ على ما ذهب إليه المجلسي قال عند تفسير العقل : السّادس ما ذهب إليه الفلاسفة وأثبتوه بزعمهم من جوهر مجرّد قديم لا تعلّق له بالمادّة ذاتاً ولا فعلاً والقول به كما ذكروه مستلزم الإنكار كثير من ضروريات الدّين من حدوث العالم وغيره ممّا لا يسع المقام ذكره ، وبعض المنتحلين منهم للإسلام أثبتوا عقولاً حادثةً وهي أيضاً على ما أثبتوها مستلزمة لإنكار كثير من الأصول المقرّرة الإسلاميّة مع أنّه لا يظهر من الأخبار وجود مجرّد سوى الله تعالى[1] .

وظاهره الجزم بانحصار المجرّد في الله تعالى ، ويمكن الجمع لما ذهب إليه بحمل المجرّدات من عقول ونفوس على الإضافيّ وأما المجرّد من كلّ جهة وهو الكمال المطلق فليس الا الله جلّ جلاله ، وقد خرجنا عمّا نحن فيه من بيان الحكمة الرّضوية :

«بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له » أي : بإبداعه تعالى الجواهر بإعطاء الوجود الجوهريّ لها دلّ على نفيه عنه تعالى لافتقار المقولات كلّها والكون كلّه إلى الزّمان والمكان والمحلّ غير المنفك عن النقص المنفي عن الرّبّ عزّ وجلّ وإلاّ لانقلب الواجب إلى الممكن فتجد الجهات الملازمة للنّقائص حليفة الممكنات مهما كان نوعها والكلّ منتف عن الله جلّ جلاله وكيف وهو الغني كلّه والقدرة كلّها والعلم كلّه والحياة كلّها .

---

(١) البحار ١ / ١٠١ .

٦٥ ـ البخل يمزّق العرض

روى المجلسي طاب ثراه من كلمات الرّضا عليه السلام : « البخل يمزّق العرض »[١] .

بقدر ما يمزّق البخل عِرْض البخيل، ويشوّه كرامته، يصون الجود كرامة الجواد، وكما أنّ البخل كاشف عن عيوب البخيل لأنه إذا بخل عن المال الدّنيويّ فهو في كسب الفضائل المثمرة في الدّارين أبخل ، فتكثر رذائله وعيوبه ، والبخل دليل عليها ، والجود ساتر إن كان للجواد زلّات وعيوب ؛ إذ الجود من الفضائل يستدلّ به على سائرها ، كما أنّ البخل رذيلة دالّ على أخواتها ويخدش كلّ فضيلة له لو كانت ؛ والدّليل على أنّ الشّيء بالشّيء ملحق قول أمير المؤمنين عليه السلام : « فإنّ الشّرّ بالشّرّ ملحق »[٢] . وكذلك الخير يدعو إلى الخير ، وأوضح شاهد عليه قوله تعالى : ﴿ **ثمّ كان عاقبة الّذين أسائوا السّوآى أن كذّبوا بآيات الله** ﴾[٣] ، أي قد أعقبت الإساءة تكذيب الآيات كلّها .

---

(١) البحار ٧٨ / ٣٥٧ .

(٢) النّهج ١٨ / ٤٢ ، كتاب ٦٩ .

(٣) سورة الرّوم : الآية / ١٠ .

روايات أهل البيت عليهم السلام ، وكلمات الأدباء المثليّة في البخل والشّح ، والبخيل والشحيح .

من الرّوايات

النّبويّ : « البخيل حقّاً مَنْ ذُكرتُ عنده فلم يُصلّ عليّ »[1] .

والآخر : « وإنّما البخيل حقّ البخيل : الّذي يمنع الزّكاة المفروضة من ماله ، ويمنع البائنة في قومه ، وهو في ما سوى ذلك يبذّر »[2] .

في الحديث : « هل أبنت كل واحدٍ منهم مثل الّذي أبنت هذا » ، أي هل أعطيتهم مثله مالاً تبينه به أي تفرده ، والاسم البائنة[3] .

ومنها الصّادقي رواية الفضيل بن عياض : « أتدري مَن الشّحيح ؟ فقلت : هو البخيل ؟ فقال : الشّحيح أشدُّ من البخيل ، إنّ البخيل يبخل بما في يديه ، وإنّ الشّحيح يشحّ بما في أيدي النّاس وعلى ما في يديه حتّى لا يرى في أيدي النّاس شيئاً إلاّ تمنّى أن يكون له بالحلّ والحرام ، ولا يشبع ، ولا يقنع بما رزقه الله تعالى »[4] .

والآخر : « البخيل من بخل بالسّلام »[5] .

---

(١) معاني الأخبار ٢٤٦ .

(٢) المصدر ص ٢٤٥ .

(٣) نهاية ابن الأثير ١ / ١٧٥ ، في (بين) .

(٤) معاني الأخبار ٢٤٥ .

(٥) المصدر .

ومنها الرّضويّ : « ليس لبخيل راحة . . . »[1] .

والآخر : « إيّاكم والبخل ، فإنّها عاهة لا تكون في حرّ . . . »[2] .

ومن كلمات الأدباء المثليّة :

« شرّ أخلاق الرّجال البخل » ، « البخيل أبداً ذليلٌ » ، « لا مروءة لبخيلٍ » ، « ما أفلح بخيلٌ قط ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ **ومَن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ . . . »[3] . « البخل بالموجود من سوء الظّنّ بالمعبود » ، « الجبن والبخل غريزة واحدة يجمعهما سوء الظن بالله » ، « البخل يهدم مباني الكرم » ، « بَشّرْ مال البخيل بحادث أو وارث » ، « أبخل النّاس أجودهم بعرضه »[4] .

أقول : فصيانة العِرْض بالجود وإلاّ فكما قال الرّضا عليه السلام : « البخل يمزّق العِرْض » .

وغيظ البخيل على من يجو د أعجب عندي من بخله[5]

وفي وصف البخيل قالت العرب :

(سواء هو والعدم) ، (سواء غناه والفقر) ، (ما تُبلُّ إحدى

---

(١) التّحف ٤٥٠ ، البحار ٧٨ / ٣٤٥ .
(٢) البحار ٣٤٦/٧٨، وفيه « ولا مؤمن ، إنّها خلاف الإيمان » .
(٣) سورة الحشر : الآية / ٩ .
(٤) التّمثيل والمحاضرة ٤٤٠ .
(٥) المصدر .

يديه الأخرى) ، (لا تندى صفاته ، ولا يبضّ[1] حجره ، ولا يثمر شجره) . (يمنع درّه ودرّ غيره) . المولّدون :

(لا تسقط من كفّه خردلة) . (سائله محروم ، وماله مكتوم) . (لا يحين إنفاقه ، ولا يحلّ خناقه) . (خبزه كآوي يُسمع بها ولا تُرى) . (اغناه فقر ، ومطبخه قفر) . (يملأ بطنه والجار جائع) ، (ويحفظ ماله والعرض ضائع) . (قد أطاع سلطان البخل بجهده ، وانخرط كيف شاء في سلْكِهِ) . (سمين المال مهزول النّوال) . (عظيم الرّواق صغير الأخلاق) . (يصون فَلْسَه ، ويبذل نَفْسَه) . (لا يحلب إلاّ من ضرع بكيّ[2]، ولا يسقى إلاّ من أنضب ركيّ)[3] . (فلان قد جعل ميزانه وكيله ، وضرسه أكيله ، وكيسه أنيسه ، وخبزه جليسه ، ورغيفه أليفه ، ومأكوله حليفه ، وديناره شقيقه ، ودرهمه رفيقه ، ويمينه أمينه ، ومفتاحه دفينه ، وصناديقه صديقه ، وخاتمه خادمه)[4] .

وعلاج البخل :

البذل هو العلاج وهل المحبوب في الشّرع وعند العقل هو الإيثار ولو كان بالمؤثر خصاصة كما قال تعالى :

﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[5] ؟ وهذا دليل على علاج البخل

---

(١) ولا يبيض وهو خطأ وبضّ الماء : سال قليلاً قليلاً أي: لا يرجى خيره . هامش التمثيل والمحاضرة ٤٤١ .

(٢) البكيّ : الكثير البكاء وهنا كثير اللبن: أي لا يحلب من ضرع كثير اللبن، وبمعنى القليل ويحتمل اللّفظ « إلاّ من ضرع بكيّ»: أي قليل اللّبن .

(٣) الزكيّ : البئر .

(٤) لتمّثيل والمحاضرة ٤٤٢

(٥) سورة الحشر : الآية / ٩

والشّحّ الّذي هو أشدّ منه،حيث عقّب تعالى الإيثار بوقاية شحّ النّفس الموجبة للفلاح، وفيه حثّ بالغ عليه، وجاء في تفسير الآية إيثار أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الضّيف : « يا ابنة محمّد نوّمي الصّبيّة واطفي المصباح . . . »[1]: . أو الإنفاق الوسط ؟ ويشهد له قوله عزّ وجلّ : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾[2] . في قصّة إعطاء الرسول صلّى الله عليه وآله قميصه للسّائل ونزول الآية الآمرة بالوسط[3] .

(١) تفسير الصّافي ٢ / ٦٨٤ .
(٢) سورة الإسراء : الاية / ٢٩ .
(٣) تفسير الصّافي ١ / ٩٦٧ .

٦٦ ـ بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها

قال الصّدوق حدّثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال حدّثنا محمد بن يحيى العطّار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن سنان عن الرّضا علي بن موسى ـ عليهما السلام إنه قال : « إنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها »[١] .

البسملة ، والأسم الأعظم ، والمثل بأقربيّتها إليه من سواد العين إلى بياضها . فهنا بحوث ثلاثة :

البحث الأوّل في البسملة :

البسملة أكرم آية في كتاب الله وأعظمها ففي باقريّ : « سرقوا أكرم آية في كتاب الله بسم الله الرّحمن الرّحيم »[٢]

(١) عيون أخبار الرّضا ٢ / ٥ .

(٢) تفسير العيّاشي ١ / ١٩ ، تفسير البرهان ١ / ٤٢

وآخر : « ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنّها بدعة إذا أظهروها ، وهي بسم الله الرّحمن الرّحيم »[1]

البسملة في أوّل كلّ كتاب نزل من السماء في صادقي : « ما أنزل الله كتاباً إلّا وفاتحته بسم الله الرّحمن الرّحيم »[2]

وروايات البسملة فوق الخمسين ذكرناها في كتابنا « الاسم الأعظم أو معارف البسملة والحمدلة »[3]. وقد كتبت حولها كتب ورسائل تنوف على مائة وعشرين جمعها السّيد الجلالي[4] .

قال بعض أهل المعرفة :

البسملة كلمة قدسيّة من كنز الهداية ، وخلعة ربوبيّة من خلع الولاية ، ووصلة قريبة لأهل العناية ، ورحمة خاصّة[5] للمؤمنين ، وعامة للخلق الأوّلين والآخرين .

البسملة حبيبة أهل ولاية الله جلّ جلاله لا يدعونها ليل نار ولا في حال من الحالات،جاذبة العبد الآبق إلى ربّه الكريم،ومن أثرها تنمية المحبّة والوفاء ، والتّقوى والحياء وسائر الفضائل وأهمّها المعرفة بالله جلّ جلاله، وبالصّفات والأفعال والأسماء ، رافعة الأقدار ، دافعة الأضرار ، جامعة الأسرار ،ينبوع العلوم والمعارف . وقد رام بعضٌ البحث عنها من ثمانية عشر علماً :

اللّغة . الوضع . الاشتقاق . الصّرف . النحو . المعاني .

---

(١) تفسير العيّاشي ١ / ٢١ ـ ٢٢ ، تفسير البرهان ١ / ٤٢ ـ ٤٣
(٢) تفسير البرهان ١ / ٤٢ . وفي معناه تفسير العيّاشي ١ / ١٩ .
(٣) طبع في بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات عام ١٤٠٢ هـ .
(٤) مخطوط .
(٥) خزينة الأسرار ١٠٣ .

البيان . البديع . الكلام . أصول الفقه . المنطق . الآداب . الفقه . التّفسير . الاستناد . القراءة . الحديث . التّصوّف . في كتاب لمؤلّفه الشيخ محمد عليش المتوفى حدود **١٢٧٩** هـ ، باسم (إيضاح إبداع حكمة الحكيم في بيان : بسم الله الرحمٰن الرحيم) ، إيضاحاً لما ألّفه أبو سعيد محمد بن مصطفى بن عثمان الخادمي . أوّله : « بسم الله » الّذي جعل البسملة الكريمة فاتحة كلّ كتاب « الرّحمن » الّذي جعلها بركة ويسّر بها ما صعب من الأسباب « الرحيم » الذي جعلها موصولة لكلّ خير بلا ارتياب . . .[١] ، نعم إنّها ترمي إلى المعارف أسماها وأرفعها .

وللبسملة المباركة آثار وخواصّ لا يعرفها إلاّ أهل البيت عليهم السلام وقد جاء بعضها في أحاديثهم ليس المقام موضع ذكر ذلك .

البحث الثاني : الأسم الأعظم .

نذكر أوّلاً بعض ما ورد فيه من روايات ، ونعقبها ثانيةً بنبذةً من كلمات العلماء .

الأولى : الرّوايات :

١ ـ الرّضويّ المتقدّم : « إنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرب إلى الأسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها »[٢] .

---

(١) الإسم الأعظم . . . ص ٨ .
أقول : البسملة تدعو العبد إلى الله بلطف نظير آية ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾ سورة الزّخرف :الآية / ٣٦ ولنعم من قال:
هيج داني بهرجه رحمٰن بكفت   دعوت غيبيست باتو دز نهفت
أي : كلمة « الرحمن » الكائنة في الآية تدعوك في الخفاء وتقول لك هلمّ إلينا .
(٢) عيون أخبار الرضا ٢ / ٥ ، تفسير البرهان ١ / ٤٢ .

٢ ـ الصادقي : « بسم الله الرّحمن الرّحيم اسم الله الأكبر ـ أو قال : ـ الأعظم »[1] .

٣ ـ الباقريّ : « بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى أسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها »[2] .

٤ ـ رواية ابن عباس قال صلّىٰ الله عليه وآله : « بسم الله الرحمن الرحيم اسم من أسماء الله الأكبر ، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلّا كما بين سواد العين وبياضها »[3] .

٥ ـ الصادقيّ : « اسم الله الأعظم مقطّع في أم الكتاب »[4] .

٦ ـ العسكريّ : « إنّ رجلاً قام إليه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن بسم الله الرحمن الرحيم ما معناه ؟ فقال إنّ قولك الله أعظم اسم من أسماء الله عزّ وجلّ وهو الاسم الّذي لا ينبغي أن يسمّى به غير الله ولم يسمّ به مخلوق . . . »[5] .

٧ ـ عمّار السّباطيّ قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك أحبّ أن تخبرني باسم الله تعالى الأعظم ؟ فقال لي : إنّك لن تقوى على ذلك ، قال فلمّا ألححتُ قال : فمكانك إذاً ، ثم قام فدخل البيت هنيهة ، ثمّ صاح بي ادخل ! فدخلت ، فقال لي : ما ذلك ؟ فقلت أخبرني به جعلت فداك ! قال فوضع يده على الأرض فنظرت إلى البيت يدور بي وأخذني أمر عظيم كدتُ

---

(١) تفسير نور الثقلين ١ / ٦ ـ ٧ .

(٢) تفسير نور الثقلين ١ / ٦ .

(٣) نور الثقلين ١ / ٧ ، مهج الدعوات ٣١٩ .

(٤) تفسير البرهان ١ / ٤١ ، تفسير نور الثقلين ١ / ٣ .

(٥) تفسير البرهان ١ / ٤٥ ، تفسير نور الثقلين ١ / ١١ .

أهلك ، فضحك[1] فقلت جعلت فداك حسبي لا أريد ذا [2] .

٨ ـ وما رواه الصّدوق إلى الصّادق عليه السلام قال : « ألم » هو حرف من حروف اسم الله الأعظم المقطّع في القرآن الّذي يؤلّفه النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ والإمام فإذا دعا به أجيب »[3] .

٩ ـ في علويّ قال : « إنّ أمّ سلمة سألت رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عن اسم الله الأعظم فأعرض عنها فسكت ثم دخل عليها وهي ساجدة تقول : اللّهمّ إنّي أسألك بأسمائك الحسنى ما علمتُ منها وما لم أعلم ، وأسألك باسمك الأعظم الّذي إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت فإنّ لك الحمد لا إله إلاّ أنت المنّان بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام . فقال لها : سألت يا أمّ سلمة باسم الله الأعظم »[4] .

١٠ ـ ونبويّ : « اسم الله الأعظم في ست آيات من آخر الحشر »[5] .

١١ ـ ورضويّ : « من قال بعد صلاة الفجر بسم الله الرّحمن الرّحيم لا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم ، مائة مرّة كان أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها »[6] .

١٢ ـ وآخر : « بسم الله الأكبر يا حيّ يا قيّوم »[7] .

١٣ ـ صادقيّ أنّه في الحمد والتّوحيد وآية الكرسي وإنّا أنزلناه

(١) وفي الأصل فضحكت والصّحيح ما ذكرناه .
(٢) اختيار معرفة الرّجال ٢٥٣ ـ ٢٥٤ من الجزء الثالث .
(٣) معاني الأخبار ٢٣ ، تفسير الصّافي ١ / ٥٧ .
(٤) البحار ٩٣ / ٢٢٧ .
(٥) البحار ٩٣ / ٢٢٤ .
(٦) البحار ٩٣ / ٢٢٣ .
(٧) البحار ٩٣ / ٢٢٣ .

تقرأ ، تجاه القبلة فيجاب إذا دعا الدّاعي بذلك ، مضمون الحديث[1] فراجعه . ونكتفي بهذا القدر من الروايات .

نبذةً من كلمات العلماء :

هل الأسم الأعظم يعلمه غير المعصوم عليه السلام ؟ من وليّ أو غير وليّ ؟ ولو كان في فترة وليّاً ثم صار عدوّاً لله ورسوله في فترة ثانية ؟

الجواب: نعم وليس ذلك مطّرداً في الكلّ ويشهد للأخير قصّة بلعم قال تعالى : **﴿ واتل عليهم نبأ الّذى اتيناه آيتنا فانسلخ منها فأتبعه الشّيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل الّذين كذّبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلّهم يتفكرون ﴾**[2] .

روى القمّي عن الرّضا عليه السلام أنّه أعطى بلعم بن باعورا الاسم الأعظم وكان يدعو به [فيستجاب] فيستجيب له فمال إلى فرعون في طلب موسى وأصحابه ، قال فرعون لبلعم ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا فركب حمارته[3] ليمرّ في طلب موسى

---

(١) البحار ٩٣ / ٢٢٣ .
أقول : وليكن رابع عشر الرّوايات ما قاله أمير المؤمنين عليه السّلام للشاب الداعي في المسجد الحرام : « أتاك الغوث ألا أعلّمك دعاء علّمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله وفيه اسم الله الأكبر الأعظم . . . » أوّله : « اللهم اني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم » . مهج الدعوات ١٥٣ ـ ١٥٦ .

(٢) سورة الأعراف ؛ الآية / ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٣) ربّ مركوبٍ خيرٌ من راكبه من المثل السّائر ذكرناه في الأمثال النّبويّة : ١ / ٤٣٨ ، رقم المثل ٢٨٠ ، حرف الراء مع الباء ، وبلعم من أظهر مظاهره .

فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها، فأنطقها الله عزّ وجلّ فقالت ويلك على ماذا تضربني أتريدني أن أجيىء معك لتدعو على نبيّ الله وقوم مؤمنين ؟ فلم يزل يضربها حتى قتلها وانسلخ الأسم من لسانه وهو قوله تعالى : ﴿ **فانسلخ منها** ﴾ الآية[1] .

بل أبليس والشّياطين لا يعدمون الاسم المبارك ولولاه لما تمكّنوا من نفوذهم في قلوب ابن آدم ولا من العلم ولولاه لما درت سُبُل إغوائهم ووسائله، ومن ثم قيل العلم من دون التّقوى لا يقيم له الإسلام ولا العقل وزناً وأجاد من قال شعراً :

لو كان للعلم من غير التّقى شرفٌ لكان أشرف خلق الله إبليسُ[2]

ثمّ الأقوال في فهم الأسم الأعظم وتعيينه من بين أسماء الله الحسنى حسب دلالة الآيات والأخبار لعلّها تربو على المائة كما اعترف بذلك بعضٌ[3] واعتمد على أمرين قال : الّذي يمكن الرّكون إليه في الجملة بحسب ظواهر الآثار ولوائح الأخبار ومضامين الأدعية وغيرها (أمران) :

أحدهما: أنّ الاسم كثيراً ما يراد في كلماتهم معناه اللّغويّ دون العرفي: أي يراد به مطلق ما يكون علامة ومرآة لذاته الأقدس ، وبهذا المعنى يكون جميع الكائنات والمخترعات والمصنوعات أسماء لذاته المقدّس[4] ولكنّها متفاوتةٌ بحسب اختلاف درجاتها في المرآتيّة

---

(١) تفسير القمي ١ / ٢٤٨ ، تفسير الصّافي ١ / ٦٢٦ ، تفسير البرهان ٢ / ٥١ .

(٢) لا أدري .

(٣) ختام الغرر للسيد الأبطحي ص ١٣٤ ، الباب السّادس .

(٤) الأولى « المقدّسة » .

والتّخلّق بأخلاق الله وظهور آثار قدرته وحكمته وعلمه .

وفــي كــلّ شــيء لــه آيــة تــدلّ عــلى أنّــه واحــد[١]

فالكل دليلٌ إليه وعـلامةٌ لـوجوده ومـرآةٌ لقدرتـه واية وحـدانيّته ، وكلّ مرتبة منها تـزيد على المـرتبة . . . وهكـذا إلى أن تبلغ إلى درجة النسخـة الجامعـة والمرآة الكـاملة والمتخلق بمـا يمكن التخلّق بـه من أخـلاق الله ومظهـر صفـات الله من الجـلاليّـة والجمـاليّـة . . . وبهـذا الاعتبـار يكون الاسم الأعـظم نبيّنا محمـد[٢] هو وأهـل بيتـه ـ صلوات الله عليهم ـ أسمـاؤه الحسنى . . . ويمكـن أن يكـون وجـه أطـلاق الأسم الأعـظم عليـه صلى الله عليـه وآلـه من جهـة ثبـوت الـولايـة الكليّة . . .

ثانـيـهما : ـ أي الأمـرين ـ أن يكون المـراد به ظـاهـره وعلى هـذا فاختلفوا فيه على وجوه :

الأوّل : هو (الله) كما مرّت الإشارة في باب الجفر[٣] . . .

وراح السّيّد يسرد الأقـوال المائـة في الأسم الأعظم . ولا ريب أنّ أهـل البيت عليهم السلام هم حقيقـة الأسم الأعظم وعنـدهم ذلك ؛ لأنّـه ورد فيهم أنّهم الأسمـاء الحسنى[٤] والأسم الأعـظم منهـا ولعـلّ

---

(١) من شعـر أبي العتاهيـة المتوفي ٢١١ هـ واسمـه إسماعيـل بن القسم بن سويـد العيني أوّله :

ألا إنّــنــا كــلّنــا بــائــدُ وأيّ بــنــي آدم خــالــدُ

الكنى والألقاب للشّيخ المحدث القمى ١ / ١٢١ ـ ١٢٣ .

(٢) في الأصل (وهو) والأولى (هو) .

(٣) [illegible]تام الغرر ١٣٤ ـ ١٤٨ .

(٤) [illegible] عيّاشي ١ / ٤٢ .

أحسن من خاض في هذه البحوث في زعمي السّيّد محمد حسين الطّباطبائي والشّيخ محمد حسين الأصفهاني صاحب التفسير المتوفّى عام ١٣٠٨ هـ في أوّل يوم منه[١] وهو غير الشّيخ محمد حسين الأصبهاني المتوفّى ١٣٦١ هـ صاحب الحاشية على الكفاية . ولا يخفى أنّ الأقوال المائة أكثرها هي الرّوايات التي سردناها في كتابنا الأسم الأعظم[٢] وذكرها المجلسي[٣] وكيف كان نقدّم كلام الأوّل قال :

ما معنى الأسم الأعظم ؟

شاع بين النّاس أنّه اسم لفظيّ من أسماء الله سبحانه إذا دعي به استجيب ، ولا يشذّ من أثره شيء غير أنّهم لمّا لم يجدوا هذه الخاصّة في شيء من الأسماء الحسنى المعروفة ولا في لفظ الجلالة اعتقدوا أنّه مؤلّف من حروف مجهولة تأليفاً مجهولاً لنا لو عثرنا عليه أخضعنا لإرادتنا كلّ شيءٍ . وفي مرغمة أصحاب العزائم والدّعوات أنّ له لفظاً يدلّ عليه بطبعه لا بالوضع اللّغوي غير أنّ حروفه وتأليفها تختلف بإختلاف الحوائج والمطالب ، ولهم في الحصول عليه طرق خاصّة يستخرجون بها حروفاً أوّلاً ثم يؤلّفونها ويدعون بها على ما يعرفه من راجع فنّهم . وفي بعض الرّوايات إشعارٌ بذلك كما ورد أنّ « بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من بياض العين إلى سوادها »[٤] ، وما ورد أنّه في آية الكرسيّ وأوّل سورة

---

(١) المتولّد في منتصف عام ١٢٦٦ هـ كما في ملحق تفسيره المختصر لسورة الفاتحة و٢٢ آية من البقرة وفيه ترجمته الكاملة .

(٢) أو معارف البسملة والحمدلة ص ٥٨ ـ ٧٣ .

(٣) البحار ٩٣ / ٢٢٣ ـ ٢٣٢ .

(٤) الصّحيح « من سواد العين إلى بياضها » كما تقدم .

ال عمـران[1]، ومـا ورد أنّ حـروفـه متفـرّقـة في سـورة الحمـد[2] يعـرفها الإمـام واذا شاء ألّفهـا ودعى بها فـاستجيب[3]. وما ورد أنّ آصف ابن برخيا وزير سليمان دعا بما عنده من حروف اسم الله الأعظم فأحضـر عرش ملكة سبأ عند سليمـان في اقلّ من طـرفة عين[4] . ومـا ورد أن الأسم الأعظم ثلاثـة وسبعون حـرفاً قسمّ الله بين أنبيـائه اثنتين وسبعين منهـا واستأثـر واحدةً منهـا عنده في علم الغيب[5] . إلى غيـر ذلك من الرّوايات المشعرة بأنّ له تأليفاً لفظيّاً .

والبحث الحقيقي عن العلّة والمعلول وخواصّها يـدفع ذلـك كلّه ؛ فـإنّ التّـأثيـر الحقيقي يـدور مـدار وجـود الأشيـاء في قـوّتـه وضعفـه ، والمسانخة بين المؤثّر والمتأثّـر ، والأسم اللّفظي إذا اعتبـرناه من جهـة خصـوص لفـظه كـان مجمـوع أصـوات مسمـوعـة هي من الكيفيّـات العرضيّة ، وإذا اعتبر من جهة معنـاه المتصوّر كـان صورة ذهنيّـة لا أثر لهـا من حيث نفسها في شيءٍ البتّـة ، ومن المستحيل أن يكـون صوت أوجدناه من طريق الحنجرة أو صـورة خياليّـة نصوّرهـا في ذهننا بحيث يقهـر بوجـوده وجود كـلّ شيء ، ويتصرف فيمـا نريـده على ما نـريـده فيقلب السّمـاء أرضـاً والأرض سمـاءً ويحـوّل الـدّنيـا إلى الآخـرة وبالعكس وهكذا ، وهو في نفسه معلول لإرادتنا .

والأسمـاء الإلّهيّة واسمـه الأعـظم خـاصـة وإن كـانت مؤثّـرة في الكـون ووسائط وأسبـاباً لنـزول الفيض من الـذات المتعـاليـة في هـذا

---

(١) البحار ٩٣ / ٢٢٤ و ٢٢٧ .

(٢) البحار ٩٣ / ٢٢٣ .

(٣) تفسير البرهـان ١ / ٥٣ ، تفسيـر الصّـافي ١ / ٥٧ . وانـظر تفسيـر الميـزان ٨ / ٣٥٤ ـ ٣٥٦ .

(٤) تفسير البرهان ٣ / ٢٠٣ ، تفسير الصافي ٢ / ٢٣٩

(٥) المصدران .

العالم المشهود لكنّها إنّما تؤثّر بحقائقها لا بألفاظها الدّالّة في لغة كذا عليها ، ولا بمعانيها المفهومة من ألفاظها المتصوّرة في الأذهان ومعنى ذلك : أنّ الله سبحانه هو الفاعل الموجد لكلّ شيء بماله من الصّفة الكريمة المناسبة له الّتي يحويها الأسم المناسب ، لا تأثير اللّفظ أو صورة مفهومة في الذّهن أو حقيقة أخرى غير الذّات المتعالية إلاّ أنّ الله سبحانه وعد إجابة دعوة من دعاه كما في قوله : ﴿ أجيب دعوة الدّاع إذا دعان ﴾ البقرة : ١٨٦ ، وهذا يتوقّف على دعاء وطلب حقيقيّ ، وأن يكون الدّعاء والطّلب منه تعالى لا من غيره ـ كما تقدّم في تفسير الآية ـ فمن انقطع عن كلّ سبب واتّصل بربّه لحاجة من حوائجه فقد اتّصل بحقيقة الأسم المناسب لحاجته فيؤثّر الأسم بحقيقته ويستجاب له ، وذلك حقيقة الدّعاء بالاسم فعلى حسب حال الأسم الّذي انقطع إليه الدّاعي يكون حال التّأثير خصوصاً وعموماً ، ولو كان هذا الأسم هو الأسم الأعظم انقاد لحقيقته كلّ شيءٍ واستجيب للدّاعي به دعاؤه على الإطلاق . وعلى هذا يجب أن يحمل ما ورد من الرّوايات والأدعية في هذا الباب دون الأسم اللّفظيّ أو مفهومه .

ومعنى تعليمه تعالى نبيّاً من أنبيائه أو عبداً من عباده اسماً من أسمائه أو شيئاً من الأسم الأعظم هو أن يفتح له طريق الانقطاع إليه تعالى باسمه . ذلك في دعائه ومسألته، فإن كان هناك اسم لفظيّ وله معنى مفهوم فإنّما ذلك لأجل أنّ الألفاظ ومعانيها وسائل وأسباب تحفظ بها الحقائق نوعاً من الحفظ فافهم ذلك[1] .

أقول :

---

(١) تفسير الميزان ٨ / ٣٥٤ ـ ٣٥٦ .

يروم بكلامه هذا طاب ثراه[1] أنّ الألفاظ ومنها الأسماء ومداليلها بما هي ألفاظ ومداليل لا يعقل أن يكون لها تأثير وأثرٌ ، وإنّما التّأثير والأثر لانقطاع الدّاعي بها الّذي يعقبه إرادة الله جلّ جلاله المؤثّرة في الشّيء المدعوّ له ،وكلّ ما جاء من الأمر بالدّعاء أو قراءة الأذكار والأسماء الحسنى لتحصيل الانقطاع؛ومن ثمّ ربّما لا يستجاب بعضها لعدم حصول ذلك وما استجيب منها فإنّما هو لحصول الإنقطاع .

ولكنه يرد عليه أنّ الإجابة قد تكون ولا دعاء فضلاً عن الحصول المذكور ، وقد يكون الانقطاع ولا إجابة لحكمة اقتضت عدمها ، وربّما كان الأمران كما قاله رحمه الله تعالى .

والّذي أراه أنّ الأسماء منها ما ليس مجرّد لفظ وصوت ناش من تموّج الهواء معتمد على مقاطع الحروف كي يقال إنّ اللّفظ بما هو هو ليس إلّا هو ولا أثر ولا تأثير له ، ولم لا تكون أسماؤه تعالى وتعالت عن المثل كمثل النّار والشّجر والمدر المخلوقة ذات آثار ، ولا تنافي القول أنّ المؤثّر هو الله وحده إذ هو مُعطي الوجود وآثاره وتأثيره ، وإنّما نحن نجهل الأثر وصاحبه ولا نعلم أنّ الأسم الأعظم أيّ الأسماء الحسنى وإن كانت كلّها عظيمة ولكنّ الجهل إنّما هو باعظمها المؤثّر من بينها[2] .

وقد يجعل الله عزّ وجلّ الأثر فيما يريده لا ما نريده ، وتشهد

---

(١) أي المرحوم السّيّد الطّباطبائي .

(٢) ومنه دعاء السّحر من ليالي شهر رمضان ، قال أبو جعفر عليه السّلام : « لو حلفت لبررت أنّ اسم الله الأعظم قد دخل فيها . . . تقول : اللهم اني أسألك من بهائك بأبهاه وكل بهائك بهي ، أللهم إني أسألك ببهائك كله » إلى آخره . الاقبال ٧٧ .

له قصّة دعاء أمّ سلمة كما في رواية زيد بن علي عليه السلام قال :

« إنّ أمّ سلمة سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن اسم الله الأعظم فأعرض عنها ، (و) فسكت ثمّ دخل عليها وهي ساجدة تقول : « اللّهمّ إنّي أسألك بأسمائك الحسنى ، ما علمتُ منها وما لم أعلم وأسألك بأسمك الأعظم الّذي إذا دعيتّ به أجبت ، وإذا سُألت به أَعْطِيت فإنّ لك الحمد لا إله إلا أنت المنّان بديع السّماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام » .

فقال لها : « سألت يا أمّ سلمة باسم الله الأعظم »[1] .

على أنّ الأسم الأعظم قد أعطي مَنْ لا يعرف إلاّ عصيان الله تعالى، مثل بلعم وإبليس وبعض النّفوس المسخّرة لهم الجنّ ، كما قيل ، إلاّ أن يدّعى منع ذلك كلّه ، وكيف كان فليس الأسم صرف اللّفظ المجرّد عن كلّ شيء ليكون الدّاعي المنقطع إليه تعالى هو المؤثّر بل الأعظم من أسمائه عزّ وجلّ له الأثر الذّاتي حتى ما لو كان الدّاعي به غافلاً عنه أثرّ أثره كما تأثّر النّار فيما لاقته قهراً وإن لم يُعلم بذلك ، وقد يعطي الاسم المبارك أثره المطلوب بواقعه الحقيقيّ وإن لم يدع به ؛ لأنّه ليس واقعه من مقولة الألفاظ ليكون التّلفّظ به سبباً له ،على أنّ حالة المضطرّ توجب إجّابة الدّعاء وكشف السّوء ولعلّها من أثر الأسم الأعظم أو هي هو قال تعالى : ﴿ أمن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السّوء ﴾[2]

---

(١) البحار ٩٣ / ٢٢٧ .

(٢) سورة النمل : الآية / ٦٢ .

تجده صريحاً في كون الاضطرار سبباً للاجابة نعم مع احتمال ضمّ الدعاء إليه بنحو جزء السبب أو أن الاضطرار هو الأصل والدعاء متفرع عنه على أنه شرط أو جزء . والله تعالى هو العالم بحقيقة الأمر .

بقي كلام المحقّق الإصبهاني الّذي وعدنا نقله ، وبما أنّ محتواه يرتبط بالبحث الثالث : وهو التّمثيل بأقربيّة البسملة إلى أسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها أي بقرب سوادها من بياضها نذكره تحت العنوان وهو :

البحث الثالث :

قال المحقّق الإصبهاني طاب ثراه ، ربّما يوجّه بأنّ البسملة اللّفظيّة نسبتها إلى البسملة التكوينيّة ـ بمعنى حقيقة ما يدلّ عليها في عالم الأسماء الإلّهيّة ـ نسبة المظهر والمرآة والفرع إلى الغيب والأصل ، فتلاحظها فيها من دون مشاهدته وبملاحظتها كما إذا توجهت إلى النفس المقابلة في المرآة من دون التفات إليها أصلاً ، والأولى محل لظهور الثانية وحاكية لها فهي أقرب إليه[1] من سواد العين إلى بياضها[2] ، لأنّ ذلك قرب الملاصقة ، وهنا قرب المداخلة لا كدخول شيءٍ في شيءٍ .

والّذي يظهر لي أنّ البسملة في المقامين نسبتها إلى الإسم الأعظم فيهما نسبة النّاظر والسّواد إلى بياض العين ؛ وذلك أنّ حقيقة الأسم الأعظم الإلهيّ ينبغي أن يكون هو الأسم الواحد الّذي بوحدته يشمل جميع الأسماء ويكون تلك الأسماء بمنزلة الأجزاء والجزئيّات والحروف من تلك الكلمة العينيّة ، ولا يعزب عنها[3] شيء من حقائق الأسماء ، وحقائق مدلول البسملة أمور ـ متعدّدة لا تجمعها وحدة من البهاء والملك والمجد وآلآء الله على خلقه من نعيم الولاية . . .

---

(١) أي الاسم الأعظم .

(٢) في الأصل « إلى بياضه » والصّحيح ما ذكرناه .

(٣) في الأصل « عنه » .

زالجلالة والرّحمن والرّحيم الظّاهر[1] أنّ شيئاً منها[2] ليس اسماً جامعاً على ما وصفنا كما يظهر بالتّأمل فيما فصّلناه سابقاً ، فيشبه أن تكون هي تفصيل ذلك الأسم الأعظم ، وبمنزلة الحروف من تلك الكلمة ، وإذا أخذت تلك الحقائق التّفصيليّة ونسبتها إلى الحقيقة الإجماليّة الوجدانيّة ، ولاحظت إحاطة ذلك الإسم الواحد بها وإندراجها فيه كان الأسم الأعظم كالبياض المحيط بالنّاظر المشتمل على الأجزاء المتعدّدة والسّواد مشتمل عليها ، وقربه إليها قرب البياض إلى أحدهما[3] إذ ليس المحاط معزولاً عن المحيط ، ومفصولاً عنه سواء كانت الإحاطة صوريّة أو معنويّة فالأعظم هو البياض كما هو الأظهر بلفظ الرّواية[4] ، وإن لاحظتَ أنّ الحقائق التفصيلية مظاهر ومجالٍ لتلك الحقيقة الوحدانيّة وهي ـ أي البسملة ـ الظّاهر فيها المتجلّي بها كانت هي كالبياض وتلك الحقيقة كالسّواد أو النّاظر ، وقربها إليها كقربه إليه[5] إذ قرب الظّاهر والمتجلّي في المظهر والمتجلّي فيه بحسب المعنى ، وكقرب الحال إلى المحلّ في الصّورة .

وإذا عرفت كيفيّة النّسبةبين البسملة والأسم الأعظم في مقام الحقيقة ، صحّ لك اعتبارها بين لفظالبسملةوذلك الأسم اللّفظي ؛ إذ نسب الألفاظ هاهنا تابعة للحقائق كتبعيّتها أيّاه في وصفها بالكليّة والجزئيّة والتّرادف والتّباين ، كما أنّ بياض العين غير محيط من

(١) في الأصل « والظاهر » .

(٢) في الأصل « منهما » .

(٣) أي قرب الاسم الأعظم إلى البسملة فرب البياض إلى أحدهما وهو السواد فتدبّر ، فإنه دقيق .

(٤) تقدم أنه بالعكس .

(٥) أى قرب البسملة الى الحقيقة الوحدانية كقرب الناظر إلى السواد .

جميـــع الجـوانب ، كـــذا لا تحيط[1] البسملة بجميـع تفصيــل الأسم الأعظم مطابقة ، إذ منه أسامي القهر والانتقـام في مقام التّفصيـل وهي غيـر مصرّحـة فيهـا ـ أي البسملة ـ وإن فهـم من الملك والمجـد إن لم تؤخذ بمعنى الكريم والألوهيّة على وجه التّضمن والإلتزام .

نعم يـدلّ عليها الهـاء من لفظ الجلالـة على وجه إجمـاليّ كمـا سبق أنّ حقيقة العين والأصل فيها هو النّاظر والسّـواد المشتمل عليـه ، والبيـاض بمنزلـة الغالب لهمـا كذا مـرتبة الأسم الأعـظم مرتبـة الأصل والحقيقة بالنّسبة إلى حقيقة البسملة وهي بمنزلة الغالب له[2] .

انتهى كلامه رفـع مقامـه ، وفيه نـوع غموض كالأسم الأعظم، إذ لم يعلم أنّـه رحمـه الله تعـالى يـريـد بيـان تـركيب الأسم المبـارك أو بساطته ،

وهـل المثل نـاظر إلى أن نـاظـر العيـن وهـو إنسـانها كـما أنّـه قريب إلى بياضها كذا الأسم الأعـظم قريب الى البسملة فـالمثل لبيـان القـرب بين ذين وذين ؟ أو ناظـر إلى نـوع من القـرب الخـاصّ ؟ وهـو القـرب الشّـرفيّ إذ أشـرف عضـوٍ في وجـه الإنسـان عينـه وأشـرف من العين إنسانها، ومن ثم قيـل عين الإنسان إنسـان عينه وعن لسـان زينب عليها السلام :

إنسـان عيني يـا حسين أُخيّ يــا أملي وعِقْـد جماني المنضـودا[3]

أو المثل ناظـر إلى جهة الإحـاطة فـالبياض محيط بـالسّواد وهـو

(١) في الأصل « لا يحيط » .
(٢) تفسير الشيخ محمد حسين الاصبهاني ١١٩ ـ ١٢١ .
(٣) الـدر النضيد في مـراثي السبط الشهيد ١٠٩ ، حـرف الدال من قصيـدة للحاج هاشم الكعبي .

محيط بالنّاظر أي العدسة الصّغيرة ؟هذا إذا اعتبر المثل مضروباً لجهة الظّاهر وأمّا إذا أخذ باعتبار الضّوء والنّور ، فإنّ العدسة منها الإشعاع والإنارة لأطرافها فالسّواد النّوريّ هو المحيط والبياض المُحاط؟ أو المثل ناظر إلى معنى أبعد من هذا كلّه بأن يكون كناية عن آثارهما التكّوينيّة ولا بدّ من اعتبار القرب في ذلك لذكره في الرّوايات المذكورة وقرب كلّ شيءٍ بحسبه؟أو كناية عن العوالم المنطوية في كلّ من الأسماء والذّوات العينيّة ففي عالم الأسماء الأسم الأعظم من أعظمها عالماً وفي عالم الأعيان أعظمها النّبيّ والوصيّ؟ أو كناية عن أن المثل مضروب للمخلوق من النّوعين ؟ وأمّا المسمّى وهو الخالق تعالى فتعالى عن ذلك فلو كان اسمه الأعظم هذا شأنه وأنّه كإنسان عين الإنسان فالمسمّى فوق كلّ ذلك .

٦٧ - بشروطها وأنا من شروطها

قال الصّدوق : حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل رضي الله عنه قال : حدّثنا أبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي قال : حدّثنا محمد بن الحسين الصّولي قال : حدّثنا يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهوية قال : لمّا وافى أبو الحسن الرّضا ـ عليه السلام ـ بيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون ، اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له : يا ابن رسول الله ترحل عنّا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك ؟ وكان قد قعد في العمارية فأطلع رأسه وقال : « سمعت أبي موسى بن جعفر يقول : سمعت أبي جعفر بن محمد يقول : سمعت أبي محمد بن علي يقول : سمعت أبي علي بن الحسين يقول : سمعت أبي الحسين بن علي يقول : سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام يقول : سمعت النّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله يقول : سمعت الله عزّ وجلّ يقول : لا إله إلاّ الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي . قال : فلمّا مرّت الرّاحلة ، نادانا : بشروطها وأنا من شروطها »[1] .

وروى المجلسي عن صاحب كشف الغمّة بسنده : « أنّ

---

(١) عيون اخبار الرضا (ع) ٢ / ١٣٤ ، معاني الأخبار ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

علي بن موسى الرّضا عليه السلام لمّا دخل إلى نيسابور في السّفرة الّتي فاض فيها بفضيلة كان في مهد على بغلة شهباء عليها مركب من فضّة خالصة ، فعرض له في السّوق الإمامان الحافظان للأحاديث النّبويّة : أبو زرعة ومحمد بن أسلم الطّوسيّ رحمهما الله، فقالا : أيّها السّيّد ابن السّادة وابن الأئمّة أيّها السّلالة الطّاهرة الرّضيّة أيّها الخلاصة الزّاكية النّبويّة بحقّ آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلاّ أريتنا وجهك المبارك الميمون، ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدّك نذكرك به .

فاستوقف البغلة ، ورفع المظلّة ، وأقرّ عيون المسلمين بطلعته المباركة الميمونة فكانت ذؤابتاه كذوابتي رسول الله صلّى الله عليه وآله والنّاس على طبقاتهم قيام كلّهم وكانوا بين صارخٍ وباكٍ وممزّقٍ ثوبه ومتمرغ في التراب ومقبّل حزام بغلته ومطوّل عنقه إلى مظلة المهد إلى أن انتصف النّهار وجرت الدّموع .. وسكنت الأصوات وصاحت الأئمة والقضاة معاشر الناس اسمعوا وعوا ولا تؤذوا رسول الله في عترته وأنصتوا فأملى صلوات الله عليه هذا الحديث، وعدّ من المحابر أربع وعشرون ألفاً سوى الدُّوي والمستملي أبو زرعة الرّازي ومحمد بن أسلم الطّوسيّ رحمهما الله فقال عليه السلام حدّثني أبي موسى بن جعفر الكاظم . . . » .

قال المجلسي قال الأستاذ أبو القاسم القشيري إنّ هذا الحديث بهذا السّند بلغ بعض أمراء السّامانيّة فكتبه بالذّهب وأوصى أن يدفن معه فلمّا مات رُئي في المنام فقيل : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر الله لي بتلفّظي بلا إله إلا الله وتصديقي محمداً رسول الله مخلصاً وأنّي كتبت هذا الحديث بالذهب تعظيماً واحتراماً(١) .

---

(١) البحار ٤٩ / ١٢٦ ـ ١٢٧ .

قال المحدّث القمّي : الأحاديث الّتي ينبغي أن تكتب بالذهب: خبر لا إله إلا الله حصني بسنده المعلوم ، وخبر نفس المهموم ، ووصيّة أمير المؤمنين المعروفة لـمّا أقبل من صفّين كتب إلى ابنه الحسن: « بسم الله الرّحمن الرّحيم من الوالد الفان المقرّ للزّمان. . . الخ »قال أبو أحمد العسكري : ولو كان من الحكمة ما يجب أن تكتب بالذّهب لكانت هذه[1] .

أقول : الحديث الرّضويّ المذكور معروف ومشتهر بحديث سلسلة الذّهب. إما لكون رواته كالذّهب المكنىّ عنهم بسلسلة الذّهب: أي رواة الحديث وهم المعصومون: أوّلهم جبرئيل ثم النّبي ثم أمير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم الباقر ثم الصادق ثم الكاظم ثم الرّضا عليهم صلوات الله. أو بعض أقلام كتّاب الحديث الرّضوي كان ذهباً. أو لأجل القصّة الآنفة الذكر.أو غيرها ممّن كتبه بالذّهب.ولعلّ الوجه الأوّل هو الأولى ، وكيف كان إنّ لفظ الحديث مكرّر[2] اكتفينا بما تقدّم

قوله عليه السلام : « بشروطها وأنا من شروطها » قد جرى مجرى الأمثال وإن لم يكن مَثَلاً حين صدوره .

قال الصّدوق : من شروطها الإقرار للرّضا عليه السلام بأنّه إمام من قبل الله عزّ وجلّ على العباد مفترض الطاعة عليهم. ويقال: إنّ الرّضا عليه السلام لمّا دخل نيشابور نزل في محلّة يقال لها:الفرويني فيها حمّام وهو الحمّام المعروف اليوم بحمّام الرّضا عليه السلام وكانت هناك عينٌ قد قلّ ماؤها فأقام عليها مَنْ أخرج ماءها حتّى توفّر

(١) السفينة ١ / ٤٩٠ في (ذهب) .

(٢)عيون أخبار الرضا (ع)٢/١٣٢ ـ ١٣٤ وفيه أحاديث أربعة ، البحار ٤٩ / ١٢٥ ـ ١٢٧ وفيه أحاديث ثلاثة .

وكثر وأتخذ من خارج الدّرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي إلى هذه العين فدخله الرّضا عليه السلام واغتسل فيه ثمّ خرج منه وصلّى على ظهره والنّاس يتناوبون ذلك الحوض ويغتسلون فيه ويشربون منه، التماساً للبركة ويصلّون على ظهره. يدعون الله عزّ وجلّ في حوائجهم فتقضى لهم، وهي العين المعروفة بعين كهلان يقصدها النّاس إلى يومنا هذا(١) .

وتمام الشروط: الإيمان بأحقيّة المعصومين أوّلهم الرّسول خاتم الأنبياء وآخرهم الحجّة بن الحسن العسكري المهديّ خاتم الأوصياء عجّل الله تعالى فرجه الشّريف، وعصمة فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليهم أجمعين وإلاّ فهو ممّن صدق عليه قوله تعالى: **﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزي . . . ﴾(٢) . و ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾(٣)**

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٣٤ .
(٢) سورة البقرة : الآية / ٨٥ .
(٣) سورة الكهف : الآية / ٢٩

٦٨ ـ بصنع الله يستدلّ عليه

من خطبة للإمام الرّضا عليه السلام رواها الشّيخ الصّدوق عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحصين بن الوليد رضي الله عنه قال: حدّثنا محمد بن عمرو الكاتب عن محمد بن زياد القلزمي عن محمد بن أبي زياد الجدّي صاحب الصّلاة بجدّة قال: حدّثني محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ قال : سمعت أبا الحسن الرّضا ـ عليه السلام ـ يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون في التّوحيد .

قال ابن أبي زياد: ورواه لي وأملىٰ أيضاً أحمد بن عبد الله العلوي مولى لهم وخالاً لبعضهم عن القاسم بن أيوب العلوي :

إنّ المأمون لما أراد أن يستعمل الرّضا ـ عليه السلام ـ جمع بني هاشم فقال لهم : إنّي أريد أن استعمل الرّضا على هذا الأمر من بعدي ، فحسده بنو هاشم وقالوا : أتوُلّي رجلاً جاهلاً ليس له بصر بتدبير الخلافة ؟ فابعث إليه رجلاً يأتنا ترى من جهله ما تستدلّ به عليه ـ أي على جهله ـ فبعث إليه فأتاه ، فقال له بنو هاشم : يا أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا عَلَماً نعبد الله عليه ، فصعد عليه السلام المنبر فقعد مليّاً لا يتكلّم مطرقاً ، ثمّ انتفض انتفاضةً واستوى قائماً ، وحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه وأهل

بيته ثم قال :

« أوّل عبادة الله تعالى معرفته ، وأصل معرفة الله ـ رحيده ، ونظام توحيد الله تعالى نفي الصّفات عنه ،لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق ، وشهادة كلّ موصوف أنّ له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدوث ، وشهادة الحدوث بالإمتناع من الأزل الممتنع من الحدوث ، فليس عرف الله مَنْ عرف بالتشبيه ذاته ، ولا إيّاه وَحّدَه سنْ اكتنهه ، ولا حقيقته أصاب من مثّله ، ولا به صدّق من نهّاه ، ولا صمد صمده مَنْ أشار إليه ، ولا إيّاه عنى مَنْ شبّهه ، ولا له تذلّل من بعّضه ، ولا إيّاه أراد مَنْ توهّمه ، كل معروف بنفسه مصنوع ، وكلّ قائم في سواه معلول ، بصنع الله يستدلّ عليه ، وبالعقول تعتقد معرفته ، وبالفطرة تثبت حجّته ، خلق الله الخلق حجاباً بينه وبينهم ، ومباينته إيّاهم، ومفارقته أينيّتهم[١] ، وابتداءه إيّاهم دليل على أن لا ابتداء له ؛ لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره . . . »[٢] .

والخطبة مطوّلة وزّعناها على عدد من مباحث توحيديّة لا يستغني عنها الباحث وهي جديرة بالنّظر إليها .

قوله عليه السلام : « بصنع الله يستدل عليه » في الصّنع آيات كثيرة تدلّ عليه منها ابتداؤه تعالى له الدّالّ عليه، وقد بيّن ذلك بقوله عليه السلام : « ابتداؤه إيّاهم دليل على أن لا ابتداء له » والدّليل لإثبات ذلك ما جاء بعده مباشرة : « لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره » .

---

(١) من (الأين) الزّماني والمكاني علم أن لا زمان له تعالى ولا مكان .
(٢) عيون أخبار الرّضا (ع) ١ / ١٢٣ ـ ١٢٤ .

أي : إن لم يدلّ ابتداؤه تعالى على عدم الابتداء له كان مبتدأً لا محالة، والمبتدأ عاجز عن ابتداء غيره وإلّا لاختار الابتداء لنفسه قبل غيره، والأمر دائر بين أن لا يكون له عزّ وجلّ الابتداء وهو الثّابت المطلوب، وبين أن يكون. والثّاني محال للزوم العجز المنفيّ عنه تعالى فافهم إن شاء الله تعالى .

وهو من قبيل إثبات الشّيء بنفي النّقيض؛ للدّوران بين أمرين لا ثالث لهما. وفي كلمات المعصومين عليهم السلام من نوع هذا الاستدلال الشّيء الكثير: ومنها: الخطبة المبحوثة وفيها« بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له »[١] ، و « بمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له »[٢] ، و « شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها »[٣] . وهو من الحكم العقلي الدّائر بين النّفي والإثبات والسّبر والتّقسيم، على أن لا طريق لنا إلى الإثبات إلّا بنفي الضّدّ وعدم المعرفة بمن لا حدّ له يحدّ به ولا مثل ولا ضدّ له إلّا من طريق نفي الحدود الكائنة في المخلوق عنه تعالى ، وأمّا الاكتناه فلا سبيل للعقول إليه ففي الدعاء المهدوي :

« . . . يا من حارت في كبرياء هيبته دقائق لطائف الأوهام وانحسرت دون إدراك عظمته خطائف أبصار الأنام »[٤] .

والسّجاديّ : « أنت الّذي لا تحدّ فتكون محدوداً ، ولا تمثّل فتكون موجوداً مشهوداً ، ولم تلد فتكون مولوداً »[٥] ، أي : غيرك

---

(١) حرف الباء مع التّاء .
(٢) حرف الباء مع الضّاد .
(٣) حرف الشّين مع الألف .
(٤) المصدر ص ٣٥١ .

محدود مشهود مولود

ثم هنا بحث :

هـل أوّل ما ابتـدأ الله عزّ وجـلّ بخلقه : هو العقل كمـا في نبوي نقله المجلسي[1] ؟ أو الـنّـور[2] ؟ أو المـاء ؟ رواه الـصّـدوق[3] أو الهـواء ؟ أو القلم[4] ؟ أو الحـروف[5] ؟ وهـل يمكن الجمـع بيـن الجميع ؟؟؟ .

وعنـدي أنّ الخلق الأوّل هـو نـور محمّـد وآل محمّـد صلّىٰ الله عليهم وسلّم ؛ ففي البـاقـري : « يـا جـابـر إنّ الله أوّل مـا خلق خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين فكانـوا أشباح نـور بين يدي الله قلت : وما الأشباح ؟ قال : ظلّ النّور أبدان نورانيّة بـلا أرواح . . . »[6]. وخبر جابر قال : قال رسول الله صلّىٰ عليه وآلـه : « أوّل ما خلق الله نـوري ابتدعه من نوره ، واشتقّه من جلال عظمته »[7] .

والأخبـار كثيـرة جـدّاً ويسـاعـده الأعتبـار العقلي أيضـاً ؛ إذ أنّهم عليهم السلام أشرف الممكنات بتمام معنى كلمة الشّرف ويلزمـه عقلاً شـرف التقدم الـوجـودي أيضـاً وإلاّ لمـا كـان الكمـال وتمـام الشـرف متحققين فيهم على أنّهم أحب الخلق إليـه تعـالى ومقتضـاه التقـدم المطلق .

---

(١) البحار ١ / ٩٧ ، عن عوالي اللّئالي‌ء ٤ / ٩٩ .
(٢) كما في المصدرين .
(٣) التوحيد ٦٦ ـ ٦٧ ، ٣١٩ .
(٤) التوحيد ٣٢٥ .
(٥) التوحيد ٤٣٥ .
(٦) البحار ١٥ / ٢٥ .
(٧) لمصدر ص ٢٤ .

٦٩ - بمرأى ومسمع من وجوه بني هاشم

روى عليّ بن عيسى الإربلي صورة ما كان على ظهر العهد بخطّ الإمام علي بن موسى الرّضا عليهما السلام وهي :

« بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله الفعّال لما يشاء لا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور ، وصلاته على نبيّه محمّد خاتم النّبيّين وآله الطيبين الطاهرين .

أقول وأنا علي بن موسى الرّضا بن جعفر إنّ أمير المؤمنين عضده الله بالسّداد ووفقه للرّشاد عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحاماً قطعت وآمن نفوساً فزعت بل أحياها وقد تلفت وأغناها إذ افتقرت مبتغياً رضى ربّ العالمين ، لا يريد جزاءً من غيره **﴿ وسيجزى الله الشاكرين ﴾**[1] ، و **﴿ لا يضيع أجر المحسنين ﴾**[2] ، وإنّه جعل إليّ عهده وإلا مرة الكبرى إن بقيتُ بعده فمن حلّ عقدةً أمر الله بشدّها ، وقصم عروةً أحبّ الله إيثاقها فقد أباح حريمه وأحلّ محرّمه إذ كان بذلك زارياً على الإمام منتهكاً

(١) سورة آل عمران : الآية / ١٤٤ .

(٢) سورة يوسف : الآية / ٩٠ .

[منهتكاً]حرمة الإسلام، بذلك جرى السّالف فصبر منه على الفلتات ولم يعترض بعدها على العزمات خوفاً من شتات الدّين واضطراب حبل المسلمين ، ولقرب أمر الجاهلية، ورصد فرصة تنتهز، وبائقة تبتدر ، وقد جعلتُ الله على نفسي إن استرعاني أمر المسلمين وقلّدني خلافته ، العمل فيهم عامّةً وفي بني العبّاس خاصّةً بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله، وأن لا أسفك دماً حراماً ولا أبيح فرجاً ولا مالاً إلّا ما سفكته حدود الله وأباحته فرائضه وأن أتخيّر الكفاة جهدي وطاقتي وجعلتُ بذلك على نفسي عهداً مؤكداً يسألني الله عنه فإنّه عزّ وجلّ يقول : ﴿ **وأوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسؤولاً** ﴾[1] .

وإن أحدثت أو غيّرت أو بدلتُ كنت للغيرَ مستحقّاً ، وللنّكال متعرّضاً، وأعوذ بالله من سخطه وإليه أرغب في التّوفيق لطاعته والحول بيني وبين معصيته في عافية لي وللمسلمين .

والجامعة والجفر يدلان[2] على ضد ذلك ﴿**وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم**﴾[3]، ﴿ **إن الحكم إلا لله يقضى بالحقّ وهو خير الفاصلين** ﴾[4] لكنّي امتثلت أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه والله يعصمني وإيّاه وأشهدت الله على نفسي بذلك وكفى بالله شهيداً وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاه ، والفضل بن سهل ، وسهل بن الفضل ، ويحيى بن أكثم ، وعبد الله بن طاهر ، وثمامة بن أشرس ، وبشر بن المعتمر ، وحماد بن النعمان ، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين .

---

(١) سورة الاسراء : الآية / ٣٤ .
(٢) تدلان .
(٣) سورة الأحقاف : الآية / ٩ .
(٤) سورة الأنعام : الآية / ٥٧ والآية هكذا . ﴿**يقصّ الحق وهو خير الفاصلين**﴾ .

الشهود على الجانب الأيمن : شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه وهو يسأل الله أن يعرّف أمير المؤمنين وكافة المسلمين ببركة هذا العهد والميثاق وكتب بخطّه في التّاريخ المبيّن فيه عبد الله بن طاهر بن الحسين ، أثبت شهادته فيه بتاريخه ، شهد حمّاد بن النّعمان بمضمونه ظهره وبطنه ، وكتب بيده في تاريخه بشر بن المعتمر يشهد بمثل ذلك .

الشّهود على الجانب الأيسر : رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءة هذه الصحيفة الّتي هي صحيفة الميثاق نرجو أن يجوز بها الصّراط ظهرها وبطنها بحرم سيّدنا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بين الروضة والمنبر على رؤوس الأشهاد بمرأىً ومسمع من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد بعد استيفاء شروط البيعة عليهم بما أوجب أمير المؤمنين الحجّة على جميع المسلمين ، ولتبطل الشّبهة الّتي كانت اعترضت آراء الجاهلين .

﴿ وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ﴾(١) . وكتب الفضل بن سهل بأمر أمير المؤمنين بالتاريخ فيه »(٢) .

ليس لنا من نقل الصّحيفة بالخط الشّريف شاهد سوى الكلمة الرّضويّة وهي قوله عليه السلام : « بمرأى ومسمع من وجوه بني هاشم » وإنّما ذكرناها عن آخرها لأجل بيان موضع الكلمة وارتباطها بما في الصّحيفة على تقدير صدورها منه عليه السلام .

---

(١) سورة آل عمران : الآية / ١٧٩ .

(٢) كشف الغمّة ٢٨٠ ، والبحار ٤٩ / ١٥٢ ـ ١٥٣ .

قـال ابن منظور: وفي حـديث حنظلة: «تـذكّرنـا بالجنّـة والنّار كـأنّـا رأي عين» تقول: جعلت الشّيء رأي عينـك وبمـرأى منـك. أي حـــذاءك ومقـابلك بحيث تراه وهـو منصوب على المصـدر أي: كأنّـا نـراهمـا رأي العين[١]. وقال أيضــاً: دور القــوم منّي رئــاء أي: منتهى البـصــر حيـث نــراهم. وهم منّي مــرأى ومسمــع، وإن شئت نصبت ـ أي: قلت: مرأياً ومسمعاً ـ وهو من الظّروف المخصوصة الّتي أجريت مجـرى غير المخصوصة عند سيبويه، قال:

وهو مثل «منـاط الثريـا ومدرج السّيـول» ومعناه هـو منّي بحيث أراه وأسمعه[٢].

وقـولهم: «هـو منّي مـرأىً ومسمـع» مـرفـوع أو منصـوب على المصدريّة أي: كأنّه آراه مـرأي عينٍ. وقد تـدخله الباء فيقـال: «هو منّي بمرأى ومسمع» بالجرّ[٣].

أقول: ومنه كلام فاطمة عـليها السـلام من خطبتها الشريفة:

«وأنتم بمـــرىء منّي ومسمـــع ومنتـــدى»[٤]. ولا ريب فـي أنّ الكلمة جارية على الألسن، تقال: عنـد وضوح الشّيء واشتهـاره كما في قولهم: «على رؤوس الأشهاد» الجاري على اللسان.

وممّـا يقال في هـذا الصّدد: «جعلته رأي عينك» أي: حـذاءك

---

(١) لسان العرب ١٤ / ٢٩٨ في (رأى).

(٢) المصدر ص ٢٩٩.

(٣) منتهى الأرب في لغة العرب في (رأى).

(٤) الاحتجاج ٢ / ١٤٠.

ومقابلك بحيث تراه[1] . وقوله تعالى : ﴿ **واصنع الفلك بأعيننا** ﴾[2] . ويحتمل ذكر ﴿ **بأعيننا** ﴾ كناية عن الحفظ ، وصنع الفلك المذكور في الآية كأن بمرأى ومسمع .

ومنه قول الإمام الحسين عليه السلام عندما ذبح طفله عليّ الأصغر في حجره : « هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله »[3] .أي : بمرأى ومسمع منه .

والمراد من الكلمة الرّضويّة أنّ ولاية العهد وشهودها كانت قد شهدتها الأعين وسمعتها الآذان ولا خفاء فيها .

---

(١) منتهى الأرب في (رأى) .

(٢) سورة هود : الآية / ٣٧ .

(٣) البحار ٤٥ / ٤٦
والمعنى أنّ ما نزل بي من المصائب تعلمها وتراها ولا يخفى عليك منها شيءٌ . ومنه القول العلويّ : « فإنّكم بعين من حرّم » النّهج ٩ / ١٤٦ ، الخطبة ١٥١ ، أي : بمرأى منه تعالى .

٧٠ ـ بمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له

من خطبة الإمام الرّضا عليه السلام التي رواها الصّدوق وقد استخرجنا كلمات حكميّة أخرى منها : « من غيّاه فقد غاياه »[١] . و « بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له »[٢] .

قال عليه السلام مباشرة بالأخيرة :

« وبمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له »[٣] .

وهذه الكلمة موجودة في بعض الخطب العلويّة[٤] قال أبن أبي الحديد في شرحها : ثمّ قال ـ عليه السلام ـ : « وبمضادّته بين الأمر[٥] ، عرف أن لا ضد له » ، وذلك لأنه تعالى لمّا دلّنا بالعقل على

(١) حرف الميم مع النّون .
(٢) حرف الباء مع التّاء .
(٣) التّوحيد ٣٧ .
(٤) النّهج ١٣ / ٧٣ .
(٥) هنا الأمور ، وفي الرّضويّة الأشياء ، والمراد واحد .

أنّ الأمور تتضادّ على موضوع تقوم به وتحلّه كان قد دلّنا على أنّه تعالى لا ضدّ له ؛ لأنّه يستحيل أن يكون قائماً بموضوع يحلّه كما تقوم المتضادات بموضوعها[1] .

قال الرّضا عليه السلام بعدها متصلاً :

« وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له »[2]

أيضاً هذه الكلمة كائنة في تلو المتقدّمة في الموضعين ، وقال المعتزلي : ثم قال ـ عليه السلام ـ : « وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له »[3] ؛ وذلك لأنه تعالى قرن بين العرض والجوهر ، بمعنى استحالة انفكاك أحدهما عن الآخر ، وقرن بين كثير من الأعراض ، نحو ما يقوله أصحابنا في حياتي القلب والكبد ، ونحو الأضافات التي يذكرها الحكماء ، كالبنوّة والأبوّة ، والفوقيّة والتّحتيّة ، ونحو كثير من العلل والمعلولات ، والأسباب والمسبّبات فيما ركبه في العقول من وجوب هذه المقارنة واستحالة انفكاك أحد الأمرين عن الآخر ، علمنا أنّه لا قرين له سبحانه ؛ لأنّه لو قارن شيئاً على حسب هذه المقارنة لاستحال انفكاكه عنه ، فكان محتاجاً في تحقّق ذاته تعالى إليه ، وكلّ محتاجٍ ممكنٌ فواجب الوجود ممكنٌ ! هذا محال[4]

ولعلّ المثل السّائر : « تعرف الأشياء بأضدادها »[5] . مصدره

---

(١) شرح النّهج ١٣ / ٧٣ .

(٢) التوحيد ٣٧ .

(٣) النّهج ١٣ / ٧٣ .

(٤) شرح النّهج ١٣ / ٧٣ ـ ٧٤ .

(٥) أمثال وحكم ١ / ٥٤٨ .

هذه الكلمة الحكميّة العلويّة أو الرّضويّة أو على الأقل مطبّق عليها .

إن قيل: على ذلك يلزم أن تكون الأشياء مضادة له تعالى وليس لله عزّ وجلّ ضدّ .

والجواب : أنّ المراد هنا النّفي للّضدّ لا للإثبات فتدبّر .

٧١ ـ بيدك صِناعة لا تبيعها بملء الدّنيا ذهباً

روى الكشي عن خلف بن حمّاد قال: حدّثني أبو سعيد الآدمي قال: حدّثني أحمد بن عمر الحلبي قال: دخلت على الرّضا عليه السلام بمنى فقلت له: جعلت فداك كنّا أهل بيت غبطة ـ عطيّة ـ وسرور ونعمة وإنّ الله قد أذهب بذلك كلّه حتى احتجنا إلى من كان يحتاج إلينا، فقال لي: يا أحمد ما أحسن حالك يا أحمد بن عمر! فقلت له: جعلت فداك، حالي ما أخبرتك، فقال لي: يا أحمد أيسرّك أنّك على بعض ما عليه هؤلاء الجبّارون ولك الدّنيا مملوءة ذهباً؟ فقلت له: لا والله يا ابن رسول الله، فضحك ثمّ قال: ترجع من هيهنا إلى خلف، فمن أحسن حالا منك وبيدك صِناعة لا تبيعها بملء الدّنيا ذهباً . . . »[1].

« الصِناعة » بالكسر: حرفة الصّانع وعمله الصَّنْعة[2] من الصّنع: وهو عمل الشّيء صُنْعاً. وامرأة صَناع ورجل صَنَعٌ، إذا كانا حاذقين فيما يضنعانه قال:

(١) اختيار معرفة الرّجال ٥٩٧ / الرقم: ١١١٦. معجم رجال الحديث ٢ / ١٧٨.

(٢) مجمع البحرين في (صنع).

خرقاء بـالخير لا تهتـدي لوجهتـه وهي صَناع الأذى في الأهل والجار[1]

والمـراد بالصِّنـاعـة ولايـة أهـل البيت عليهم السـلام والانتهـاج بنهجهم وقـد كنّى عنها بهـا لأنّها كحـرفة لا تفـارق صاحبهـا ولا يعدل بهـا إلى غيرهـا مهما كـان نوعه، فلذا قـال عليـه السـلام : « لا تبيعهـا بمـلء الدّنيا ذهباً » .

ونـظيرة الكلمـة آية : ﴿ **فلن يقبـل من أحدهم مـلء الأرض ذهباً . . .** ﴾[2] ، ولفظة « الـدنيا » أشمـل من ﴿ **الأرض** ﴾ إلاّ أنّهما ترميان مرمى واحداً من التّمثيل بالكثرة غير المستطاعة .

ولايــة أهـل البيت عليهم الســلام أفضـل من الصّــلاة والصّـوم والحـجّ وبقيّـة أركـان الإسلام، كمـا في صحيـح زرارة عن أبي جعفـر عليـه السـلام قـال : « بني الإسـلام على خمسـة أشياء: على الصـلاة والـزّكاة والحـجّ والصّوم والـولايـة ، قـال زرارة : فقلت: وأيّ شيءٍ من ذلـك أفضل ؟ فقـال : الولايـة أفضل ؛ لأنهـا مفتاحهنّ ، والـوالي هـو الدّليل عليهنّ . . . »[3]

وهي شرط صحة العمل وقبوله ففي باقـري : « ولو أنّ عبـدا عبد الله بين الـرّكن والمقام حتّى تنقـطع أوصـالـه وهـو لا يـدين الله بحبّنـا وولايتنا أهل البيت ما قبل الله منه »[4] . وفيه عـدّة روايات نـاصّة على ذلك .

---

(١) معجم مقاييس اللّغة ٣ / ٣١٣ في (صنع) .
(٢) سورة آل عمران : الآية / ٩١ .
(٣) الوسائل ١ / ٧ ـ ٨ باب ١ من مقدّمات العبادات الحديث ٢ .
(٤) جامع احاديث الشّيعة ١ / ٤٣٤ ، باب ١٩ من المقدمات ح ٢٥ .

أمّا أحمد بن عمر المقصود به الكلام ، فقد ذكرنا شيئاً من ترجمته عند الكلمة : « مَنْ حسن ظنّه بالله كان الله عند ظنه »[1] . وإليك شيئاً آخر منها قال النّجاشي : أحمد بن عمر بن أبي شعبة الحلبي ثقة روى عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام وعن أبيه عليه السلام من قبل وهو ابن عمّ عبيد الله وعبد الأعلى وعمران ومحمّد الحلبيّين ، وروى أبوهم عن أبي عبد الله وكانوا ثقات . لأحمد كتاب يرويه عنه جماعة[2] .

وكيف كان فالحديث : من أدلة الثبات على الولاية .

---

(١) حرف الميم مع النّون من الحكم .

(٢) معجم رجال الحديث ٢ / ١٧٧ .



حرف التّاء

٧٢ ـ تضيء كضوء السّراج السّليط

قـال ابن شهـر آشـوب : وفي كتـاب الشّعـر كـان عليـه السّـلام يتمثّل :

تـضيء كـضـوء السـراج الـسّلـ ـيط لم يجعـل الله فيه نحـاساً[1]

قـال أبو محمّـد في حديث علي عليـه السلام : « إنّ ابن عبّاس رحمـه الله قال : مـا رأيت رئيساً مِحْـرباً يُـزنّ بـه لـرأيتـه يـوم صفّين ، وعلى رأسـه عمامـة بيضاء ، وكـأنّ عينيه سـراجا سليطٍ ، وهـو يُحمّش

(١) المناقب ٤ / ٣٣٨ يريد من كتاب الشّعـر: « الشّعر والشعـراء » لابن قتيبة [illegible] في ص ١٨١ .

أصحابه إلى أن انتهى إليّ ، وأنا في كثف ، فقال : معشر المسلمين استشعروا الخشية ، وعنّوا الأصوات ، وتجلببوا السّكينة ، وأكملوا اللّؤم ، وأخفّوا الجنن ، وأقلقوا السّيوف في الغمد قبل السّلّة ، والحظوا الشّزر ، واطعنوا الشزر ، أو النّتر - أو اليسر كلاّ قد سمعت - ونافحوا بالظّبا ، وصِلوا السّيوف بالخُطا ، والرّماح بالنّبل ، وامشوا إلى الموت مشيةً سُجُحاً أو سَجْحاً ، وعليكم الرّواق المطنّب ، فاضربوا ثبجه ؛ فإنّ الشّيطان راكدٌ في كسره ، نافجٌ حِضْنيه ، مفترشٌ ذراعيه ، قد قَدَّمَ للوَثْبَة يَداً ، وأخرّ للنّكُوص رِجْلاً » .

والسّليط : الزّيت وهو عند قوم دهن السّمسم . قال الجَعْدي(١) وذكر امرأة :

[من المتقارب]

تضيء كضوء سراج السّلـ ـيط لم يجعل الله فيه نحاساً

أي : دخاناً . ومنه قول الله تعالى : ﴿ **يرسل عليكما شواظٌ من نارٍ ونحاس** ﴾(٢) .

وقال ابن الأثير : في حديث ابن عبّاس : « رأيت عليّاً وكأنّ عينيه سراجا سليطٍ » وفي رواية « كضوء سراج السّليط » السّليط : دهن الزّيت . وهو عند أهل اليمن دهن السّمسم(٣) .

---

(١) في هامش غريب الحديث لابن قتيبة ٢ / ١٢٦ ، الجَعْدي النّابغة ديوانه ص ٨١ .

(٢) سورة الرّحمن : الآية / ٣٥ . غريب الحديث ٢ / ١٢٥ - ١٢٦ .

(٣) النّهاية ٢ / ٣٨٩ ، في « سلط » .

أقول :

لا ندري من الّـذي تمثّـل الـرّضـا عليــه السلام من أجله، وعلى تقدير صدور التّمثّل أنّ المتمثّل له جميـل يضيء كالسّـراج الخالي عن الـدّخان وهـو من المدح البليغ، إذ الضّياء هـو الأصل وكـذا السّـراج ، والنّـور فرعـه قال تعـالى : ﴿ **هـو الّـذى جعـل الشّمس ضيـاءً والقمـر نوراً** ﴾[1] ، ﴿ **وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشّمس سراجـاً** ﴾[2] . ونور القمر من الشّمس .

(١) سورة يونس : الآية / ٥ .

(٢) سورة نوح : الآية / ١٦ .

ولا يخفى أنّ كلمـة « السّراج » في المنـاقب مع الـلاّم ، وفي غـريب الحـديث والنّهـايـة مـع الإضـافـة إلى كلمـة « السّليط » وهي الصّحيحـة ؛ لأنّ السّـراج وضوءه لا يكون سليطاً أي زيتاً بل هو منه وعنه . فتدبّر ذلك .

٧٣ ـ التّودّد إلى الناس نصف العقل

روى الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني[١] من كلمات الرّضا عليه السلام الحكميّة :

«التودّد إلى النّاس نصف العقل »[٢]

وقد عدّ التّودّد إلى النّاس والتّحبّب إليهم في بعض أحاديث أهل البيت عليهم السلام من رأس العقل .

ففي نبويّ : « رأس العقل بعد الدّين التّودّد إلى النّاس ، واصطناع الخير إلى كلّ برٍّ وفاجر »[٣]

وآخر : « رأس العقل بعد الإيمان بالله التّحبّب إلى النّاس »[٤] ، وعن الحسن بن علي عليهما السلام قال : « لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مروءة لمن لا همّة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشرة النّاس بالجميل ، وبالعقل تُدرك الداران

(١) من علماء القرن الرابع .
(٢) تحف العقول ٤٤٣ ، البحار ٧٨ / ٣٣٥
(٣) البحار ٧٤ / ٤٠١ .
(٤) البحار ١ / ١٣١ .

جميعاً ، ومَنْ حُرِمَ مِن العقل حُرِمَهم جميعاً »[1] .

للعاقل مجال واسع للتّفكّر النّافع لدينه ودنياه وعقباه .

قوله صلّى الله عليه وآله : « وبالعقل تدرك الدّاران جميعاً » أي الدّنيا والآخرة تدركان بالسّير على ضوء العقل قال الشاعر :

ما أحسن الدّين والدّنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرّجل[2]

ولنعد إلى التّودّد إلى النّاس والتّحبّب إليهم ومعاشرتهم بالجميل كما في الحديث الأخير كيف صار نصف العقل .

وهذا على حدّ تعبير المثل السّائر : « لا أدري نصف العلم »[3] وبلفظ أجلى النّبويّ : « من تزوّج أحرز نصف دينه »[4] . وقال الكليني : وفي حديث آخر: « فليتّق الله في النّصف الآخر ، أو الباقي »[5] . بمعنى أنّ التّزويج قسم وبقيّة الوجبات قسم ثان من الدّين إذا قسّم إلى اثنين .

والكلام مصوغ للتأكيد وبيان الاهتمام بذلك ،وكذلك التّودّد إلى النّاس لأهميّته جعل كأنّه نصف العقل وأنّ المتودّد إليهم قد أحرز نصفاً منه بتودّده والنّصف الآخر إنّما هو بمتابعته له في سائر الأمور الدّينيّة والدّنيويّة الأخرى، وليس هنا تقسيم العقل إلى نصفين متساويين أدرك النّصف منهما بالتّودد إلى النّاس والآخر بغيره من الأمور، بل كما عرفت أنّ الكلام كناية عن الأهتمام البالغ بشأن

(١) البحار ٧٨ / ١١١

(٢) جامع الشّواهد ٣ / ١ ، لأبي دلامة واسمه زيد بن الجون

(٣) أمثال وحكم ٣ / ١٣٤٠

(٤) الوسائل ١٤ / ٥

(٥) المصدر .

المعاشرة الجميلة مع النّاس[1] .

ويشهد له الحديث الصادقيّ : « تواصلوا وتبارّوا وتراحموا ، وكونوا إخوة بَرَرَة كما أمركم الله عزّ وجلّ »[2] . إذا كانوا مؤمنين أو أعمّ ، لآية : ﴿ **وقولوا للنّاس حسناً** ﴾[3] .

---

(١) ويحتمل قوله عليه السلام : « نصف العقل » محرّكة النّون والصّاد من الإنصاف أي نُصفة العقل وإنصافه التودّد إلى الناس وتقابله الجفوة لهم ، فتدبر جيداً .

(٢) ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ : سورة الحجرات : الآية / ١٠ ، البحار ٧٤ / ٤٠١ .

(٣) سورة البقرة : الآية / ٨٣ .

حرف الجيم

٧٤ - جعل نفس عليّ عليه السلام كنفسه صلّى الله عليه وآله

روى الشيخ الصّدوق كلام الرّضا عليه السلام المشتمل على الأستدلال بالآيات القرآنيّة حول العترة الطّاهرة وفضلها على سائر النّاس منها الإثنتا عشر آية ، وقد ذكرنا الأولى والثانية عند الحكمة المستخرجة : « فضلٌ بعد طهارة تنتظر »[١] . قال عليه السلام :

« وأمّا الثّالثة فحين ميّز الله الطّاهرين من خلقه فأمر نبيّه بالمباهلة بهم في آية الإبتهال فقال عزّ وجلّ : يا محمّد ﴿ **فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم**[٢] **فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله**

---

(١) حرف الفاء مع الضاد .

(٢) كلمة : ﴿ من العلم ﴾ من النسخة ساقطة .

على الكاذبين ﴾[1] . فبرز [أبرز[2]] النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عليّاً والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم ، وقرن أنفسهم بنفسه .

فهل تدرون ما معنى قوله : ﴿ وأنفسنا وأنفسكم ﴾ ؟ قالت العلماء: عنى به نفسه، فقال أبو الحسن عليه السلام لقد غلطتم، إنّما عنى بها علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ؛ وممّا يدلّ على ذلك قول النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ حين قال : « لينتهنّ بنو وليعة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي » يعني عليّ بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ وعنى بالأبناء الحسن والحسين ـ عليهما السّلام ـ وعنى بالنّساء فاطمة ـ عليها السّلام ـ فهذه خصوصيّةٌ لا يتقدّمهم فيها أحدٌ ، وفضلٌ لا يلحقهم فيه بشرٌ ، وشرفٌ لا يسبقهم خلقٌ، إذ جعل نفس عليّ ـ عليّه السّلام ـ كنفسه ـ صلّى الله عليه وآله ـ فهذه الثالثة»[3] .

الحديث النّبويّ المأثور في بني وليعة ذكرناه في كتابنا « الأمثال النّبويّة » عند كلمة: «لتنتهنّ يا بني وليعة أو لأبعثنّ [عليكم] رجلاً كنفسي »[4] . وتعرضّنا فيه إلى حديث الرّضا عليه السّلام المبحوث وحديث الهادي عليه السّلام .

وظاهر تنزيل شيءٍ بشيءٍ هو تنزيل في جميع الآثار الكائنة في المنزّل به وأنّها ثابتة للمنزّل خصوصاً المعقّب بالاستثناء كما في حديث المنزلة النّبويّ المأثور في عليّ عليه السّلام : « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي »[5] . فله الفضائل

(١) سورة آل عمران : الآية / ٦١ .
(٢) كما في تحف العقول ٤٢٩ .
(٣) عيون أخبار الرضا ١ / ١٨٢ .
(٤) ج ٢ / ١٢٦ ، رقم المثل ٤٤٠ ،حرف اللام مع التاء .
(٥) إحقاق الحق ١٦ / ١٨ ـ ٢١ .

النّبويّة سوى النّبوّة بنصّ الحديث وكذا إذا نزّله منزلة النّفس النّبويّة كما في الآية المذكورة، ولولا أنّه قد علم بالّدليل النّقليّ، والعيان الّذي هو أدلّ من البيان أنّ عليّاً وصيٌّ وخليفةٌ لا نبيٌّ لقلنا بعموم التّنزيل فيها أيضاً .

وفي حديث بني وليعة حيث قال صلّىٰ الله عليه وآله : « كنفسي » وقد سأل المأمون الرّضا عليه السلام بما يخصّ الآية ومن أجله نذكره :

روى المجلسي صورة السّؤال والجواب بما يلي :

«قال المأمون يوماً للرّضا عليه السّلام : أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين يدلّ عليها القرآن ، قال : فقال له الرّضا عليه السّلام : فضيلةٌ في المباهلة، قال الله جلّ جلاله: ﴿فمن حاجّك فيه﴾ الآية فدعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السّلام فكانا ابنيه ، ودعا فاطمة عليها السّلام فكانت في هذا الموضع نساءة ، ودعا أمير المؤمنين عليه السّلام فكان نفسه بحكم الله عزّ وجلّ، فثبت أنّه ليس أحدٌ من خلق الله تعالى أجلّ من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وأفضل ، فواجب ، أن لا يكون أحدٌ أفضل من نفس رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بحكم الله عزّ وجلّ .

قال : فقال المأمون : أليس قد ذكر الله تعالى الأبناء بلفظ الجمع ، وإنّما دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ابنيه خاصّة؟ وذكر النّساء بلفظ الجمع ، وإنّما دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ابنته وحدها ؟ فألّا جاز أن يذكر الدّعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره ؟ فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السّلام ما ذكرتَ من الفضل .

قال : فقال الرّضا عليه السّلام : ليس يصحّ ما ذكرت يا أمير

المؤمنين ؛ وذلك أنّ الدّاعي إنّما يكون داعياً لغيره ، كما أنّ الآمر آمر لغيره ، ولا يصحّ أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة، وإذا لم يدع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله رجلاً في المباهلة إلاّ أمير المؤمنين عليه السّلام فقد ثبت أنّه نفسه الّتي عناها الله سبحانه في كتابه ، وجعل [له] حكمه ذلك في تنزيله .

قال : فقال المأمون : إذا ورد الجواب سقط السؤال[1] .

وقد روى عن المأمون نفسه أنّه استدلّ لجماعة جمعهم للمناظرة في أفضليّة أمير المؤمنين عليه السّلام وخلافته بلا فصل بآية أنفسنا قيل : قال : « وهو نفس رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله في يوم المباهلة »[2] .

قال القاضي التّستري الشّهيد : السّادسة آية المباهلة أجمع المفسّرون على أنّ أبناءنا إشارة إلى الحسن والحسين عليهما السّلام ونساءنا إشارة إلى فاطمة عليها السّلام ، وأنفسنا إشارة إلى عليّ عليه السّلام فجعله الله تعالى نفس محمد صلّىٰ الله عليه وآله والمراد المساواة : ومساوي الأكمل والأولى بالتّصرف أكمل وأولى بالتّصرف ، وهذه الآية من أدلّ دليل علىٰ علوّ رتبة مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام ،لأنّه تعالى حكم بالمساواة لنفس رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ،وأنّه تعالى عيّنه في استعانة النّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله في الدّعاء، وأيّ فضيلة أعظم من أن يأمر الله تعالى نبيّه أن يستعين به على الدّعاء إليه والتّوسّل به ولمن حصلت هذه المرتبة[3] ؟ .

---

(١) البحار ٤٩ / ١٨٨ ـ ١٨٩ .
(٢) البحار ٤٩ / ٢١٠ .
(٣) إحقاق الحقّ ٣ / ٤٦ و ٦٢ .

وقال البيضاوي : لا شكّ أنّ عليّا ليس نفس محمّد بعينه، بل المراد به أنّ عليّاً بمنزلة النّبيّ، وأنّ علياً هو أقرب النّاس إلى رسول الله فضلاً وإذا كان كذلك كان أفضل الخلق بعده[1] .

وإذا كان كذلك كان هو المتعيّن لمنصب الخلافة إذ الأفضل الأكمل الجدير بها عقلاً ونقلاً .

---

(١) إحقاق الحقّ ١٤/١٤٧ . نقلاً عن كتابه (طوالع الأنوار) مخطوط .
ثم المباهلة اليوم الرّابع والعشرون من ذي الحجّة وقيل الخامس والعشرون والأوّل أشهر .

وصفة المباهلة : أن تشبك أصابعك في أصابع من تباهله وتقول : « اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع ورب العرش العظيم إن كان فلان جحد الحق وكفر به فأنزل عليه حسباناً من السماء وعذاباً اليماً » كذا في الحديث .
والوقت بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس . كذا في مجمع البحرين للشيخ الطريحي في (بهل) ، فراجع وفي نبويّ : « لولا عنوا لمسخوا خنازير ، أو لأضرم الوادي ناراً » إحقاق الحق ٣ / ٥٧ .
وفي المقام روايات لا يسع ذكرها .

٧٥ ـ جعلهم في حيّز وجعل النّاس في حيّز دون ذلك

روى الشّيخ الصّدوق طاب ثراه حديث استدلال الرّضا عليه السّلام بالأثني عشر آية على فضل العترة الطّاهرة على سائر النّاس، ذكرنا عدداً منها متفرّقة عند كلمات انتزعناها منها كلمة: « فضل بعد طهارة تنتظر »[١] و: « جعل نفس عليّ عليه السّلام كنفسه صلّىٰ الله عليه وآله »[٢] ، و: « كلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها »[٣] .

قال عليه السّلام :

« وأمّا الثّامنة فقول الله عزّ وجلّ : ﴿ **واعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فأنّ لله خُمسه وللرّسول ولذى القربى** ﴾[٤] . فقرن سهم ذي القربى بسهمه وبسهم رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ فهذا فضل أيضاً بين الآل والأمّة ؛ لأنّ الله تعالى جعلهم في حيّز وجعل النّاس

---

(١) حرف الفاء مع الضّاد .

(٢) حرف الجيم مع العين .

(٣) حرف الكاف مع اللام .

(٤) سورة الأنفال : الآية / ٤١ .

في حيّز دون ذلك ، ورضي لهم ما رضي لنفسه واصطفاهم فيه ، فبدأ بنفسه، ثمّ ثنى برسوله ثمّ ، بذي القربى، فكلّ ما كان من الفيء والغنيمة وغير ذلك ممّا رضيه عزّ وجلّ لنفسه فرضيه لهم ، فقال وقوله الحقّ : ﴿ **واعلموا أنّما غنمتم من شيءٍ فأنّ لله خُمسه وللرّسول ولذى القربى** ﴾ . فهذا تأكيد مؤكّد وأثر قائم لهم إلى يوم القيامة في كتاب الله النّاطق الّذي : ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[1] .

وأما قوله : ﴿ **واليتامى والمساكين** ﴾[2] ، فإنّ اليتيم إذا انقطع يُتمه خرج من الغنائم ولم يكن له فيها نصيب ، وكذلك المساكين [المسكين] إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم ولا يحلّ له أخذه، وسهم ذي القربى قائم إلى يوم القيامة فيهم الغنيّ والفقير منهم ؛ لأنّه لا أحد أغنى من الله عزّ وجلّ، ولا من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فجعل لنفسه منها سهماً ولرسوله ـ صلّى الله عليه وآله ـ سهماً ، فما رضيه لنفسه ولرسوله صلّىٰ الله عليه وآله رضيه لهم، وكذلك الفيء ما رضيه منه لنفسه ولنبيّه صلّىٰ الله عليه وآله رضيه لذي القربى كما أجراهم في الغنيمة، فبدأ بنفسه جلّ جلاله، ثمّ برسوله، ثمّ بهم وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله صلّى الله عليه وآله وكذلك في الطّاعة قال : ﴿ **يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولى الأمر منكم** ﴾[3] ، فبدأ بنفسه، ثمّ برسوله ، ثمّ بأهل بيته . كذلك آية الولاية : ﴿ **إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يقيمون الصلوٰة ويؤتون الزّكوٰة وهم راكعون** ﴾[4] ، فجعل

(١) سورة فصّلت : الآية / ٤٢ .

(٢) سورة الانفال : الآية / ٤١ .

(٣) سورة النساء : الآية / ٥٩ .

(٤) سورة المائدة : الآية / ٥٥ .

طاعتهم مع طاعة الرّسول مقرونة بطاعته كذلك ولايتهم »[1] .

مقارنة العترة الطّاهرة مع الله والرّسول في فرض الخمس، والطّاعة، والولاية شرف لا يُسامى، فهم في منزلة عالية وحيّز رفيع والنّاس كلّهم في حيّز دون ذلك؛ وكيف لا وهم المصفّون المصطفون اختارهم الله تعالى لنفسه .

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٦

٧٦ ـ جنبّتها « لولا » التكملة

من خطبة الإمام الرّضا عليه السّلام الّتي قد رواها الصّدوق تعرّضنا إلى طائفة من كلماتها الحكميّة وانتهينا إلى كلمة: « إنّما تحدّ الأدوات أنفسها ، وتشير الآلة إلى نظائرها »[١]، وإليك منها إلى الكلمة المبحوثة :

« وفي الأشياء يوجد فعالها مَنَعَتْها (منذ) القِدمة ، وحَمَتْها (قد) الأزليّةَ ، وجَنَبَتها (لولا) التّكملة ، افترقت فدلّت على مفرّقها ، وتبايَنّت فأعربت عن مباينها؛ لما تجلّى صانعها للعقول ، وبها احتجب عن الرّؤية ، وإليها تحاكم الأوهام ، وفيها أثبت غيره، ومنها أنيط الدّليل ، وبها عرّفها الإقرار »[٢] .

قوله عليه السّلام : « إنّما تحدّ الأدوات أنفسها »

قال المعلّق : أي إنّما يتقيّد في الفعل والتأثير بالأدوات أمثالها في المحدوديّة والجسمانيّة، ولا يبعد أن يكون « تحدّ » على صيغة

---

(١) حرف الهمزة مع النّون .

(٢) التّوحيد ٣٩ ـ ٤٠ .

المجهول فلا يفسّر أنفسها بأمثالها ، وإشارة الآلة كناية عن التّناسب أي تناسب الآلة نظائرها وأمثالها في الماديّة والجسميّة والمحدوديّة[1] .

قوله عليه السّلام : « وفي الأشياء يوجد فعالها » .

قال المعلّق : أي في الأشياء الممكنة توجد تأثيرات الآلات والأدوات ، وأمّا الحقّ تعالى فمنزّه عن ذلك كلّه[2] .

قوله عليه السّلام : « منعتها (منذُ) القِدمةَ ، وحمتها (قد) الأزليّةَ ، وجنّبتها (لولا) التّكملةَ » .

قال المعلّق : « منذ » و « قد » و «لولا» فواعل للأفعال الثّلاثة ـ أي منعتها وحمتها وجنّبتها ـ والضّمائر مفاعيل أُولى لها ، والقِدمة ، والأزليّة ، والتّكملة ، مفاعيل ثواني .

والمعنى : أنّ اتّصاف الأشياء بمعاني ـ كلمة ـ « منذ » ، و « قد » ، و « لولا » ، وتقيدها بها يمنعها عن الأتّصاف بالقِدم والأزليّة والكمال في ذاتها ؛ فإنّ القديم الكامل في ذاته لا يتقيّد بها . والأظهر أنّ الضمائر المؤنّثة من قوله : « منعتها » إلى قوله : « عرفها الإقرار » ترجع إلى الأشياء[3] .

أقول : إنّ هذه الكلمات موجودة في بعض خطب أمير المؤمنين عليه السّلام[4] ، فالمناسب بيان الكلمة العلويّة المتّحدة مع الرّضويّة .

---

(١) هامش التوحيد وتعليقته ٣٨ .

(٢) المصدر .

أقول : و « تحدّ » ظاهره على صيغة المعلوم ، والفاعل الأدوات .

(٣) المصدر السابق .

(٤) النهج ١٣ / ٧٦ ، الخطبة ٢٣٢ .

قال المعتزلي : قد اختلف الرّواة في هذا الموضع من وجهين :

أحدهما: قول من نصب « القِدمة » و « الأزليّة » ، و « التّكملة » فيكون نصبها عنده على أنّها مفعول ثانٍ ، والمفعول الأوّل الضّمائر المتّصلة بالأفعال ، وتكون « منذ » و « قد » و « لولا » في موضع رفع ، فإنّها فاعلة ، وتقدير الكلام :

إنّ إطلاق لفظة « منذ » على الآلات والأدوات يمنعها عن كونها قديمة ؛ لأنّ لفظة « منذ » وضعت لابتداء الزمان كلفظة « من » لابتداء المكان ، والقديم لا إبتداء له. وكذلك إطلاق لفظة « قد » على الآلات ، والأدوات تحميها وتمنعها من كونها أزليّة ؛ لأنّ « قد » لتقريب الماضي من الحال ، تقول : قد قام زيدٌ ، فقد دلّ على أنّ قيامه قريب في الحال الّتي أخبرت فيها بقيامه . والأزليّ لا يصحّ ذلك فيه . وكذلك إطلاق لفظة « لولا » على الأدوات والآلات يجنّبها التّكملة ، ويمنعها من التّمام المطلق ؛ لأنّ لفظة « لولا » وضعت لامتناع الشيء لوجود غيره ، كقولك : لولا زيد لقام عمروٌ ، فامتناع قيام عمرو إنّما هو لوجود زيد ، وأنت تقول في الأدوات والآلات : « وكل جسمٍ ما أحسنه لولا أنّه فانٍ ! وما أتمّه لولا كذا! »، فيكون المقصد والمنحىٰ بهذا الكلام على هذه الرّواية بيان أنّ الأدوات والآلات محدثة ناقصة ، والمراد بالآلات والأدوات أربابها .

الوجه الثاني :

قول من رفع « القِدمة » و « الأزليّة » و « التَّكملة » فيكون كلّ واحد منها عنده فاعلاً ، وتكون الضّمائر المتّصلة بالأفعال مفعولاً أوّلاً ، و « منذ » و « قد » و « لولا » مفعولاً ثانياً ، ويكون المعنى : أنّ قِدم الباري وأزليّته ـ عزّ وجلّ ـ منعت الأدوات والآلات من إطلاق

لفظة « منذ » و « قد » و « لولا » عليه سبحانه لأنّه تعالى قديمٌ كاملٌ ، ولفظتا « منذ » و « قد » لا تطلقان إلاّ على محدث لأنّ إحداهما لابتداء الزّمان، والأخرى لتقريب الماضي من الحال ، ولفظة « لولا » لا تطلق إلاّ على ناقص ، فيكون المقصد والمنحى بهذا الكلام على هذه الرّواية بيان قدم الباري تعالى وكماله، وأنّه لا يصحّ أن يطلق عليه ألفاظ تدلّ على الحدوث والنّقص(١) .

الوجهان المذكوران وان كانا محتملين إلاّ أنّ الظّاهر من ضمير منعتها ، وحمتها ، وجنّبتها. عائد إلى الأشياء المذكورة قبلها، وكلمة « منذ » و « قد » و « لولا » في موضع رفع فاعليّ. والقِدمة، والأزليّة، والتّكملة مفاعيل كما استظهر ذلك كلّه المعلّق الآنف الذّكر. وللكلام تتمّة مرهونة بمحلّ يناسبها .

---

(١) شرح النّهج ١٣ / ٧٦ - ٧٧ .

حرف الحاء

٧٧ ـ الحارّ لمن اصطلىٰ به

كلمـة تمثيليّـة جـاءت في روايـة الشّيـخ الكليني عـن عبـد العزيز بن مسلم عن الرّضا عليه السّلام في أوصاف الإمام :

« الإمـام النّار على اليفاع، الحارّ لمن اصـطلىٰ به ، والـدّليل في المهالك ، من فارقه فهالك »[١] .

« الإمام النّار على اليفاع » تكلّمنا عنه[٢] .

قـوله عليـه السّلام : « الحـارّ لمن اصـطلىٰ بـه » ، قـال الشّيـخ الطّريحي : أي أراد الانتفاع[٣] .

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ .

(٢) حرف الهمزة مع الميم .

(٣) مجمع البحرين في (يفع) .

من طبع النّار الحرارة، ولا تنفكّ عنها عادة **إلّا** ما أراد الله جلّ جلاله كما في نار نمرود الّتي أدخل فيها إبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿ **قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾[1] .

ومن أجل عدم الأنفكاك بالطّبع عقّبها عليه السّلام بقوله : « الحار لمن اصطلىٰ به » وجاء الاصطلاء في موضعين من القرآن الكريم يخصّان موسى عليه السّلام في قصّة عوده من مدين مع أهله بنت شعيب عليه السّلام إلى الأرض المقدّسة : **أي بيت المقدس** أو يريد مصر على رواية القمّي فلّما صار في مفازة ومعه أهله أصابهم بردٌ شديدٌ وريحٌ وظلمةٌ وجنّهم اللّيل، فنظر موسى إلى نار قد ظهرت كما قال تعالى : ﴿ **فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنَسَ من جانب الطّور ناراً قال لأهله امكثوا إنّي آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبرٍ أو جذوة من النّار لعلّكم تصطلون** ﴾[2] ، أي تستدفؤون[3] . وقال تعالى : ﴿ **إذ قال موسى لأهله إنّى آنست ناراً سآتيكم منها بخبرٍ أو آتيكم بشهابٍ قبس لعلّكم تصطلون** ﴾[4] . بخبر عن حال الطّريق لأنّه قد ضلّه ، أو شعلة نارٍ مقبوسة[5] .

فالموضعان أتي فيها بلفظ الاصطلاء[6] ، والأصل فيه الصّلا ، قال ابن الأثير : وفي حديث السّقيفة:« أنا الّذي لا يصطلى بناره » الاصطلاء افتعال من صلا النار والتسخّن بها : أي أنا الّذي لا يتعرّض لحربي . يقال فلان لا يصطلىٰ بناره : إذا كان شجاعاً لا

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٦٩ .

(٢) سورة القصص : الآية / ٢٩ .

(٣) تفسير الصافي : ٢ / ٢٦٠ .

(٤) سورة النمل : الآية / ٧

(٥) تفسير الصافي : ٢ / ٢٣١ .

(٦) الأصل الإصتلاء قلبت تاؤه طاءً لقانون الصرف .

يطاق [1] ، و« الصلاء » ككساء : الشواء، لأنّه يصلى بالنّار . قال الجوهري فإن فتحت الصّاد قصرت وقلت :(صلا النار) [2] .

فائدة :

اختلف في اشتقاق الصّلاة بمعنى ذات الأركان فعن المغرب أنّها فعلة من (صلّى) كالزّكاة من (زكى) واشتقاقها من (الصلاة) وهو من العظم الّذي عليه الأليان ، لأنّ المصلّي يحرّك صلويه في الرّكوع والسّجود . وعن ابن فارس هي من (صليت العود بالنّار) : إذا ليّنته ؛ لأنّ المصلي يلين بالخشوع . ذكره الطّريحي [3]

لأدنى علقة كلمة الاصطلاء جئنا بهذه النبذة ، كما لنفس العلقة نشير إلى بعض أقسام النيران :

قال الزبيدي : (والنّار) : أي معروفة ، أنثى تقال : للّهيب الّذي يبدو للحاسّة نحو قوله تعالى : ﴿ **أفرأيتم النّار الّتى تُورون** ﴾ [4] ، وقد تطلق على الحرارة المجرّدة ومنه الحديث : إنه قال لعشرة أنفس فيهم سمرة : « آخركم يموت في النّار » قال ابن الأثير : فكان لا يكاد يدفأ، فأمر بقِدْر عظيمة فملئت ماءً وأوقد تحتها واتّخذ فوقها مجلساً وكان يصعد بخارها فيدفئه فبينا هو كذلك ، خسفت به فحصل في النّار ، قال فذلك الّذي قال له والله اعلم

وتطلق على نار جهنّم المذكورة في قوله تعالى :﴿ **النّار وعدها الله الّذين كفروا** ﴾ [5] (ج أنوار) . . . وفي اللّسان أنور (ونيران) . . . والسّمة والجمع كالنّورة . . . قال أبو منصور والعرب

---

(١) النهاية ٣ / ٥١ ، في (صلا) .

(٢) مجمع البحرين في (صلا) .

(٣) مجمع البحرين، في(صلا)، واحتمل بعض من الصلة؛ لأن المصلّي واصل .

(٤) سورة الواقعة : الآية / ٧١

(٥) سورة الحج : الآية / ٧٢ .

تقول : (ما نار هذه النّاقة) : أي ما سمتها ، سمّيت ناراً ؛ لأنها بالنّار توسم وقال الرّاجز :

حتّى سقوا آبالهم بالنّار والنّار قد تشفي من الأوار

أي سقوا إبلهم بالسّمة . . . ومن أمثالهم : (نجارها نارها) : أي سمتهاتدلّ على نجارها يعني الإبل قال الرّاجز يصف إبلاً سماتها مختلفة :

نجار كلّ إبلٍ نجارها ونار إبل العالمين نارها[1]

ومنها : الرّأي ، ومن الحديث : « لا تستضيئوا بنار أهل الشّرك » . . . معناه لا تشاورهم فجعل الرّأي مثلاً للّضوء عند الحيرة .

ومنها : نار المهوّل : نارٌ كانت للعرب في الجاهليّة يوقدونها عند التّحالف ويطرحون فيها ملحاً يفقع يهوّلون بذلك تأكيدا للحلف .

ومنها : نار الحرب ونائرتها شرّها وهيجها[2] .

ومنها : نار يشعلونها في اللّيل لتدلّ على إقراء التّائه ، ومنه الشّعر :

أَكُلُّ امرءٍ تحسبين امرءاً ونارٍ توقّد باللّيل ناراً[3]

---

(1) تاج العروس ٣ / ٥٩ في (نور). ونقله الميداني في مجمع الأمثال٢ /٣٣٨ رقم المثل ٤٢١٥ ، حرف النون .

(2) تاج العروس ٣ / ٥٩٠ ، في (نور) .

(3) جامع الشواهد ١ / ١٥٢ ، باب الألف بعد الكاف . والشعر من المقطوعة لأبي داوود الأبادي واسمه جارحة بن الحجاج .

يريد الرّضا عليه السّلام بقوله : « الحارّ لمن اصطلىٰ به » الدّعوة إلى الله فإنّها تتحقّق عند لقاء الإمام ومرافقته وإلاّ فليس له نار يصطلى بها ، أو يراد بها بلوغ الحجّة ؛لئلاّ يقول العبد يوم القيامة : يا ربّ لولا أرسلت إلينا رسولاً منذراً فنتبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى ، فيقال له : جاءك الرّسول المبلّغ لأحكام الله وجاءك الإمام الحافظ لها وموصلها بعمله وقوله إليك ، ولكن أَعْرضتَ عن ذلك فذق العذاب الأكبر .

إنّ الإمام كالقرآن شفاء ورحمة لمن استشفاه وخسران للجاحد المكابر له قال تعالى : ﴿ **وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظّالمين إلاّ خساراً** ﴾[1] . يزيد لقاؤه في الإيمان والتّوكّل ، كما بتلاوة الآيات ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربّهم يتوكّلون** ﴾[2] ، تزيدهم .

نجد من أنفسنا أنّا إذا لقينا عبداً صالحاً تقيّاً ورعاً عالماً بمسائل الدّين مخلصاً ناصحاً لمن صحبه اكتسبت نفوسنا منه كرائم الخصال،فكيف بالإمام المعصوم المنصوب علماً للعباد وهادياً لهم . الإمام لقاؤه نورٌ وكلامه نورٌ وبركةٌ .

يا أئمة الهدى بكم تنبت الأرض أشجارها ، وبكم تُخرج الأرض ثمارها ، وبكم تنزل السّماء قطرها ، ورزقها ، وبكم يكشف الله الكرب ، وبكم يسعد العباد ، وتعمر البلاد ، إرادة الرّبّ في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم ، والصّادر عما فصّل من أحكام العباد[3] .

---

(١) سورة الإسراء : الآية / ٨٢ .
(٢) سورة الأنفال : الآية / ٢ .
(٣) كامل الزيارات ١٩٩ .

إنّ الإمام من أعظم نفحات الدّهر الّتي أمرنـا بالتّعـرّض لها كمـا في الحديث : « إنّ لله في أيّام دهركم نفحات ألا فترصّدوا لهـا »[1] . أو « إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات فتعرّضوا لها . . . »[2] .

وايّـة نفحـة أعـظم من لقـاء الإمـام والاستنـارة بنـوره والانتهـاج بنهجه والسّير على ضوء إشارتـه والأخذ بحجـزته في حضـوره وغيبته ؛ إنّ الأئمـة هم أعـدال القـرآن الكـريم في حـديث الثّقلين المتّفق عنـد الخـاصّة والعـامّة[3] المبشّـربنجاة المتمسّـك بهم والمحذّر بـالمتخلّف عنهم إنّ القرآن والعترة لن يفتـرقا حتّى يـردا على النّبيّ صلّى الله عليه وآلـه الحوض. وليس معنى التمسّـك بهمـا إلاّ العمـل بهمـا لا الحبّ وحده .

(١) عوالي اللئالي ١ / ٢٩٦ .
(٢) الجامع الصغير ١ / ٩٦ .
(٣) أفـرد العـلامـة السيـد حـامـد حسين مجلداً خاصّاً له من عبقات الأنوار .

٧٨ ـ حتّى يبلغ الكتاب أجله

روى الصّدوق بإسناده عن إسحاق بن حمّاد قال : « كان المأمون يعقد مجالس النّظر ويجمع المخالفين لأهل البيت ويكلّمهم في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ وتفضيله على جميع الصحابة تقرّبا إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ ، وكان الرضا ـ عليه السلام ـ يقول لأصحابه الّذين يثق بهم : ولا تغترّوا منه بقوله ، فما يقتلني والله غيره ، ولكنّه لا بدّ لي من الصّبر حتى يبلغ الكتاب أجله »[1] .

بلوغ الكتاب الأجل : انقضاء أمد الحياة هنا والكلمة مفسّرة في كلّ مورد بما تناسبه ، ففي الوصايا بالموت، وفي المواعدات بما حُدّد لها من الأوقات والشّروط ، وفي المعاملات بما ضُربت لها في متن عقودها وهكذا ، وقد جاءت الكلمة في كثير من كلمات أهل البيت منهم الرّضاعليهمالسّلام كما حديث هرثمة بن أعين من إخباره عليه السّلام له بما يضمر له المأمون من الفتك به بسيوف ثلاثين من

(١) عيون أخبار ٢ / ١٨٣ ، باب ٤٥، البحار ٤٩ / ١٨ .

غلمانه وما رآه صبيح من المعجز ، ولولا أنّ الحديث طويل لذكرته .

وفي آخره : « قال ـ عليه السّلام ـ : يا هرثمة لا تحدّث أحداً بما حدّثك به صبيح إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان بمحبّتنا وولايتنا، فقلت: نعم يا سيدي ثم قال عليه السّلام : يا هرثمة والله لا يضرّنا كيدهم شيئاً حتى يبلغ الكتاب أجله »[1] .

وحديثه الآخر ما رواه الشّيخ الصّدوق بسنده عن هرثمة بن أعين قال : « كنت ليلة بين يدي المأمون حتى مضى من اللّيل أربع ساعات، ثم أذن لي في الأنصراف فانصرفت ، فلمّا مضى من اللّيل نصفه قرع قارع الباب فأجابه بعض غلماني فقال له : قل لهرثمة أجب سيّدك ، قال : فقمت مسرعاً وأخذت على أثوابي وأسرعت إلى سيّدي الرّضا ـ عليه السّلام ـ فدخل الغلام بين يدي ودخلت وراءه فإذا أنا بسيّدي جالسٌ فقال لي : يا هرثمة فقلت : لبّيك يا مولاي فقال لي: اجلس . فجلستُ، فقال لي : اسمع وعه يا هرثمة هذا أوان رحيلي إلى الله تعالى ولحوقي بجدّي وآبائي ـ عليهم السلام ـ وقد بلغ الكتاب أجله ، وقد عزم هذا الطّاغي على سُمّي في عنب ورمّان مفروك . . . »[2]

وفي صحيح عبد الله بن سنان قال : سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ وجلّ : **﴿ ولكن لا تواعدوهنّ سرّاً إلاّ أن تقولوا قولاً معروفاً ولا تعزموا عُقدة النّكاح حتّى يبلغ الكتاب**

---

(١) عيون الأخبار : ٢ / ٢١٥ ـ ٢١٧ ، باب ٤٧ .

(٢) عيون الأخبار : ٢ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ، باب ٦٤

أجله ﴾[1] . قـال : السّرّ أن يقـول الرّجـل : موعـدك بيت آل فـلان ، ثم يطلب اليها أن لا تسبقـه بنفسها إذا انقضت عـدّتها . قلت : فقـوله ـ تعالى ـ : **﴿ إلاّ أن تقولوا قولاً معروفاً ﴾** قال : هو طلب الحلال من غير أن يعزم عقدة النّكاح حتى يبلغ الكتاب أجله »[2]

وكلمة « حتّى يبلغ الكتـاب أجله » كمـا عــرفت قـرآن أي حتّى ينتهي ما كتب وفرض من العـدّة[3] فإمّــا حكاهـا عليه السّـلام أو تمثّل بها في كلامه .

---

(١) سورة البقرة : الآية / ٢٣٥ .

(٢) الوسائل : ١٤ / ٣٨٣ ، باب ٢٧ من أبواب ما يحـرم بالمصـاهرة حـديث١ ،و ص ٣٨٤ وفيه الصادقي والكاظمي .

(٣) تفسير المنار ٢ / ٤٢٧ .

ولا يخفى أن الكلمـة جـارية على الألسن وهي من المثـل السـائـر القـرآني او أنّها رضويّ ، وإن أبيت فحكمـة حاكية عن القران، تقال في الأمـور الموقتـة والمغياة بغايات معهودة .

٧٩ ـ الحياء من الإيمان

روى الصّدوق بإسناده إلى عبد السّلام بن صالح الهرويّ قال قال الرّضا عليه السّلام : « الحياء من الإيمان »[١]

قال الميداني في مجمع الأمثال : « الحياء من الايمان » هذا يروى عن النّبيّ صلّىٰ الله عليه ـ وآله ـ وسلم ، قال بعضهم : جعل الحياء : ـ وهو غريزة ـ من الإيمان وهو اكتساب ؛ لأنّ المستحيي ينقطع بحيائه عن المعاصي وإن لم يكن له تقيّة، فصار كالإيمان الذي يقطع بينها وبينه ، ومنه الحديث الآخر : « إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » : أي : من لم يستحي صنع ما شاء ، لفظه أمر ومعناه الخبر[٢] .

أقول :

لعلّه يريد بالحديث الآخر النّبويّ : « قال : لم يبق من أمثال الأنبياء إلّا قول النّاس : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت »[٣] .

وفي النّبويّ : « استحيوا من الله حقّ الحياء ، قالوا : وما نفعل

---

(١) عيون الأخبار ١ / ٢٠٦ البحار ٧١ / ٣٣٤ .

(٢) المجمع ١ / ٢١١ ، رقم المثل ١١٢٨ ، حرف الحاء .

(٣) البحار ٧١ / ٣٣٣ .

يا رسول الله ؟ قال : فإن كنتم فاعلين فلا يبيتنّ أحدكم إلاّ وأجله بين عينيه ، وليحفظ الرّأس وما حوى ، والبطن وما وعى ، وليذكر القبر والبلى، ومن أراد الآخرة فليدع زينة الحياة الدّنيا »[1] .

والاخر : « الحياء على وجهين فمنه الضّعف ، ومنه قوّة وإسلام »[2]

والآخر : « الحياء والايمان في قرن واحدٍ فإذا سلب أحدهما اتّبعه الآخر »[3] .

والحياء خمسة أنواع : حياء ذنب ، وحياء تقصير ، وحياء كرامة ، وحياء حبّ ، وحياء هيبة. ولكلّ واحدٍ من ذلك أهل ، ولأهله مرتبة على حدة[4] .

وفي حديث سجّادي : « خف الله تعالى لقدرته عليك ، واستحي منه لقربه منك »[5] .

وعلوي : « من كساه الحياء ثوبه لم ير النّاس عيبه »[6] .

وآخر : « قرنت الهيبة بالخيبة ، والحياء بالحرمان والفرصة تمرّ مرّ السحاب ، فانتهزوا فُرَص الخير » [7] .

ولا ريب أنّ الحياء من أجلي مظاهر الخير وهو لا يكون إلاّ في

---

(١) البحار ٧١ / ٣٣٣ .
(٢) البحار ٧١ / ٣٣٤ .
(٣) البحار ٧١ / ٣٣٦ .
(٤) البحار ٧١ / ٣٣٦ .
(٥) البحار ٧١ / ٣٣٦ .
(٦) البحار ٧١ / ٣٣٧ .
(٧) البحار ٧١ / ٣٣٧ .

الـرّجـل الكـريـم وغضّ البصـر من الكرم، ومن آيـات الحيــاء أنّـه في النّفـوس النّظيفة، وعند ذوي العقـول الحصيفة ،فانظر إلى نفسـك تعلم من أنت ، ومن أيّ الصّنوف؟ فـإن كنت من الـواجـدين فــاشكـر الله ، وأقم المأتم إذا فقدت هذه الجوهرة الثّمينة .

٨٠ ـ حيّ ميّت ، قائم قاعد ، أعمى بصير

كلمة منتزعة من كلمات الرّضا عليه السّلام في مناظرته مع سليمان المروزي في الإرادة رواها الصّدوق رحمه الله تعالى ، ولربطها بالموضوع نذكر شيئاً من المناظرة :

«قال الرّضا عليه السّلام : يا سليمان هل يعلم ـ أي الله تعالى ـ أنّ إنساناً يكون ولا يريد أن يخلق إنساناً أبداً ، وأنّ إنساناً يموت اليوم ولا يريد أن يموت اليوم ؟ قال سليمان : نعم ، قال الرضا عليه السّلام : فيعلم أنه يكون ما يريد أن يكون أو يعلم أنّه يكون ما لا يريد أن يكون ؟ ! قال : يعلم أنّهما يكونان جميعاً ، قال الرضا عليه السّلام : إذن يعلم أنّ إنساناً حيّ ميّت ، قائم قاعد ، أعمى بصير في حال واحدة ، وهذا هو المحال ، قال : جعلتُ فداك فإنّه يعلم أنّه يكون أحدهما دون الآخر ، قال عليه السّلام : لا بأس ، فأيّهما يكون ، الّذي أراد أن يكون أو الّذي لم يرد أن يكون ؟ قال سليمان : الّذي أراد أن يكون ، فضحك الرّضا عليه السّلام والمأمون وأصحاب المقالات . قال الرّضا عليه السّلام : غلطتَ وتركتَ قولك : إنّه يعلم أنّ إنساناً يموت اليوم وهو لا يريد أن يموت اليوم ، وأنّه يخلق خلقاً وهو لا يريد أن يخلقهم ، فإذا لم يجز العلم عندكم بما لم يرد أن يكون فإنّما يعلم أن يكون

ما أراد أن يكون »[1] .

عِلمُ الله جلّ جلاله بالإنسان المكوّن والإنسان غير المكوّن على حدّ سواء ولكن إرادته تعالى ليست كذلك ، لأنّه أراد الأوّل ولم يرد الثّاني ، نعم أراد عدمه وهو كما أراد .

وحاصله : أنّ العلم الرّباني بشيء موجود أو عدمه على حدّ واحد وأنّ العلم بالعدم لا يستلزم الوجود ما لم يرده .

قال السّيّد المعلّق :حاصل الكلام ، هل يتعلّق علمه تعالى بنسبة قضية ولا يتعلّق إرادته بها فأقرّ سليمان بذلك فثبت مطلوبه عليه السّلام الّذي هو عدم اتّحادهما[2] .

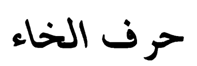
كيف يكون إنسان في حال واحدة حيّاً ميّتاً أعمى بصيراً قائماً قاعداً ؟! فاختار سليمان أحدهما فسأله عليه السّلام التعيين بقوله : « فأيّهما يكون : الّذي أراد أن يكون أو الّذي لم يرد أن يكون ؟ » فاختار المراد كونه، فكّر عليه بقوله السّابق، واعترافه بالعلم بموت إنسان اليوم وعدم إرادة موته وخلق إنسان وعدم إرادة خلقه ، وإنّ مَنْع تعلّق العلم بما لم يرد كونه يلزم العلم بما أراد كونه لعدم نفيهما جميعاً .

وصور المسألة أربع : العلم بكون ما يراد كونه . والعلم بكون ما لا يراد كونه . وبالجميع . وبعدم الجميع . والأخيران محال ، والثانية ما ينطبق عليها المثلان ، والأولى لا بأس بها كما قاله عليه السّلام . والمقام المبحوث له نوع من الدّقة فتدبّر .

---

(١) التوحيد ٤٥٢ ، عيون أخبار الرضا ١ / ١٥١ .

(٢) حاصل ما ذكره المعلق أنظر هامش التوحيد ٤٥٢ ـ ٤٥٣ .



حرف الخاء

٨١ ـ خرج علينا من وراء أَكَمَةٍ من هذه الآكام

روى الشّيخ الكراجكي من أمالي المفيد : « أنّه لمّا سار المأمون إلى خراسان كان معه الإمام الرّضا علي بن موسى عليهما السّلام ، فبيناهما يتسايران إذ قال له المأمون : يا أبا الحسن إنّي فكّرت في شيءٍ فسنح لي الفكر الصّواب فيه : فكّرت في أمرنا وأمركم ونسبنا ونسبكم فوجدت الفضيلة فيه واحدة ورأيت اختلاف شيعتنا في ذلك محمولاً على الهوى والعصبيّة .

فقال له أبو الحسن الرّضا عليه السّلام : إن لهذا الكلام جواباً إن شئت ذكرته لك ، وإن شئت أمسكتُ ، فقال له المأمون : لم أقله إلاّ لأَعَلمُ ما عندك فيه ، قال الرّضا عليه السّلام : أنشدك الله يا أمير المؤمنين لو أنّ الله بعث محمداً صلّىٰ الله عليه وآله فخرج علينا من وراء أَكمَةٍ من هذه الآكام فخطب إليك ابنتك لكنت مزوّجه إيّاها ؟ فقال : يا سبحان الله وهل أحدٌ يرغب عن رسول الله صلّىٰ

الله عليه وآله ؟ فقال الرّضا عليه السّلام : أفتراه كان يحلّ له أن يخطب ابنتي ؟ قال فسكت المأمون هنيئة ثم قال : أنتم والله أمسّ برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله رحماً »[1] .

قبل أن نأتي على شرح بعض كلمات الحديث نذكر شيئاً من المناظرة بين هارون والإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لارتباطه بما نحن بصدده :

روى الشيخ للصدوق بإسناده إلى موسى بن جعفر عليهما السّلام في حديث طويل إنّه قال : « لمّا دخلت على الرّشيد سلّمت عليه فردّ عليّ السّلام ثمّ قال : يا موسى بن جعفر خليفتين [خليفتان] يجبى إليهما الخراج ـ استمرت المناظرة إلى قول هارون : ـ

ثم قال : لم جوّز تم للعامّة والخاصّة أن ينسبوكم إلى رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله ، ويقولون لكم : يا بني رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وأنتم بنو عليّ وإنّما ينسب المرء إلى أبيه وفاطمة إنّما هي وعاء والنّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ جدّكم من قبل أمّكم ؟ .

فقلت : يا أمير المؤمنين لو أنّ النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ نشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه ؟ فقال : سبحان الله كيف

(١) كنز الفوائد ١٦٦ ، البحار ٢٥ / ٢٤٢ ، وج ٤٩ / ١٨٧ ـ ١٨٨ .
لم أوفّق للرّجوع إلى أمالي الشيخ المفيد طاب ثراه واستخراج ما نقله الشيخ أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي المتوفّى سنة ٤٤٩ هـ ، رحمه الله تعالى ، وبما أنّ الحكم أي حرمة تزوّج الرّجل من كرائم الأسباط والأحفاد ثابتٌ كما يأتي التّصريح في المتن قريباً بعد نقل رواية أبي الجارود عن الباقر عليه السلام مستدلاً بآية التحريم ، لا يبقى مجال للحديث .

لا أجيبه ؟! بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك .

فقلت لـه : لكنّه ـ صلّىٰ الله عليـه وآلـه ـ لا يخـطب إليّ ولا أزوّج كـريمتي منـه قطّ ، فقال: ولم ؟ فقلت : لأنّـه ـ صلّىٰ الله عليـه وآلـه ـ ولدني ولم يلدك ، فقـال : أحسنت يا مـوسى ، ثمّ قال : كيف قلتم إنّـا ذرّيّـة النّبيّ ؟ والنّبيّ ـ صلّىٰ الله عليـه وآلـه ـ لم يعقب وإنّمـا العقب للذّكـر لا لـلأنثى ، وأنتم ولـد لابنته ولا يكـون لها عقب . فقلت : أسـألك يـا أمير المؤمنين بحقّ القـرابة والقبـر ومَنْ فيـه إلاّ مـا أعفيتني عن هـذه المسألـة ، فقـال : لا ، أوتخبـرني بحجّتكم فيـه يـا ولـد عليّ وأنت يـا مـوسى يعسـوبهم وإمـام زمـانهم كـذا أنهي إليّ ، ولستُ أعفيك في كلّ ما أسألـك عنه حتّى تـأتيني فيه بحجّـة من كتاب الله تعالى وأنتم تدّعـون معشر ولـد عليّ أنه لا يسقط عنكم منـه بشيءٍ ألفٍ ولا واوٍ إلاّ وتـأويله عندكم ، واحتججتم بقـوله عـزّ وجلّ : ﴿ **مـا فـرّطنـا في الكتـاب من شيءٍ** ﴾[1] . وقـد استغنيتم عن رأي العلمـاء وقياسهم .

فقلت :تأذن لي في الجواب ؟ قـال : هات ، قلت : أعـوذ بـالله من الشّيـطان الـرّجيم بسم الله الـرّحمن الـرّحيم ﴿ **ومن ذرّيتـه داود وسليمان وأيّوب ويوسف ومـوسى وهارون وكـذلك نجـزى المحسنين * وزكريّا ويحيى وعيسى وإلياس** ﴾[2]

مَنْ أبـو عيسى يـا أميـر المؤمنين ؟ فقـال : ليس لعيسى أبٌ ، فقلت :ألحقناه بذراري الأنبيـاء عليهم السلام من طـريق مريم ـ عليهـا

(١) سورة الأنعام : الآية / ٣٨ .

(٢) سورة الأنعام : الآية / ٨٤ ـ ٨٥ .

السـلام ـ وكذلـك ألحقنا بـذراري النّبيّ صلّىٰ الله عليـه وآلـه من قبـل أمّنا فاطمة عليها السلام . . . »[1] .

ولعمر الحق إنّه الجواب الحقّ لو وعاه واع ،وهكذابقيّـة الأجوبـة الّتي احتـوتها الرّواية، لـولا إطالـة المقام لـطولها والخـروج عمّـا نحن بصـدده لذكـرنـاه كمـلًا ، ولتكميـل الفـائـدة نثلّث الحـديثين بمـا عن الكليني بـإسناده إلى أبي الجـارود عن أبي جعفر قال: قـال أبـو جعفـر عليه السّلام :

« مـا يقـولـون لكم في الحسن والحسين عليهمـا السـلام ؟ قال: ينكرون علينا أنّهمـا ابنا رسـول الله صلّىٰ الله عليه وآله، قال: فـأيّ شيءٍ احتججتم عليهم ؟قلت: احتججنـا عليهم بـقـول الله عـزّ وجـلّ في عيسى بن مريم عليه السـلام: ﴿ومن ذريّته داود وسليمـان ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين* وزكريّا ويحيى وعيسى﴾. فجعل عيسى بن مريم من ذريّة نوح ، قـال : وأيّ شيءٍ قالـوا لكم ؟ قلت :قالوا : قـد يكون ابن الابنـة من الولـد ولا يكـون من الصّلب ، قال: فأيّ شيءٍ احتججتم عليهم ؟قلت: احتججنـا عليهم بقولـه تعـالى للرّسول : ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونسـاءنا ونسـاءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾[2] . ثمّ قال: وأيّ شيءٍ قالوا لكم ؟ قلت قالـوا : قد يكـون في كلام العرب أبناء رجل وآخر يقول أبناءنا[3] .

---

(١) عيون الأخبار ١ / ٦٨ ـ ٦٩ .

(٢) سورة آل عمران : الآية / ٦١ .

(٣) ولكن لم يختلف اثنان من الأمة وغيرها أنّ المدعوّين هم الحسن والحسين وفاطمة وعلي عليهم السلام ، فاللفظ وإن كان عامّاً لكن الخارج مخصصه.

فقال أبو جعفر عليه السّلام: يا أبا الجارود لأعطيتكها من كتاب الله عزّ وجلّ أنّهما من صلب رسول الله صلىٰ الله عليه وآله لا يردّهما إلّا كافرٌ ،قلت: وأين ذلك جعلت فداك ؟ قال: من حيث قال الله عزّ وجلّ : ﴿ حرمت عليكم أمّهاتكم وبناتكم وأخواتكم ﴾ الآية إلى أن انتهى إلى قوله تبارك وتعالى : ﴿ وحلائل أبنائكم الّذين من أصلابكم ﴾[1] ، فسلهم يا أبا الجارود هل كان يحلّ لرسول الله نكاح حليلتهما ؟ فإن قالوا :نعم، كذبوا وفجروا ، وإن قالوا :لا، فهما ابناه لصلبه »[2] .

أبو الجارود زياد بن المنذر،قال المحدّث القمّي: قال شيخنا صاحب المستدرك في ترجمته في الخاتمة : وأمّا أبو الجارود فالكلام فيه طويل والّذي يقتضيه النّظر بعد التأمل فيما ورد وفيما قالوا فيه أنّه كان ثقة في النّقل مقبول الرّواية[3] .

أقول: حتى لو كان مردوداً لأن الموضوع أبين من ذلك لا يفتقر إلى الرّواية بعد الدّراية؛ فإنّ حليلة ابن الرّجل أو ابن بنته حرام عليه التزوج منها بالإجماع بعد نصّ الكتاب العزيز والسّنّة القطعيّة ، وتحريم التزوج من حلائل الأبناء مطلقاً كتحريم نكاح الأمّ والأخت والعّمة والخالة .

فلنعد إلى الرّضويّ فنقول :

قوله عليه السّلام : « من وراء أكمة من هذه الآكام » من

---

(١) سورة النساء : الآية / ٢٣ .

(٢) تفسير البرهان ١ / ٣٥٧ ، تفسير الصافي ١ / ٣٤٤ .

(٣) الكنى والألقاب ١ /٣٤. وقد كثر القول حوله والمسألة كما في المتن لا تفتقر الى التوثيق .

« أكم » : تجمّع الشّيء وارتفاعه قليلاً ، قال الخليل : الأكمة تلّ من القفّ ، والجمع آكام وأَكَمٌ . واستأكم المكان أي صار كالأكمة. قال أبو خراش :

ولا أمغر الساقين ظل كأنه على مُحْزئلّاتِ الإكام نصيل

يعني صقراً. اجزألّ : انتصب . نصيل : حجر قدر ذِراع[1] .
قال الطّريحي : والأكَمَة كقَصَبَة : تلٌّ صغيرٌ ، والجمع أكَم كَقَصَب[2] . وقال ابن الأثير : في حديث الاستسقاء: « على الإكام والظّراب ومنابت الشّجر » الإكام بالكسر جمع أَكَمة وهي الرّابية ، وتجمع الإكام على أُكُم[3] والأُكُم على آكام[4] .

لا تؤثّر في النّفوس الأثيمة العظات والحقائق التي يزفّها الإمام المعصوم . بل ولا الكتب السّماوية ورسالات الأنبياء عليهم السلام .

وهل ارتدع الطّاغية المأمون العبّاسي عندما سمع جواب الإمام الرّضا عليه السّلام أنّه أمسّ برسول الله صلّىٰ الله عليه وآله رحماً وأولى من المأمون بالخلافة ؟! كلّا بل زاده عليه حقداً وعتوّاً وهل لو نشر الرّسول أو خرج من وراء تلّ من تلال خراسان ـ وهو مثل ضربه عليه السّلام لتجسيد الحقّ المنسيّ أو المتناسي ـ أمام بصر المأمون ويقول الحقّ مع ولدي يا تُرى يقبل منه ذلك أو يمدّ في عماه ؟! شأن حبّ الدنيا الّذي أعماه وأصمّه كما جاء به المثل السائر :

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١ / ١٢٥ ، فى (أكم) .
(٢) مجمع البحرين في (أكم) .
(٣) في اللسان : جمع الإكام أُكُم ، مثل كتاب وكُتُب ، وجمع الأُكُم : آكام ، مثل عُنُق واعناق، في (أُكُم)
(٤) النهاية ١ / ٥٩ ، في (أُكُم)

« حبّك الشّيء يعمي ويصمّ »[1] .

وقال أمير المؤمنين عليه السّلام : « من عشق شيئاً أعشى بصره ، وأمرض قلبه ، فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع بأذنٍ غير سميعة »[2] .

وهل مناظرة المأمون وقبله هارون مع الكّاظم عليه السّلام إلاّ لأجل الحصول على الدّنيا، تجد هارون قائلاً لموسى بن جعفر عليهما السلام : «أخبرني لم فضّلتم علينا نحن وأنتم من شجرة واحدةً وبنو عبد المطلب ونحن وأنتم واحد إنّا بنو العبّاس وأنتم ولد أبي طالب وهما عمّان لرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وقرابتهما منه سواء ؟ فقلت : نحن أقرب ، قال : وكيف ذلك ؟ قلت : لأنّ عبد الله وأبا طالب لأبٍ وأمٍّ ، وأبوكم العبّاس ليس هو من أمّ عبد الله ولا من أمّ أبي طالب . . . »[3] .

والكلّ يدري أنّ الأحقّ بالخلافة هم الأئمّة عليهم السّلام ؛ لأنّهم قد اجتمعت القرابة القريبة لهم مع الطهارة الموهوبة والفضائل الّتي تجمّعت فيهم لا يدانيهم من الناس دانٍ ولا يقاس بآل محمّد من هذه الأمة ولا غيرها أحدٌ ليس المحقّ كالمبطل ، ولا المؤمن كالمدْغل[4] . . .

---

(١) مجمع الأمثال ١ / ١٩٦ ، حرف الحاء ،الأمثال النبويّة ١ / ٣٤٨ ، رقم المثل ٢٢٣ .

(٢) النهج ٧ / ٢٠٠ ، الخطبة ١٠٨ .

(٣) عيون الأخبار ١ / ٦٧ .

(٤) النهج ١٥ / ١١٧ ، كتاب ١٧ .

٨٢ خرجتُ على أن لا إله إلا أنت

روى الصّدوق بإسناده إلى موسى بن سلام قال: « اعتمر أبو الحسن الرّضا عليه السّلام فلمّا ودّع البيت وصار إلى باب الحنّاطين ليخرج منه وقف في صحن المسجد في ظهر الكعبة، ثم رفع يديه فدعا ثمّ التفت إلينا فقال : نعم المطلوب به الحاجة إليه الصّلاة فيه أفضل من الصّلاة في غيره ستين سنة أو شهراً ، فلّما صار عند الباب قال : اللهم إني خرجتُ على أن لا إله إلا أنت »[1] .

كلمة « على » عاملها الخروج على التّضمين أي خرجتُ معتقداً بواحدانيّتك وأن لا إله سواك .ونظيرها كلامه الآخر روحي فداه قد رواه الصّدوق أيضاً بسنده عن إبراهيم بن ابي محمود قال : رأيت الرّضا عليه السّلام ودّع البيت ، فلّما أراد أن يخرج من باب المسجد خرّ ساجداً ثمّ قام فاستقبل الكعبة وقال : « اللّهمّ إنّي انقلبت على أن لا إله إلّا الله »[2] .

وتعليق الحالتين الخروج أو الانقلاب المفسّر بالخروج أو أيّة حالة من حالات الإنسان يراد من ذلك كلّه ذكره تعالى الّذي هو على كلّ حالٍ حسن ،كما جاء التّصريح به في أحاديث أهل البيت عليهم‌السلام ،ففي الصّحيح عن الباقر أبي جعفر عليه السّلام قال :

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧ .

(٢) المصدر .

« مكتوب في التّوراة الّتي لم تغيّر أنّ موسى سأل ربّه فقال : إلهي إنّه يأتي عليّ مجالس أعزّك وأجلّك أن أذكرك فيها، فقال : يا موسى إنّ ذكري حسن على كلّ حالٍ »(١) .

أو يراد بيان التّوحيد وترك الحول والقوّة إلّا بالله الواحد الأحد الفرد الصّمد ولا قوة على فعل من الأفعال ولا على شيء آخر إلّا بقوته تعالى ومشيئته لا « بكد اليمين وعرق الجبين » المثل السّائر بل بتوفيقه عزّ وجلّ يطاع وبحوله تترك المعاصي وقد جاء في الكاظميّ : « مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام بجماعة بالكوفة وهم يختصمون في القدر ، فقال لمتكلمهم : أبالله تستطيع أم مع الله أم من دون الله تستطيع ؟! فلم يَدْرِ ما يردّ عليه ، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام : إنك إن زعمت أنّك بالله تستطيع فليس لك من الأمر شيء ، وإن زعمت أنّك مع الله تستطيع فقد زعمت أنك شريك معه في ملكه ، وإن زعمت أنك منْ دون الله تستطيع فقد ادّعيت الرّبوبيّة من دون الله عزّ وجلّ ، فقال : يا امير المؤمنين لا ، بل بالله استطيع ، فقال عليه السّلام : أما إنّك لو قلت غير هذا لضربت عنقك »(٢) .

---

(١) الوسائل ١ / ٢١٩ . وفيه عدّة أخرى بلفظه ومعناه
(٢) التّوحيد ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .
أقول : في نفس الوقت إنّ الكلام الرّضوي فيه من آداب بيت الله الحرام لمن أراد الخروج منه . وباب الحنّاطين قال الطّريحي : في الحديث: « لا تسلّم ولدك حنّاطاً؛ فإنّه يحتكر الطّعام على أمّتي » الحنّاط بفتح الحاء والتّشديد : بيّاع الحنطة بالكسر وهي القمح والبُرّ بضمّ الباء ، والجمع حنط ومنه « فخرج من باب الحنّاطين » ، لبيعهم الحنطة هناك ، وقيل: لبيعهم الحنوط . والحنوط كرسول . والحناط ككتاب : طيب يوضع للميّت خاصّة مجمع البحرين في « حنط »

٨٣ ـ خصوصيّة خصّهم الله العزيز الجبّار بها

روى الشّيخ الصّدوق طاب ثراه رواية استدلال الإمام الرّضا عليه السّلام بالاثنتي عشر آية من الكتاب العزيز على فضل العترة الطّاهرة على سائر النّاس جواباً لسؤال علماء أهل العراق وخراسان بمحضر المأمون العبّاسي النّاوي من وراء مناظرتهم السّوء به عليه السّلام وإطفاء نوره ﴿ **ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون** ﴾[1] ، وقد بحثنا عن أكثرها[2] ، قال عليه السّلام :

« والآية الخامسة قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وآت ذا القربى حقّه** ﴾[3] . خصوصيّة خصّهم الله العزيز الجبّار بها واصطفاهم على الأمّة ، فلمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال : ادعوا لي فاطمة، فدُعيَتْ له فقال : يا فاطمة، قالت : لبيك يا رسول الله ، فقال : هذه فدك ممّا هي لم يوجف عليه بالخيل [خيل] ولا ركاب وهي لي خاصّة دون المسلمين وقد جعلتها لك

---

(١) سورة التوبة : الآية / ٣٢ .

(٢) حرف الهمزة مع النّون . والهمزة مع الياء ، والجيم مع العين، والذّال مع الكاف ، والسّين مع اللاّم ، والفاء مع الضّاد ، والكاف مع اللاّم .

(٣) سورة الإسراء : الآية / ٢٦ .

لما أمرني الله تعالى به فخذيها لك ولولدك . فهذه الخامسة . . . »[1] .

روى الشّيخ الحرّ بإسناده إلى علي بن أسباط عن أبي الحسن موسى عليه السّلام (في حديث) قال : « إنّ الله لمّا فتح على نبيّه فدك وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيّه : ﴿ وآت ذا القربى حقّه ﴾ فلم يدر رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله مَنْ هم فراجع في ذلك جبرئيل ، وراجع جبرئيل ربّه ، فأوحي الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة (إلى أن قال :)حدٌّ منها جبل أُحد ، وحدٌّ منها عريش مصر ، وحدٌّ منها سيف البحر ، وحدٌّ منها دومة الجندل ، قيل له : كلّ هذا ؟ قال : نعم ، إنّ هذا كلّه ممّا لم يوجف أهله على رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله بخيل ولا ركاب »[2]

وفي كتاب البحار : « فلما فرغ رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله من خيبر عقد لواء ثمّ قال : مَنْ يقوم إليه فيأخذه بحقّه ؟ وهو يريد أن يبعث به إلى حوائط فدك ، فقام الزّبير إليه فقال : انا ، فقال : أمط عنه ، ثم قام إليه سعد ،فقال : أمط عنه ، ثمّ قال : يا عليّ قم إليه فخذه ، فأخذه فبعث به إلى فدك فصالحهم على أن يحقن دماءهم فكانت حوائط فدك لرسول الله خاصّاً خالصاً فنزل جبرئيل عليه السلام فقال : إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقه ، قال : يا جبريل ومَنْ قرباي ؟ وما حقّها ؟ قال : فاطمة ، فأعطِها حوائط فدك وما لله ولرسوله فيها ، فدعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله فاطمة وكتب لها كتاباً جاءت به بعد موت أبيها إلى أبي بكر ،

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٣ .

(٢) الوسائل ٦ / ٣٦٦ .

وقالت هذا كتاب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لي ولابنيْ »[1] .

في باقري : « الفيء والانفال ما كان من أرض لم يكن فيها هراقة من الدماء وقوم صولحوا وأعطوا بأيديهم وما كان من أرض خربة أو بطون أو دية فهو كلّه من الفيء فهذا لله ولرسوله فما كان لله فهو لرسوله يضعه حيث شاء وهو للإمام بعد الرّسول . . . »[2] .

وصادقيّ : « الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب أو قوم صالحوا أو قوم أعطوا بأيديهم ـ . . . . »[3] .

وفدك من ذلك أنحلها الرّسول صلّىٰ الله عليه وآله فاطمة عليها السّلام في حال حياته ، وقال لها : وقدكان لأمّك خديجة على أبيك محمّد مهر وأنّ أباك قد جعلها لك بذلك وأنحلتُكها تكون لك ولولدك بعدك .

وكتب كتاب النّحلة عليّ عليه السّلام في أديم وشهد على ذلك [هو] وأمّ أيمن ومولى لرسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ[4] .

فهي عطيّة إمّا من المهر كما تقدم أو عوض عمّا أنفقته خديجة من أموالها في سبيل الله ، ولولا خُلق رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسيف عليّ عليه السّلام وأموال خديجة ، لما قام للّدين عمود ، وما اخضرّ له عود . أو من سهم ذي القربى امتثالاً لامره تعالى به قال عزّ وجلّ : ﴿ **وآت ذا القربى حقّه** ﴾[5] . كما سبق تفصيل ذلك ولا

---

(١) البحار ٢١ / ٢٣ .

(٢) تفسير البرهان ٤ / ٢١٤ في تفسير الآية ٦ من سورة الحشر ، الوسائل ٦ / ٣٦٧ .

(٣) الوسائل ٦ / ٣٦٦ .

(٤) السّفينة ٢ / ٣٥١ في (فدك) .

(٥) سورة الإسراء : الآية / ٢٦ .

ينافي أن يكون الحقّ الواجب عليه إعطاؤه عوضاً عن أموال أمّها خديجة المصروفة في سبيل الله في الدُّنيا، وأمّا الآخرة فلها ما شاء من الأجر. وعلى كلّ تقدير هي حقّ خاصّ لفاطمة عليها السّلام ليس لأحد من المسلمين فيها سهم أبداً وقد أخذها أبو بكر بحجة إنّها للمسلمين. وهي: قرية تبعد عن المدينة مسافة يومين أو ثلاثة أرضها زراعيّة خصبة فيها عين فوّارة ـ على حدّ تعبير بعض ـ ونخيل كثير يقدّر نخيلها بنخيل الكوفة في القرن السادس الهجري[1]. وأمّا وارداتها في رواية الشّيخ عبد الله بن حمّاد الأنصاري قدر أربعة وعشرين ألف دينار في كلّ سنة، وفي رواية غيره سبعين ألف دينار[2]. فانتزعها الأوّل، ودفعها الثّاني إلى علّي والعبّاس بعد تقرير الانتزاع زماناً معتدّاً، وأقطعها عثمان لمروان، وردّها عمر بن عبد العزيز فكتب إلى أبي بكر بن عمرو بن حزم وهو عامله على المدينة، انظر ستّة الآف دينار فزد عليها غلّة فدك أربعة آلاف دينار فأقسمها في ولد فاطمة رضي الله عنهم من بني هاشم. وكانت فدك للنّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ خاصّة فكانت ممّا لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[3] واغتصبها يزيد بن عبد الملك، ودفعها السّفاح، وأخذها المنصور، وأعادها المهدي العبّاسيّ، وقبضها الهادي، وردّها المأمون. كما قال دعبل الخزاعي:

أصبح وجه الزّمان قد ضحكا   بردّ مأمون هاشماً فدكا[4]

وأمّا صدقات الرّسول صلّىٰ الله عليه وآله وأوقافه ففي صحيح

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ٢٣٦، طبع الحلبي الجديد.

(٢) فدك الحائري القزويني ١٢ ـ ١٣، السّفينة ٢ / ٣٥١ نقلاً عن كشف المحجّة لابن طاووس.

(٣) البحار ٢٣ / ٢٩٥.

(٤) السّفينة ٢ / ٣٥١ في (فدك).

البزنطي، قال: سألت الرّضا عليه السّلام عن الحيطان السّبعة، فقال: « كانت ميراثاً من رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وقف [وقفاً] وكان رسول الله يأخذ منها ما ينفق على أضيافه والنّائبة يلزمه فيها ، فلّما قبض جاء العبّاس يخاصم فاطمة عليها السّلام فشهد عليّ عليه السّلام وغيره أنّها وقف ، وهي الدّلال ، والعواف ، والحسنى ، والصّافية ، وما لأمّ إبراهيم[1] ، والميثب ، وبرقة »[2] ، وصادقيّ : « الميثب : هو الّذي كاتب رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ عليه سلمان فأفاءه الله على رسوله فهو في صدقاتها »[3] ، أي : فاطمة عليها السّلام .

وقيل كانت هذه الحيطان السبعة لمخيريق[4] اليهودي أحد بني النّضير قيل أسلم ولمّا حضرته الوفاة قال أموالي لمحمّد صلّىٰ الله عليه وآله وهي بساتينه السبعة : الدّلال، وبرقة ، والصّافية ، والميثب، ومشربة أمّ إبراهيم ، والأعواف، وحسنى . قال ابن شهاب: أوصى بأمواله للنّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وشهد أحداً فقتل، قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ : مُخَيريق سابق اليهود ، وسلمان سابق الفرس ، وبلال سابق الحبشة ـ وبعد ذكر السّبعة قال: ـ فمجاورات بأعلى الصّورين من خلف قصر مروان بن الحكم ويسقيها مهزور[5] .

---

(١) ومال أمّ إبراهيم هامش البحار ٢٢ / ٢٩٦ .

(٢) البحار ٢٢ / ٢٩٦

(٣) المصدر، وفي هامش ص ٢٩٧ منه الميثب كمنبر : ما ارتفع من الأض وكذا الأرض السّهلة ، وفيه وفي بقيّة الأسماء اختلاف انظر البحار ٢٢ / ٢٩٧ . ٢٩٨ وهامشه .

(٤) مصغراً ، قيل إنه من بقايا بني قينقاع . البحار ٢٢ / ٢٩٨ :

(٥) في هامش المصدر وفاء الوفاء ٩٨٨ .

وأمّا مشربة أمّ إبراهيم [فـ] سمّيت بها لأنّ أمّ إبراهيم بن النّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله ولدت فيها وتعلّقت حين ضربها المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة فتلك الخشبة اليوم معروفة، وكان النّبيّ أسكن مارية هناك . والمشربة : الغرفة[1] .

وفي باقريّ : « كان (الدّلال) لأمرأة من بني النّضير وكان لها سلمان . . . »[2] .

و (الصافية) : معروفة اليوم شرقي المدينة بجزع زهيرة ، و (برقة) : معروفة أيضاً اليوم في قبلة المدينة مما يلي المشرق ، و (الدلال) : جزع [جذع] معروف أيضاً قبل (الصّافية) ، و (الميثب) : غير معروف اليوم ، و (الأعواف) : جزع معروف اليوم بالعالية ، و(مشربة أمّ إبراهيم) : أيضاً معروفة بالعالية، (وحسنى) : لا يعرف اليوم ولعلّه تصحيف (الحنا)، وهو معروف اليوم وخطأ ذلك لأنه لا يشرب من مهزور، و (الحسنا) .هي الموضع المعروف اليوم بـ(الحسينيا) قرب جزع (الدّلال) وهو يشرب من مهزور وهذه الصدقات مما طلبته فاطمة عليها السلام من أبي بكر مع سهمه صلى الله عليه وآله بخيبر وفدك كما في الصحيح فأبى أبو بكر عليها ذلك ثمّ دفع عمر صدقته إلى عليّ والعبّاس وأمسك خيبر وفدك[3] . . .

قال المعتزلي : واعلم أن النّاس يظنّون أنّ نزاع فاطمة أبا بكر كان في أمرين : في الميراث والنّحلة ، وقد وجدت في الحديث أنّها نازعت في أمرٍ ثالث ومنعها أبو بكر إياه أيضاً وهو سهم ذوي القربى[4] .

---

(١) البحار ٢٢ / ٢٩٨ ـ ٢٩٩

(٢) البحار ٢٢ / ٢٩٩ .

(٣) البحار ٢٢ / ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

(٤) في هامش فدك للقزويني الحائري ٢٤ . قال:قال ابن أبي الحديد في شرح =

وناهيك أنّ خطبة الزّهراء سلام الله تعالى عليها من أدلّ دليل على ظلامتها؛ لأنّها تقول فيها : « هذا ابن أبي قحافة يبتزّني نحلة أبي ، وبلغة ابنيّ لقد أجهد في خصامي . . . »[1] وفيها تنطق بكلّ صراحة على اغتصاب حقها .

النهج ١٦ / ٣٣٠ : « واعلم . . . » .
أقول : الصّحيح شرح النّهج ١٦ / ٢٣٠ ، فراجع .
(١) الاحتجاج ١ / ١٤٥ ، وبدأ الخطبة ١٣١ ـ ١٤٩ .

حرف الذّال

٨٤ ـ ذبح كما يذبح الكبش

روى الشّيخ الصّدوق بإسناده عـن الـرّيّان بن شبيب قـال دخلت على الـرّضا ـ عليـه السّلام ـ في أوّل يـوم من المحرّم فقـال : « يـا بن شبيب أصـائم أنت ؟ قلت : لا فقال : إنّ هـذا اليوم هـو اليـوم الّـذي دعا فيه زكريّا ـ عليه السّلام ـ ربّه عزّ وجلّ فقال :

﴿ ربّ هب لى من لدنك ذرّية طيّبة إنّك سميع الدّعاء ﴾ فاستجاب الله له وأمر الملائكة فنـادت زكريّـا **﴿ وهو قـائم يصلّى فى المحراب إنّالله يبشّرك بيحيى ﴾** . فمن صام هـذا اليوم ثـمّ دعـا الله عـزّ وجلّ استجـاب الله له كمـا استجاب الله لـزكريّـا ثم قـال : يـا ابن شبيب إنّ المحـرّم هو الشّهـر الّذي كـان أهل الجـاهليّة يحـرّمـون فيـه الظّلم والقتال لحرمته ، فما عرفت هذه الأمّة حـرمة شهرها، ولا حـرمة نبيّهـا لقد قتلوا في هـذا الشهر ذرّيتـه وسبـوا نسـاؤه وانتهكـوا ثقله فـلا غفـر الله لهم ذلـك أبـداً ، يـا ابن شبيب إن كنت بـاكيـاً لشيءٍ فـابـك للحسين بن علي بن ابي طـالب ـ عليهم السّلام ـ ؛ فـإنّـه ذبـح كمـا

يـذبح الكبش وقتـل معه من أهـل بيته ثمـانيـة عشـر رجـلاً مـا لهم في الأرض شبيهون . . . »[1] .

قـال الـطّريحي : « الكبش : فحـل الضّـأن في أيّ سنّ كــان ، وقيـل الحمـل إذا أثني[2] وإذا خـرجـت ربـاعيتـه . والجمـع كبـاش ككتـاب ، وكبش القـوم سيّـدهم . . . كـان المشـركـون ينسبـون النّبيّ صلّىٰ الله عليه وآله إلى أبي كبشـة ، وكان أبـو كبشة رجـلاً من خزاعـة خـالف قريشـاً في عبادة الأوثـان وعبد الشّعـرى[3] فلمّـا خالفهم النبي صلّىٰ الله عليـه وآله في عبـادة الأوثان شبّهـوه به وقيـل هو نسبـة إلـى جـد النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليـه وآلـه ـ لأمّـه فـأرادوا أنّـه نـزع إليـه في الشّبه[4] .

قال التّستري في الخصـائص الحسينية بعـد حديث ابن شبيب : وفي الحـديث نكتـة حيث أنّـه عبّـر عنـه بـالـذّبـح ، وعن أهــل بيتـه بـالقتل ؛ وذلـك لأنّهم قتلوا بالجـراح وماتـوا بعد الـوقوع على الأرض بسبب الجـراح ، ولكنّه عليـه السّلام قتـل أيضـاً بـالجـراح ووقـع على الأرض يجـود بنفسـه وكـان مـا فيـه كـافيـاً فيمـا أرادوه،ولكن لـم يكتفـوا فذبحوه كما يذبح الكبش يعني قبضوا عليه وجزّوا رأسه الشّريف[5] .

المثل بذبح الكبش ناظر إلى عدم الاكترات بذبحـه عليه السّـلام كمـا لـم يكترثـوا بالكبش، أو إلى كيّفيّـة الـذّبـح من مـوضـع النّحـر في

(١) عيـون الأخبـار ١ / ٢٣٣ ، بـاب ٣٨ ، الإقبـال ٥٤٥ . سورة آل عمران : الآية / ٣٨ ـ ٣٩ .

(٢) دخل في العام الثاني .

(٣) النجم المعروف ولفظ المصدر « الشعراء » .

(٤) مجمع البحرين في « كبش » .

(٥) الخصائص ١٢٧ ـ ١٢٨ وقضوا عليه ولفظ الكتاب « وقبضوا عليه » .

الكبش كذلك ذبح عليه السّلام من نحره ، ولا ينافي ما جاء في ندبة زينب بنت علي عليهما السّلام : « هذا حسين محزوز الرّأس من القفا »[1] ؛ إذ يتحقّق الذّبح من النحر مقلوباً ومكبوباً كما نقل بالذّبح مواجهةً وإتمامه قفاءً في المقتل[2] سلام الله عليك يا حسين .

---

(١) البحار ٤٥ / ٥٩ ـ ٦٠ .

(٢) نفس المهموم ٢٢٦ . ويمكن أن يكون الذّبح كناية عن الحزّ المطلق نحراً أو القفا أو النحر من القفا .
ولا يخفى أنّه جاء التنظير في قصّة إسماعيل بن ابراهيم بأنّ الحسين عليه السلام تذبحه طائفة من أمّة محمد كما يذبح الكبش عيون الأخبار ١ / ١٦٦ باب ١٨ .

٨٥ ـ ذكاة الجنين ذكاة أمّه

روى الشيخ الصّدوق بإسناده عن الفضل بن شاذان قال : « سأل المأمون علي بن موسى الرّضا عليهما السّلام أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار فكتب عليه السّلام له أنّ محض الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله . . . . ـ إلى أن قال عليه السّلام : ـ وذكاة الجنين ذكاة أمّه إذا أَشْعَرَ وأَوْبَرَ ـ . . . »[1] .

والحديث مطوّل وفيه بيان محض الإسلام على سبيل الاختصار .

وقوله عليه السّلام : « وذكاة الجنين ذكاة أمّه إذا أَشْعَرَ وأَوْبَرَ » من الأصول الفقهيّة المتواترة عليها روايات أهل البيت عليهم السّلام .

ففي صحيح صادقيّ : « عن الحوار[2] تذكّى أمّه أيؤكل

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٢٠ ـ ١٢٥ ، والكلمة في ص ١٢٣ .

(٢) الحوار بالضمّ : وهو ولد النّاقة ولا يزال حواراً حتى ينفصل ، فإذا فصل عن أمّه فهو فصيل أي مفصول . مجمع البحرين في « حور » .

بذكاتها ؟ فقال : إذا كان تماماً ونبت عليه الشّعر فكلْ »[1] .

ومضمر سماعة : «قال سألته عن الشّاة يذبحها وفي بطنها ولد وقد أشعر قال : ذكاته ذكاة أمّه »[2] .

وعن محمد بن مسلم قال : « سألت أحدهما عليهما السّلام عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام ﴾[3] . قال : الجنين في بطن أمّه إذا أشْعَرَ وأَوْبَرَ فَذكاته ذكاة أمّه ، فذلك الّذي عنى الله عزّ وجلّ »[4] .

وصحيح صادقيّ : « إذا ذبحت الذبيحة فوجدت في بطنها ولداً تامّاً فكل ، وإن لم يكن تامّاً فلا تأكل »[5] .

وصحيح باقري مثله[6] ، وكذا صادقي آخر[7] .

وقد صرّح في ثمان روايات الباب[8] بكلمة « ذكاة الجنين ذِكاة أمّه » الّتي تعتبر من الأمثال السّائرة لدورانها على الألسن ككثير من الكلمات الجارية عليها مثل « كِلّ شيءٍ نظيف حتّى تعلم أنّه

---

(١) الوسائل ١٦/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .
(٢) المصدر ص ٣٢٩ .
(٣) سورة المائدة : الآية / ١ .
(٤) الوسائل ١٦ / ٣٢٩ .
(٥) المصدر .
(٦) المصدر .
(٧) المصدر ص ٣٣٠ .
(٨) الباب ١٨ من أبواب الذبائح من كتاب الصيد والذبائح من المصدر : ص ٣٢٨ ـ ٣٣١ .

قـذر »[١] و « الميسـور لا يسقط بـالمعسـور »[٢] . و « مـا لا يـدرك كلّه لا يتـرك كلّه »[٣] . على أنّ الكلمة المـذكورة أصلهـا هـو النّبـويّ المـرويّ[٤] وبعـد ذلـك سـارت على لسـان الأئمّـة البـاقـر والصّـادق والكـاظم والرضـا عليهم السلام ، ثم على ألسن سـائر النّـاس ، فهي مثـل سائر عند أهل البيت عليهم السّلام وغيرهم .

وحـاصـل معنى الكلمــة أنّ جنين الـذّبيحــة حـلال إذا حلّت ، بشـرط تماميّتـه وإشعاره في بطنها، هذا إذا لم تلده حيّاً وإلاّ فـلا بـدّ من التّذكية له ولا تكفي ذكاة أمّـه ، وعليه تحمـل الآية المتقـدمّة كمـا في صخيـح محمد بن مسلم المتقـدّم ذكره ، وإطـلاقها كبقيّـة إطـلاقـات الكتاب العزيز المقيّدة بالسّنّة المعتبرة كما قرّر في محلّه .

---

(١) الـوسائـل ٢ / ١٠٥٤ ، باب ٣٧ من أبـواب النّجاسـات ، حديث ٤ عن عمـار عن الصادق عليه السلام .
(٢) عوالي اللئالي ٤ / ٥٨ ، عوائد الأيام ٨٨ .
(٣) عوالي اللئاليء ٤ / ٥٨ .
(٤) مستدرك الوسائل ٣ / ٦٧ ، باب ١٦ من أبواب الذبائح .

٨٦ ـ الذّكر رسول الله ونحن أهله

روى الصّدوق حديث استدلال الإمام الرّضا عليه السّلام بالاثني عشر آية على فضل أهل البيت على سائر النّاس جواباً لما قالته علماء أهل العراق وخراسان بمحضر المأمون الّذي جمعهم ليكسر بهم الإمام عليه السّلام كما هي عادته في غير مجمع واحد وهو عليه السّلام يردّ مكرهم في نحورهم في كلّ مرّة وافتضحوا بأجمعهم في مناظراتهم معه ،وقدتعرّضنا لذكر كثير منها عند كلمات استخرجناها[١] قال عليه السّلام :

« وأمّا التّاسعة فنحن أهل الذّكر الّذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿ **فسئلوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾[٢] . فنحن أهل الذّكر فاسألونا إن كنتم لا تعلمون ، فقال العلماء : إنّما عنى الله بذلك اليهود والنّصارى ، فقال أبو الحسن عليه السّلام : سبحان الله وهل يجوز ذلك ؟ إذاً يدعون إلى دينهم ويقولون : إنه أفضل من دين

---

(١) حرف الهمزة مع النون ، والهمزة مع الياء ، والجيم مع العين ، والسّين مع الألف ، والفاء مع الضاد ، والكاف مع اللام .

(٢) سورة النحل : الآية / ٤٣ . وسورة الأنبياء : الآية / ٧ .

الإسلام ، فقال المأمون : فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوه يا أبا الحسن ؟ فقال أبو الحسن : نعم الذّكر رسول الله ونحن أهله ؛ وذلك بُيّن في كتاب الله عزّ وجلّ حيث يقول في سورة الطّلاق : ﴿ فاتّقوا الله يا أولى الألباب الّذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبيّنات ﴾[1] . فالذكر رسول الله صلّى الله عليه وآله ونحن أهله . فهذه التاسعة »[2] .

لا ينافي نزول الآية في اليهود والنّصارى الآمرة برجوعهم إلى علمائهم في صدق دعوة خاتم الأنبياء عليهم السلام تفسير الرضا عليه السّلام لأنّ للقرآن تصاريف ووجوهاً صحيحة وهو كما قال عليه السّلام، إذ لو كان السّائلون المسلمين ، والمسؤول عنهم اليهود والنّصارى للزم أحقيّة دينهم وقد قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾[3] .

وفي نبويّ : « الذّكر أنّا والأئمّة أهل الذكّر »[4] .

وصادقيّ : « الذّكر محمّد ونحن أهله المسؤولون قال: قلت : قوله : ﴿ وإنّه لذكر ، لك ولقومك وسوف تسألون ﴾[5] قال : إيّانا عنى ونحن أهل الذّكر ونحن المسؤولون »[6] .

---

(١) سورة الطلاق : الآية / ١٠ ـ ١١ .
(٢) عيون أخبار الرضا ١ / ١٨٧ .
(٣) سورة آل عمران : الآية / ٨٥ .
(٤) أصول الكافي ١ / ٢١٠ .
(٥) سورة الزخرف : الآية / ٤٤ .
(٦) أصول الكافي ١ / ٣١٠ .

وبـاقـريّ : « إنّ مَنْ عنـدنـا يـزعمـون أنّ قـول الله عـزّ وجـلّ : ﴿ **فســألـوا أهــل الــذّكــر إن كنتم لا تعلمــون** ﴾[1] إنّهم اليهــود والنّصـارى ، قـال : إذاً يـدعـونكم إلى دينهم ! قال : ـ قـال بيـده إلى صدره ـ نحن أهل الذّكر ونحن المسؤولون »[2] .

والعقـل قاضٍ بأنّ المسؤول عنـه في الأمـور المهمّــة لا بـدّ أن يكون الأعلم الأفضلَ خاصّة إذا كان الآمر بـالسّؤال هو الله جـلّ جلالـه كما في المقام خـاصّة في الّـدين الخالص الّـذي لا يقبل الله عـزّ وجلّ غيره وهل في ذلك ريب ؟ كلا .

---

(١) سورة الأنبياء : الآية / ٧ . وسورة النحل : الآية / ٤٣ .

(٢) أصول الكافي ١ / ٢١١ .

٨٧ ـ ذنب من تخلّف عنه
ولم يتب أعظم من ذنب من قاتله ثم تاب

قال الصّدوق: حدّثنا محمد بن يحيى الصّولي قال: حدّثنا عون بن محمد قال: حدّثنا سهل بن القاسم قال: « سمع الرّضا ـ عليه السّلام ـ عن بعض أصحابه يقول: لعن الله من حارب أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ فقال له: قل إلاّ من تاب وأصلح، ثمّ قال: ذنب من تخلّف عنه ولم يتب أعظم من ذنب من قاتله ثمّ تاب »[١].

ممّن حارب الحق ثم تاب وأصلح الحرّ بن يزيد الرّياحي حيث جعجع بالحسين عليه السّلام وأهل بيته في مسيرهم إلى كربلاء من حادثة الطف المؤلمة عام ستّين هـ، ثم تاب على يديه يوم العاشر من المحرّم عام ٦١ هـ، وقتل في سبيل الله عزّ وجلّ رحمه الله[٢].

أمّا من الصّنف المتخلّف غير التّائب فكثير في التاريخ، منه

(١) عيون الأخبار ٢ / ٨٦.

(٢) البحار ٤٥ / ١٣ ـ ١٥، وفيه أشعاره منها:

* اني أنا البر ومأوي الضيف * الأبيات

بلعم بن باعورا تخلّف عن النّبيّ موسى عليه السّلام وحاربه بما كان عنده من الأسم الأعظم قد اقتصّ الله عزّ وجلّ قصّته في القرآن الكريم، وضرب مثله بالكلب اللّاهث قال تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ الّذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعنا بها ولكنّه اخلد إلى الأرض واتّبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الّذين كذّبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلّهم يتفكّرون** ﴾[1] .

وجاء في حديث الرّضا عليه السّلام : « أنّه أعطي بلعم بن باعورا الأسم الأعظم وكان يدعو به فيستجيب [فيستجاب] له فمال إلى فرعون فلمّا مرّ فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون لبلعم : ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته . . » إلى آخره وقد ذكرناه عند « بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرب إلى أسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها »[2] . وحديث الباقر عليه السّلام : « الأصل فيه بلعم ،ثم ضربه الله مثلاً لكلّ مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة »[3] . والعيّاشي عنه عليه السّلام : « مثل المغيرة بن سعيد مثل بلعم الّذي أوتي الأسم الأعظم الّذي قال الله : ﴿ **آتيناه آياتنا . . . الآية** ﴾ . . . »[4]

أقول في تفسير العيّاشي : « عن سليمان بن اللّبان قال : قال أبو جعفر عليه السّلام : أتدري ما مثل المغيرة بن شعبة؟ قال: قلت : لا ، قال : مثله مثل بلعم . . . »[5] والمغيرة بن شعبة

(١) سورة الأعراف : الآية / ١٧٥ ـ ١٧٦

(٢) انظر حرف الباء مع السين .

(٣) تفسير الصافي ١ / ٦٢٦ .

(٤) المصدر .

(٥) تفسير العيّاشي ١/ ٤٢ .

ولّاه عمر بن الخطاب البصرة ولم يزل عليها حتى شهد عليه بالزّنا فعزله، ثم ولّاه الكوفة فلم يزل عليها حتى قتل عمر فأقرّه عثمان عليها، ثم عزله وولّاه معاوية الكوفة ، مات سنة خمسين من الهجرة وهو ابن سبعين[1] ، وجاء ذمّه في أكثر من رواية . وأمّا المغيرة بن سعيد ففي حديث الرّضا عليه السّلام : « كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السّلام فأذاقه الله حرّ الحديد »[2] . وهو الّذي دسّ في كتب أصحاب الباقر عليه السّلام أحاديث لم يحدّث بها[3] وعليه صحيح ابن شعبة .

---

(١) هامش المصدر ، وجاءت ترجمته في معجم رجال الحديث ١٨ / ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

(٢) معجم رجال الحديث ١٨ / ٢٧٦ .

(٣) المصدر ص ٢٧٦ .



حرف الرّاء

٨٨ ـ الرّؤيا على ما تُعَبّر

روى الكليني في الصّحيح عن الحسن بن جهم قال : سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول : « الرّؤيا على ما تعبّر ، فقلت له : إنّ بعض أصحابنا روى أنّ رؤيا المَلِك كانت أضغاث أحلام ، فقال أبو الحسن عليه السّلام : إنّ امرأة رأت على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ جذع بيتها قد انكسر فأتت رسول الله صلّى الله عليه وآله فقصّت عليه الرّؤيا فال لها النّبيّ صلّى الله عليه وآله : يقدم زوجك ويأتي وهو صالح ، وقد كان زوجها غائباً فقدم كما قال النّبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ ثمّ غاب عنها زوجها غيبةً أخرى فرأت في المنام كأنّ جذع بيتها قد انكسر فأتت النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقصّت عليه الرّؤيا فقال لها : يقدم زوجك ويأتي صالحا ، فقدم على ما قال ، ثم غاب زوجها ثالثة فرأت في منامها أنّ جذع بيتها قد انكسر فلقيت رجلاً أعسر فقصّت عليه الرّؤيا فقال لها الرّجل السّوء : يموت زوجك ، قال : فبلغ [ذلك] النبي صلّى الله عليه وآله فقال : ألاّ كان عبّر لها خيراً »(١) .

تكلّمنا عن المثل النّبويّ : « الرّؤيا لأوّل عابر » ولفظ السّيد الشّريف : « الرّؤيا على الرّجل طائر ما لم نعبّر فإذا عبّرت وقعت فلا تحدثنّ بها إلاّ حبيباً أولبيباً »[3] قال الشّريف : ولمّا جعل عليه الصّلاة والسّلام الرّؤيا بمنزلة الطّائر المتطيّر به جعل تعبيرها على الأمر المكروه بمنزلة وقوع الطّائر موافقة بين أنحاء الكلام حتّى يقع مواقعها[3] . . .

وفي صادقيّ : « الرّؤيا على ثلاثة وجوه : بشارة من الله للمؤمن ، وتحذير من الشّيطان ، وأضغاث أحلام »

وآخر : « . . . أمّا الكاذبة المختلفة فإنّ الرّجل يراها في أوّل ليلة في سلطان المردة الفسقة ، وإنّما هي شيء يخيّل إلى الرّجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها ، وأمّا الصّادقة إذا رآها بعد الثلثين من اللّيل مع حلول الملائكة ، وذلك قبل السّحر فهي صادقة لا تخلّف إن شاء الله إلاّ أن يكون جنباً أو ينام على غير طهور ولم يذكر الله عزّ وجلّ حقيقة ذكره ، فإنّها تختلف وتبطيء على صاحبها »[4] .

أقول : روى الشّيخ الطّريحي خبرين للرّؤيا في ثانيهما : « الرّؤيا على رِجْل طائرٍ ما لم تعبّر فإذا عبّرت وقعت » .

ثمّ ذكر كلاماً عن بعض الشّارحين في تحقيق الرّؤيا الصّادقة والكاذبة يجدر النّظر إليه[5] .

---

(١) روضة الكافي ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .
(٢) الأمثال النّبويّة ١ / ٤٣١ ، الرّقم ٣٧٥ ، حرف الرّاء مع الهمزة .
(٣) المجازات النّبويّة ٢٥٢ .
(٤) روضة الكافي ٩٠ ـ ٩١ .
(٥) مجمع البحرين في « رأى » .

٨٩ ـ ربّما كان السكوت عن الجواب جواباً

في حديث الشّيخ الصّدوق المسند إنشاد المأمون العبّاسيّ من الرّضا عليه السّلام الأبيات في نبذة من الفنون، منها : قال المأمون : « فأنشدني أحسن ما رويته في السّكوت عن الجاهل ، وترك عتاب الصّديق ، فقال عليه السّلام :

إنّي ليهجرني الصّديق تجنّباً	فأريه أن لهجره أسبابا
وأراه إن عاتبته أغريته	فأري له ترك العتاب عتابا
وإذا بُليت بجاهلٍ متحكّم	يجد المحال من الأمور صوابا
أوليتُه منّي السّكوت وربّما	كان السّكوت عن الجواب جوابا

فقال المأمون: ما أحسن هدا ، هذا من قاله ؟ فقال ـ عليه السّلام ـ : لبعض فتياننا»[1] .

قال الميداني في مجمع الأمثال : (ربّما كان السّكوت جواباً) ، هذا كقولهم : (ترك الجواب جواب) قال أبو عبيد : يقال ذلك للرّجل الّذي يجل خَطَرَهُ عن أن يكلّم بشيءٍ ، فيجاب بترك

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٢ ـ ١٧٣ .

الجواب[1] .

ليس كلّ كلام صواباً وجواباً،بل ربّ سكوتٍ أجمل من كلام ، وأبلغ منه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ربّ سكوت أبلغ من كلام »[2] .

والمهمّ معرفة موضع الإصابة من كلام أو سكوت ربّ مقام لا يصلح فيه إلّا الكلام ، وآخر لا يسوغ فيه إلّا تركه والنّاس أطوار مختلفون في إدراك المقاصد وليسوا فيها سواء ، فمنهم من تكفيه الإشارة .

قال الميداني :

العبد يقرع بالعصا والحرّتكفيه الإشارة[3]

ومنهم مَن لو لم تُعد الكلام مرّتين أو ثلاثاً لا يعي ، فالحكيم أو مَنْ وهب له أدنى شعور لا يعامل النّاس إلّا على مقدرتهم؛ومن ثَمَّ جاء الحديث النّبويّ : « إنّا معاشر الأنبياء نكلّم النّاس على قدر عقولهم »[4] .

والعلويّ : « لسان الحال أصدق من لسان المقال »[5] . وهو السّكوت والكفّ عن التكلّم أحياناً .

ثمّ المثل الرّضويّ قد عرفت أنّه المثل السّائر ، ونظيره

---

(١) ج ١ / ٣٠٢ ، حرف الرّاء .
(٢) غرر الحكم ١٨٤،في (رُبّ) .
(٣) مجمع الأمثال ٢ / ١٩ ، حرف العين .
(٤) إحياء العلوم ١ / ٧٤ .
(٥) غرر الحكم ٢٦٤،حرف اللّام .

العلويّ : « ربّ كلام جوابه السّكوت »[1] .

وحاصل البحث أنّ الكلام والسّكوت لا بدّ من الإتيان بهما بقدر الحاجة وإصابة الموضع اللاّئق .

ويعجبني ذكر حديثين رواهما الشّيخ الصّدوق، قال: حدّثني أبي رحمه الله قال: حدّثنا سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن هاشم عن عليّ بن معبد عن الحسين بن خالد عن إسحاق بن عمّار قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام: « الرّجل آتيه أكلّمه ببعض كلامي فيعرف كلّه ، ومنهم من آتيه فأكلّمه بالكلام فيستوفي كلامي كلّه ، ثمّ يردّه عليّ كما كلّمته ، ومنهم من آتيه فأكلّمه فيقول : أعد عليّ .

فقال: يا إسحاق، أوما تدري لم هذا؟ قلت: لا ، قال: الّذي تكلّمه ببعض كلامك فيعرف كلّه فذاك مَنْ عجنت نطفته بعقله، وأمّا الّذي تكلمه فيستوفي كلامك ثمّ يجيبك على كلامك فذاك الّذي ركّب عقله في بطن أمّه ، وأمّا الّذي تكلّمه بالكلام فيقول : أعد عليّ ، فذاك الذي ركب عقله فيه بعدما كبر فهو يقول أعد عليّ »[2] .

هذا هو الحديث الأوّل .

وأما الثّاني : فقال الصّدوق : حدّثنا محمد بن الحسن قال : حدثنا محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله ـ عليه السّلام ـ قال : « دعامة الإنسان العقل ، ومن العقل الفطنة والفهم والحفظ والعلم ، فإذا كان تأييد عقله من النّور ، كان عالماً حافظاً ذكيّاً فطناً فهماً ، وبالعقل يكمل ، وهو دليله ومبصره ومفتاح

---

(١) غرر الحكم ١٨٣ ، في (رب)
(٢) علل الشّرائع ١ / ١٠٢ ـ ١٠٣

أمره »[1] .

من الحديثين الشّريفين يتجلّى البُعد الشّاسع ربّما بين أخوين أحدهما سريع الفهم والإدراك والآخر بطيئهما فضلاً عن غيرهما من النّاس البعداء المختلفة أقطارهم وقبائلهم ؛ فإنّ التّفاوت في أفهامهم من الكثرة الكاثرة بمكان .

ولأمير المؤمنين كلام يشير به فقال -عليه السّلام ـ وقد ذكر عنده اختلاف النّاس :

« إنّما فرّق بينهم مباديء طينهم ، وذلك أنّهم كانوا فلقةً من سَبَخ أرضٍ وعذبها ، وحَزْن تربةٍ وسهلها ، فهُمْ على حسب قرب أرضهم يتقاربون ، وعلى قدر اختلافها يتفاوتون ، فتامّ الرُّواء ناقص العقل ، ومادّ القامة قصير الهمّة ، وزاكي العمل قبيح المنظر، وقريب القعر بعيد السَّبْر ، ومعروف الضّريبة منكر الجليبة ، وتائه القلب متفرّق اللّبّ ، وطليق اللّسان حديد الجنان »[2] .

وابن أبي الحديد أوّل الكلام العلويّ بما يراه ، وليس الأمر على ما أوّله بل له معنى صحيح تعرضنا لبيان بعض ذلك دون الاستيفاء[3] .

ولشرحه موضع خاصّ لا بدّ من النّظر إلى ملابساته وشواهده والجمع بين الأدلّة كما هو شأن كلّ موضوع نظريّ تتطرّق إليه المحتملات من داخل وخارج .

---

(١) علل الشّرائع ١ / ١٠٣ . باب ٩١ ، علّة سرعة الفهم وإبطائه .
(٢) النهج ١٣ / ١٨ ، كلام ٢٢٩ .
(٣) حرف الميم مع الألف من الأمثال العلوية : « مادّ القامة قصير الهمّة » ، مخطوط .

٩٠ ـ رقة العراقي غير غليظة

روى الصّدوق بسند له إلى الحسن بن محمّد النّوفلي ثم الهاشمي يقول : لمّا قدم علي بن موسى الرّضا عليه السّلام على المأمون أمر الفضل بن سهل أن يجمع له أصحاب المقالات مثل الجاثليق ورأس الجالوت ورؤساء الصّابئين والهربذ الأكبر وأصحاب زرادشت ونسطاس الرّومي والمتكلّمين ليسمع كلامه وكلامهم ، فجمعهم الفضل بن سهل ، ثم أعلم المأمون بإجتماعهم فقال : أدخلهم عليّ ، ففعل فرحّب بهم المأمون، ثم قال لهم : إنّي إنّما جمعتكم لخير وأحببت أن تناظروا ابن عمي هذا المدني القادم عليّ، فإذا كان بكرة فاغدوا عليّ ولا يتخلّف منكم أحد ، فقالوا: السّمع والطّاعة يا أمير المؤمنين نحن مبكّرون إن شاء الله .

قال الحسن بن محمد النّوفلي : فبينا نحن في حديث لنا عند أبي الحسن الرّضا ـ عليه السّلام ـ إذ دخل علينا ياسر الخادم وكان يتولّى أمر أبي الحسن ـ عليه السلام ـ فقال له : يا سيّدي إنّ أمير المؤمنين يقرئك السّلام ويقول: فداك أخوك إنّه أجمّع إليّ أصحاب المقالات وأهل الأديان والمتكلّمون من جميع الملل فرأيك في البكور علينا إن أجبت كلامهم ، وإن كرهت ذلك فلا تتجشّم ، وإن أحببت أن نصير إليك خفّ ذلك علينا .

فقال أبو الحسن : أبلغه السّلام وقل له : قد علمت ما أردت وأنا صائرٌ إليك بكرة إن شاء الله . قال الحسن بن محمد النّوفلي : فلمّا مضى ياسر التفت إلينا، ثم قال لي : « يا نوفلي أنت عراقيّ ورقّة العراقي غير غليظة . . . »[1] .

إنّما ذكرنا الحديث بسنده إلى هنا لأجل ربطه بالكلمة المثليّة : « رقّة العراقي غير غليظة » .

قال السّيّد المعلّق :

الرّقّة في كلّ موضع يراد بها معنى ، فيقال مثلاً : رقّة القلب ويراد بها الرّحمة ، ورقّة الوجه ويراد بها الحياء ، ورقّة الكلام ويراد عدم الفدفدة فيه ، والظّاهر أنّ مراده عليه السّلام حيث أضاف الرّقة إلى الإنسان هو رقّة الجهة الإنسانيّة ، وهي : سرعة الفهم وجودته وإصابة الحدس وصفاء الذّهن وعمق الفكر وحسن التّفكر وكمال العقل . وغير غليظة خبر في اللّفظ ، وفي المعنى صفة مفيدة للكمال ، أي : للعراقيّ رقّة رقيقة كما يقال : ليل لائل ، أي : كامل الإظلام[2] ، ونور نيّر، أي : كامل في النّوريّة ، وجمال جميل، أي : كامل في الجماليّة . ولايبعد أن يراد بها الرّوح ؛ فإنّ للإنسان لطافة هي روحه وكثافةً هي بدنه، أي : روح العراقيّ غيّر غليظة لا تقف دون ما يرد عليه من المسائل، بل تلج فيه وتخرج منه بسهولة وتكشف حقّ الأمر وحقيقة الحال[3] .

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٢٧ ، التّوحيد ٤١٧ ـ ٤١٨ .

(٢) لعلّ الصّحيح الظّلام

(٣) هامش التّوحيد ٤١٨ ـ ٤١٩ .

وقد جاء بمعنى الورق الرّقة محذوفة الواو المبدلة عنها بالتّاء، صرّح بذلك ابن =

أقول :

إن كانت اللّفظة من « رقّ عليه قلبه » أي : لان . فلا يساعدها قوله عليه السّلام : « غير غليظة » وذلك ؛ لأنّ الرّقة في قبال الغلظة لا يفتقر سلب الغلظة عنها لاستغناء ذكر أحد المتقابلين عن سلب ما يقابله ، وما وجّه به بأنّه من قبيل « ليل لائل ، ونور نيّر ، وجمال جميل » غير جميل ؛ لأنّ اللّفظ المكرّر مذكور في نفس الأمثلة الثّلاثة ففراراً عن التّكرار يوجّه بما ذكر وهو في محلّه من ذكر ذلك للتّأكيد .

وأمّا في المقام فغير مكرّر من لفظ « الرّقّة » بل المذكور في الحديث الرّقّة وما يضادّها أي الغلظة المسلوبة والمناسب تفسيرها بشيء آخر من المعنى التّأسيسيّ الّذي هو خيرٌ من التأكيد .

والّذي أظنّه - والظّن لا يغني من الحقّ شيئاً - أنّ لفظ الحديث : « وَرَقَةُ العراقي غير غليظة » بتخفيق القاف من الورق : إمّا من ورق الشّجر ، وعليه يكون المراد به سرعة الأثر والانعطاف كما يقال في المثل الفارسي : « مثل برگ گل نازگ است » أي : مثل ورق الورد رقيق لطيف . فيكون من المثل السّائر . يقال ذلك لمن كان له قلب رقيق ولطيف

والمعنى أنّ العراقيّين هم كالورد اللّطيف لأنهم من أهل الولاية كما كانوا في جيش عليّ عليه السّلام في صفّين في قبال جيش معاوية حيث كانوا من أهل الشّام ، وكان أهل العراق هو الموالون له

= منظور قال : الورق : الدّراهم المضروبة وكذلك الرّقة ، والهاء عوض من الواو . اللسان ١٠ / ٣٧٥ ، في (ورق) وجمع الرّقة رقوق . إلّا أن يقال : أنّ المحذوفة منه الواو إنّما هو بمعنى الدّراهم لا من ورق الشّجر وغيره فلا يجوز حذفها ، بل يقال الورق بإثبات الواو .

ولأهل البيت عليهم السّلام[1]؛ لأنّ عليّاً عليه السّلام كان في العراق ومعاوية المحارب في الشام .

فلعلّ الحدبث الرّضوي ناظر إلى هذه النّاحية الولائيّة بضرب المثل للنّوفلي العراقيّ بورق الشّجر في الانعطاف واللطافة لقبول ما بثّ له الرّضا عليه السّلام من الأزمة الّتي كان يعانيها من قبل طاغية زمانه المأمون العباسي من جمع أهل المقالات وأصحاب المذاهب وغيرهم ليكسر بهم الإمام عليه السّلام ولو احتمالاً في المناظرة معهم ، وكان الأمر على خلاف ما أضمره المأمون كما صرّح ذلك في نفس الحديث .

وإمّا ·س الورق : القرطاس ، ونفي الغلظة ؞ ´ اية عمّا وهب النّوفلي من قابليّة القبول لما يكتب في قلبه وينتقش فيه من علوم الرّضا عليه السّلام وما يلقى عليه من الأخبار الغيبيّة؛ إذ نوع من القراطيس ما لا يقبل الكتابة والنقش لفقد البياض منه أو لرداءة جنس القرطاس وكدرته ، فضرب الرّضا عليه السّلام المثل بأنّ النّوفلي كالورق والقرطاس الأبيض اللّطيف القابل للكتابة والّذي أملى عليه وليس فيه غلظة وكدورة تمنع من ذلك أو تعوق من قبول الحقّ .

فالكلام مصوغ مثلاً إمّا من المثل السّائر ا‍لمضروب من الورد في الّلطافة ، أو من النّوع الثاني بمعنى القرطاس المضروب للقلب

---

(١) ربّما يقال : إنّ الأمر بالعكس لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يشكو إلى الله عزّ وجلّ من تمرّد أصحابه وجلّهم عراقيّون .
والجواب : بأن نقول ليس الكلام بصدد إثبات العموم بل النّوفلي كان كذلك ولكن الوصف مشعرٌ بالعلّة وعليه فيحتمل أن يكون المراد به بأنّ الجدير بالعراقي أن يكون رقيق القلب غير غليظه لوجود أهل البيت عليهم السلام وفي =

الصّـافي الخالي من المـوانع عن قبـول الحقّ الّذي أمـلاه الرّضـا عليه السّلام على النّوفلي العراقيّ. وفي المثل الفـارسي أيضاً يقـال : « مثل كاغذ سفيد است » أي : كالقرطاس الأبيض الخالي النقوش وهو معنىٰ قوله عليه السّلام : « غير غليظة » ، أي : رقيقة لطيفة ، ولا يقال ذلك إلّا عند قابليّة القلب لقبول الحقّ والحافظ له .

وعلى التفسيـرين يبقى سؤال العطف بـأنّ الـواو إن كـان من واو الـورق سواء أكـان من ورق الشّجر أم القـرطاس فـأين الواو الآخـر واو العـطف ليرتبط بـه الكلام ؟ وليس المقـام من مـواضـع الحـذف حتّى يقال إنّه في التقدير .

وعليـه يشبـه أن يكـون الحقّ مـا ذكـره السّيّـد المعلّق من كــون الكلمـة من رقة القلب الّتي تقـابـل الغلظة، ومنها: النّبـويّ المـروي في مدح قبيلة الأزد : « أتتهم الأزد أرقّها قلوباً ، وأعذبها أفواها »[1] .

= مقدمتهم أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة التي كانت خلافته فيها إلى آخر أيام حياته روحي فداه .

(١) علل الشّرائع ١ / ٢٩٤ ـ ٢٩٥ . وفيه بيان علّة ذلك .



حرف الزّاي

٩١ ـ زفت أربعة أيّام الى الله كما تزفّ العروس إلى خدرها

قال السّيّد ابن طاووس رحمه الله تعالى : (فصلٌ) فيما نذكره من فضل يوم الغدير من كتاب النّشر والطي رواه عن الرّضا عليه السّلام قال :

« إذا كان يوم القيامة زفّت أربعة أيّام إلى الله كما تزفّ العروس إلى خدرها . قيل: ما هذه الأيام ؟ قال : يوم الأضحى ، ويوم الفطر ، ويوم الجمعة ، ويوم الغدير ، وأنّ يوم الغدير بين الأضحى والفطر والجمعة كالقمر بين الكواكب وهو اليوم الذي نجا فيه ابراهيم الخليل من النار فصامه شكراً لله ، وهو اليوم الّذي أكمل الله به الدّين في إقامة النّبيّ عليه السلام عليّاً أمير المؤمنين علماً، وأبان فضيلته ووصاءته فصام ذلك اليوم ، وأنّه ليوم الكمال ويوم مرغمة الشيطان ، ويوم تقبل أعمال الشيعة . . . »[1] .

---

(١) إقبال الأعمال ٤٦٤ .

اشتمل الحديث على أربعة تمثيلات : اثنان منها : التّمثيل بزفّ العروس ، والقمر بين الكواكب[1]. واثنان آخران في باقي الحديث الّذي لم نذكره وهما : « مثل المؤمنين في قبولهم ولاء أمير المؤمنين في يوم غدير خم كمثل الملائكة في سجودهم لآدم ، ومثل من أبى ولاية أمير المؤمنين في يوم الغدير مثل إبليس . . . »[2]

أمّا التمثيل الأول أي زف الأيام الأربعة : الأضحى والفطر والجمعة والغدير يوم القيامة إلى الله عزّ وجل بزفّ العروس إلى خدرها، فالغرض منه التبجيل والترفيع، أي : فكما أنّ العروس ليلة زفافها عليها أفخر ثيابها وحليّها وهي أجمل ليلة في دنياها الّتي تعيشها كذلك هذه الأعياد الأربعة لا تعرف جلالتها ومرتبتها السامية إلّا في يوم القيامة، إنّ الله تعالى يظهر قدرها لأهل المحشر ومالها عنده عزّ وجلّ من عظيم الجلال والرّفعة ، كلّ ذلك لأجل ما تليها من حقائق مستورة اليوم عن الناس تنكشف لهم يوم القيامة كبقية الحقائق المستورة عن الأبصار وقد جاء على لسان أهل البيت عليهم السلام بيانها آمن بها المؤمنون كما جاء، وجحدها غيرهم جهلاً وعناداً، منها: يوم الغدير الأغرّ الذي كمل به الدين وتمت النعمة بنصب عليّ امير المؤمنين إماماً للناس وعلماً وهدىً ورحمةً وخليفةً للرسول بعد وفاته يقوم مقامه استمراراً لنبوته وحفظاً للأحكام التي صدع بها في رسالته، لولاه لاندرست آثارها وذهبت أنوارها وأبى الله إلّا أن يتمها به وبأهل بيته الطاهرين عليهم السلام .

---

(١) حرف الكاف مع القاف .
(٢) إقبال الأعمال ٤٦٥ .

٩٢ ـ زيد والله ممّن خوطب بهذه الآية

روى الصّدوق بسند لـه إلى ابن أبي عبدون عن أبيـه قال : لمّـا حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المـأمون وقـد كان خـرج بالبصـرة وأحرق دور ولد العبّاس ، وهب المأمون جرمـه لأخيه علي بن مـوسى الرّضا ـ عليه السّلام ـ وقال له : يـا أبا الحسن لئن خـرج أخوك وفعـل مـا فعل لقـد خرج قبله زيـد بن علي، فقتل، ولـولا مكـانـك منّي لقتلتُه، فليس مـا أتاه بصغيـر .

فقـال الـرّضـا عليـه السّـلام : يـا أميـر الـمؤمـنيـن لا تقس أخـي زيـداً إلى زيـد بـن علي ؛ فـإنّـه كـان مـن علمـاء آل مـحمد ، غضب لله عـزّ وجـلّ فجـاهـد أعـداءه حتى قتـل في سبيله، ولـقـد حدّثني أبي موسى بن جعفـر عليهما السّـلام أنه سمـع أباه جعفـر بن محمـد بن علي عليهم السّلام يقـول : رحم الله عمّي زيـداً إنّـه دعـا إلى الرّضا من آل محمد ، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشـارني في خـروجه فقلت لـه : يا عم إن رضيت أن تكـون المقتول المصلوب بـالكناسـة فشأنك، فلمّا ولّى قـال جعفر بن محمـد : ويـل لمن سمـع واعيته فلم يجبه .

فقال المأمون : يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقّها ما جاء ؟ فقال الرّضا عليه السّلام : إنّ زيد بن علي لم يدّع ما ليس له بحقّ، وإنّه كان أتقى لله من ذلك، إنّه قال : أدعوكم [إلى] الرّضا من آل محمد عليهم السّلام، وإنّما جاء ما جاء فيمن يدّعي أنّ الله تعالى نصّ عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ويضلّ عن سبيله بغير علم ، وكان زيد والله ممّن خوطب بهذه الآية : ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ﴾[1] .

أقول : قد ترجم زيد بن عليّ الكثير من أصحاب الحديث والفقه ، وإليك ما نقله الشّيخ الصّدوق من ستّ روايات فيه تنصّ على ما لزيد من إجلال. قال الصّدوق . لزيد بن علي فضائل كثيرة عن غير الرّضا أحببت إيراد بعضها[2] . . . وأنا أذكره بدون إسناد .

١ ـ « قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ للحسين عليه السّلام : يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له : زيد يتخطّا هو وأصحابه يوم القيامة رقاب النّاس غُرّاً محجّلين يدخلون الجنّة بلا حساب »[3] .

٢ ـ « عن عمرو بن خالد قال : حدّثني زيد بن علي بن الحسين عليهم السّلام وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني الحسين بن عليّ عليهما السّلام وهو آخذ شعره، قال: حدّثني علي بن أبي طالب عليه

---

(١) سورة الحج : الآية / ٧٨ عيون أخبار الرضا ١ / ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٢) المصدر ص ١٩٥ .

(٣) المصدر ، (غُرّ) جمع أغرّ قال الطّريحي : في وصف علي عليه السلام : « قائد الغُرّ المحجّلين » جمع أغرّ من الغُرة وهي : بياض في الوجه، يريد بياض وجوههم بنور الوضوء. مجمع البحرين في (غرر) .

السّلام وهو آخذ بشعره عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وهو آخذ بشعره، قال : من آذى شعرةً منّي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله عزّ وجلّ، ومن آذى الله عزّ وجلّ لعنه الله ملؤ السماء والأرض »[1] .

٣ ـ « عن معمّر قال : كنت جالساً عند الصّادق جعفر بن محمد عليهما السلام، فجاء زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام فأخذ بعضادتي الباب، فقال له الصادق جعفر بن محمد : يا عمّ أعيذك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة، فقالت أم زيد : والله لا يحملك على هذا القول غير الحسد لابني، فقال عليه السلام : يا ليته حسدا يا ليته حسداً ثلاثاً، حدّثني أبي عن جدي أنّه قال : يخرج من ولده رجل يقال له : زيد يقتل بالكوفة، ويصلب بالكناسة يخرج من قبره حين ينشر تفتح لروحه أبواب السماء يبتهج به أهل السّموات والأرض يجعل روحه في حوصلة طير أخضر يسرح في الجنّة حيث يشاء »[2] .

٤ ـ « عن جابر الجعفي قال : دخلت على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام وعنده زيد أخوه فدخل عليه معروف بن خرّبوذ المكي قال له أبو جعفر عليه السلام : يا معروف أنشدني من طرائف ما عندك فأنشده :

لعمرك ما إن أبو مالك بوانٍ ولا بضعيف قواه
ولا بألدّ لدى قوله يعادي الحليم إذا ما نهاه
ولكنّه سيّد بارع كريم الطّبائع حلوٌ ثناه
إذا سدته سدت مطواعة ومهما وكلت إليه كفاه

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٩٥ ـ ١٩٦ ، الضّمير في « بشعره » يعود إلى الآخذ ، فتدبّر آخر الحديث .

(٢) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٩٦ .

قال : فوضع محمد بن علي يده على كتفي زيد وقال : هذه صفتك يا أبا الحسن »[1] .

٥ ـ « عبد الله بن سيابة قال : خرجنا ونحن سبعة نفر فأتينا المدينة فدخلنا على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال لنا : أعندكم خبر عمّي زيد ؟ فقلنا : قد خرج أو هو خارج ، قال : فإن أتاكم خبر فأخبروني، فمكثنا أيّاماً فأتى رسول بسام الصّيرفيّ بكتاب فيه : أمّا بعد فإنّ زيد بن علي قد خرج يوم الأربعاء غُرة صفر ، فمكث الأربعاء والخميس ، وقتل يوم الجمعة ، ومعه فلان وفلان فدخلنا على الصّادق عليه السّلام فدفعنا إليه الكتاب[2] فقرأه وبكى ثم قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون، عند الله تعالى أحتسب عمّي ، إنّه كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين صلوات الله عليهم »[3] .

٦ ـ « عن الفضيل بن يسار قال : انتهيت الى زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام صبيحة يوم خرج بالكوفة، فسمعته يقول : من يعينني منكم على قتال أنباط[4] أهل الشام ؟ فوالّذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً لا يعينني منكم على قتالهم أحد إلاّ أخذت بيده يوم القيامة فأدخلتُه الجنّة بإذن الله عزّ وجلّ ، فلما قتل اكتريت راحلة

---

(١) المصدر ص ١٩٦ ـ ١٩٧ .

(٢) في نسختي « الكتابة » فصحّحت .

(٣) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٩٧ .

(٤) جمع نبط كسبب وأسباب : قوم ينزلون البطائح بين العراقين ، والنّبطية منسوبة إليهم ، قيل إنّهم عرب استعجموا أو عجم استعربوا، و في المصباح : (النبط): جيل من النّاس كانوا ينزلون سواد العراق ، ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم . قاله الطريحي في مجمع البحرين في (نبط) .

وتوجّهت نحو المدينة، فدخلت على أبي عبد الله عليه السّلام، فقلت في نفسي : والله لأخبرنّه بقتل زيد بن علي فليجزع عليه ، فلمّا دخلت عليه قال لي : ما فعل عمّي زيد ؟ فخنقتني العبرة فقال : قتلوه ؟ قلت : أي والله قتلوه قال : فصلبوه ؟ قلت : أي والله فصلبوه ، قال : فأقبل يبكي[و]دموعه تنحدر عن جانبي خدّه كأنّها الجمان ، ثم قال : يا فضيل شهدتَ مع عمّي زيد قتال أهل الشام ؟ قلت : نعم ، فقال فكم قتلتَ منهم ؟قلتُ: ستّةً قال : فلعلّك شاكّ في دمائهم ؟ قلت : لو كنت شاكاً في دمائهم ما قتلتهم فسمعته وهو يقول : أشركني الله في تلك الدماء ، مضى والله زيد عمي وأصحابه الشهداء مثل ما مضى عليه علي بن أبي طالب عليه السّلام وأصحابه »[1] .

والأحاديث السّتّة مع الحديث الأوّل المبحوث تنص على فضائل زيد بن علي، فلا يقاس به زيد بن موسى أخو الرّضا وزيد هذا يعرف بزيد النار وقد قال فيه الإمام الرّضا عليه السّلام عندما قال له زيد: أنا أخوك وابن أبيك : « أنت أخي ما أطعت الله عزّ وجلّ ، إنّ نوحاً عليه السّلام قال : ﴿ **رب إنّ ابنى من أهلي وإنّ وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين** ﴾ فقال الله عزّ وجل : ﴿ **يا نوح إنّه ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح** ﴾[2] . فأخرجه الله عزّ وجلّ من أن يكون من أهله ، بمعصيته »[3] .

قال السّيّد الأستاذ بعد كلام له في زيد بن موسى : إنّه لم يرد في هذا توثيق ولا مدح ، وكلام الشّيخ المفيد لا دلالة فيه على المدح من جهة الدّين كما هو ظاهر[4] .

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٩٧ ـ ١٩٨ .
(٢) سورة هود : الآية / ٤٥ ـ ٤٦ .
(٣) معجم رجال الحديث ٧ / ٣٦٠ .
(٤) المصدر .

وقد نقل السيد الأستاذ كلام الشيخ المفيد عند ترجمة إبراهيم ابن موسى : من أنّ لكل واحد من ولد أبي الحسن موسى عليه السلام فضلاً ومنقبة مشهورة(١) .

وعدم الدلالة لاحتمال الفضل عند النّاس أو غير ذلك . وأين هذا من زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وقد نصّت الأحاديث السّبعة الآنفة الذّكر على فضائله، وعن الشيخ المفيد : وكان زيد . . . عابداً ورعاً فقيهاً سخيّاً شجاعاً وظهر بالسّيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين عليه السّلام واعتقد كثير من الشّيعة فيه الإمامة . . .(٢)

وقد جاءت روايات تذمّ زيداً ذكرها السّيّد الأستاذ وعلّق عليها بما يخرجها عن الذّمّ فراجع(٣) .

وقيل إنّ علي بن الحسين عليهما السلام لمّا أراد أن يسمّى زيداً فتح المصحف فنظر فإذا في أوّل حرف من الورقة: **﴿ وفضّل الله المجاهدين ﴾**(٤) ثم طبقه وفتحه فإذا هو : **﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم ﴾**(٥) فقال : هو والله زيد هو والله زيد فسمّى زيداً(٦) .

---

(١) المصدر ١ / ٣٠٠ ، و ٧ / ٣٦٠ .

(٢) المصدر ٧ / ٣٤٥ .

(٣) المصدر ٧ / ٣٤٨ ـ ٣٥٦ .

(٤) سورة النساء : الآية / ٩٥ .

(٥) سورة التوبة : الآية / ١١١ .

(٦) السفينة ١ / ٥٧٧ ، في (زيد) . وفيه كان مقتله يوم الإثنين لليلتين خلتا من صفر سنة ١٢٠ ، وكان سنّه اثنين وأربعين . قاله الشيخ المفيد كما في معجم رجال الحديث ٧ / ٣٤٦ ، أو إحدى وعشرين ومائة حكاه السّيّد الأستاذ عن رجال الشيخ . معجم رجال الحديث ٧ / ٣٤٥ .

حرف السّين

٩٣ ـ سبحان الله مات رسول الله
ولم يمت موسى بن جعفر ؟!

قال الصّدوق: حدّثنا جعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنه قال: حدّثنا الحسين بن محمد بن عامر عن المعلى بن محمد البصري ،قال: حدّثنا علي بن رباط، قال: قلت: لعليّ بن موسى الرّضا عليه السّلام : إنّ عندنا رجلاً يذكر أنّ أباك عليه السلام حيّ وإنّك تعلم من ذلك ما تعلم ، فقال عليه السّلام :

سبحان الله مات رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ولم يمت موسى بن جعفر عليه السّلام؟! بلى والله لقد مات وقسمت أمواله ونكحت جواريه[1]

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ٨٦ .

لا ريب أنّ رسول الله أعظم من موسى بن جعفر ومن سائر الائمّة والأنبياء والنّاس أجمعين ، فإذا حكم على الأعظم بالموت حكم على غير الأعظم بالطريق الأولى عقلاً، ولعل إلى هذه الأولوية العقلية تشير آية ﴿ **إنك ميّت وإنّهم ميتون** ﴾[1] بتقديم الحكم بالموت عليه صلّى الله عليه وآله المشعر بذلك[2] ،فالكلمة الرّضوية تشير إلى الحكم العقلي الذي لا ريب فيه

الواقفية :

قوم قالوا بالوقف على إمامة موسى بن جعفر عليهما السلام، وأنّه حيّ وهو الإمام الموعود، وأنّه لا إمام بعده: وهم المسمّون بالممطورة. قال سعد بن عبد الله الأشعري: وهذه الفرقة من الرّافضة تلقّب بالممطورة وقد غلب عليها هذا اللقب وشاع في النّاس؛ وكان سبب ذلك أنّ علي بن إسماعيل الميثمي ويونس بن عبد الرحمن ناظرا بعضهم فقال له علي بن إسماعيل وقد وقع بينهم : ما أنتم من الشيعة وإنّما أنتم كلاب ممطورة ؛ أراد أنّكم جيف أنتان[3] ؛ لأنّ الكلاب إذا أصابها المطر فهي أنتن من الجيف ، فلزمهم هذا اللّقب وفيه يعرفوناليوم ؛ لأنّه إذا قيل لرجل إنّه ممطور عرف أنّه من الواقفة على موسى بن جعفر خاصّة ؛ لأنّ كلّ من مضى منهم إلّا القليل فإنّه [من الـ] واقفة قد وقفت عليه فهذا اللقب لقب الواقفة على موسى بن جعفر ـ عليه السّلام ـ خاصّة[4] .

---

(١) سورة الزمر : الآية / ٣٠

(٢) لا تدل واو العطف إلّا على الجمع في الحكم فنّاً، نعم تدل على التقديم عرفاً فتدبر .

(٣) المقالات والفرق ٩٢ ، في هامشه : أراد أنّكم أنتن من جيف .

(٤) المقالات والفرق ٩٢ .

أقول اسم الواقفة يطلق على طوائف: منهم من وقف على الباقر عليه السّلام ،ومن الواقفة مَنْ وقف على الصّادق عليه السّلام، والثالثة على الكاظم عليه السّلام وقد انقرضوا واهتمّت أحاديث أهل البيت عليهم السّلام بإبطال مذهبهم ، وقد ذكر أكثرها الصّدوق[1] .

والمجلسي[2] قال: قد ثبت بطلان مذهبهم زائداً على ما مرّ في سائر مجلّدات الحجّة وما سنثبت فيما سيأتي منها بإنقراض أهل هذا المذهب ولو كان ذلك حقّاً لما جاز انقراضهم بالبراهين المحققة في مظانها، وإنّما أوردنا هذا الباب متصلاً بباب شهادته عليه لشدّة ارتباطهما ،واحتياج كلّ منهما إلى الآخر[3] . ومن عمد هذه الفرقة البطائني وهو علي بن أبي حمزة بل هو أوّل من أظهر الواقف .

قال الأستاذ الخوئي قال الشّيخ في الكلام على الواقفة ، فروى الثّقات أنّ أوّلِ مَنْ أَظهر هذا الاعتقاد علي بن أبي حمزة البطائني وزياد بن مروان القنديّ ،وعثمان بن عيسى الرّؤاسي. طمعوا في الدّنيا ومالوا إلى حطامها، واستمالوا قوماً فبذلوا لهم شيئاً ممّا اختانوه من الأموال .

ثم ذكر رواية محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى العطّار عن محمد بن أحمد عن محمد بن جمهور عن أحمد بن الفضل (المفضّل) عن يونس بن عبد الرّحمن قال : مات أبو ابراهيم عليه السّلام وليس من قوّامه أحد إلاّ وعنده المال الكثير وكان ذلك سبب

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ٧٨ ـ ٨٦ وفيه قال : إنما أوردت هذه الأخبار في هذا الركاب رداً على الواقفة . . .
(٢) البحار ٤٨ / ٢٥٠ ـ ٢٧٠ .
(٣) البحار ٤٨ / ٢٧٥

وقفهم وجحدهم موته ؛ طمعاً في الأموال ! كان عند زياد بن مروان القنديّ سبعون ألف دينار ، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار[1] .

محمد بن الحسين قال : حدّثني أبو علي الفارسي عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبد الرحمن، قال : دخلت على الرّضا عليه السّلام فقال لي : مات علي بن أبي حمزة ؟ قلت نعم قال: قد دخل النّار، قال: ففزعت من ذلك قال: أما أنّه سئل عن الإمام بعد موسى أبي فقال : لا أعرف إماماً بعده !! فقيل: لا ؟! فضرب في قبره ضربة اشتعل قبره ناراً[2] .

ومنهم محمد بن بشير :

قال الأستاذ الخوئي : محمد بن بشير غالٍ ملعون من أصحاب الكاظم عليه السلام[3] قال: قال أبو عمرو: قالوا: إنّ محمد بن بشير لمّا مضى أبو الحسن عليه السّلام و وقف عليه الواقفة، جاء محمد بن بشير ـ وكان صاحب شعبذة ومخاريق معروفاً بذلك ـ فادّعى أنّه يقول بالوقف على موسى بن جعفر عليه السلام ، وأنّ موسى عليه السّلام هو كان ظاهراً بين الخلق يرونه جميعاً يتراءى لأهل النّور بالنّور ولأهل الكدورة بالكدورة في مثل خلقهم بالإنسانيّة والبشريّة اللّحمانيّة[4] ، ثم حجب الخلق جميعاً عن إدراكه وهو قائم بينهم موجود كما كان غير أنّهم محجوبون عنه، وعن إدراكه كالّذي كانوا يدركونه، وكان محمد بن بشير هذا من أهل الكوفة من موالي بني

(١) معجم رجال الحديث ١١ / ٢١٥ ـ ٢١٦ وعيون أخبار الرّضا ١ / ٩١ .
(٢) معجم رجال الحديث ١١ / ٢١٨ ـ ٢١٩ .
(٣) معجم رجال الحديث ١٥ / ١٢٧ .
(٤) هكذا .

أسـد وله أصحـاب قالـوا : إنّ موسى بن جعفـر لم يمت، ولم يحبس وأنّـه غاب واستتـر وهو القـائم المهدي، وأنّـه في وقت غيبتـه استخلف على الأمّة محمد بن بشيـر وجعله وصيّه،وأعـطاه خاتمـه وعلّمه جميـع مـا يحتاج إليـه رعيّته من أمـر دينهم ودنياهم ،وفوّض إليـه جميـع أمـره وأقامه مقام نفسه فمحمد بن بشير الإمام بعده[1] .

وقـال بربـوبيّة الإمـام الكاظم عليـه السّلام ونبـوّة نفسه ، وحكم عليه بالزّندقة عند الخليفـة العبّاسي ، فقتـل وقد انقـرضوا عن آخـرهم والحمـد لله ، ولكن في كـلّ دور دجّـالـون ضـالّـون مضلّون وقى الله المسلمين شرورهم .

---

(١) معجم رجال الحديث ١٥ / ١٢٨ .

٩٤ ـ السَّخاء شجرة في الجنة
أغصانها في الدنيا

روى الصّدوق بإسناده عن الحسن بن علي الوشّا قال: سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول: « السّخيّ قريبٌ من الله، قريبٌ من الجنة، قريب من النّاس، بعيد من النّار . والبخيل بعيد من الجنّة بعيد من النّاس، قريب من النّار ! وسمعته يقول : السّخاء شجرة في الجنّة أغصانها في الدّنيا مَنْ تعلّق بغصنٍ من أغصانها دخل الجنّة »[١] .

هل الكلام الرّضوي كناية وتمثيل لملكة السّخاء بشجرة ذات أغصان أصلها ثابت في مكان ، وفروعها في مكان آخر، وأنّ المتعلّق بفرع منها موصول بأصلها، متنعّم بخيراتها وأثمارها. فكذلك الإنسان السّخيّ، المأمول فضله، المبذول نواله في هذه الدّنيا يجد جزاءه في الآخرة ، وليس ذلك إلاّ الجنّة ؟

أو أن السّخاء هي الخصلة الحميدة المسمّاة بها ؟كبقيّة الخصال المرضيّة: من العفّة والشّجاعة والحلم وما ضاهاها ، متجسّدة بصورة شجر ذات أغصان ، أصلها في اجنّة، وفروعها في الدّنيا لا يراها أهلها

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١١ .

بـأعينهم الظّاهـرية المغـطاة عليهـا عن الحقائق، كمـا لا يـرون سـائـر الصفات بصورها الملكوتية الواقعيّة ،وعوالمها المثاليّـة البرزخيّـة وإنّما يرونها إذا ماتوا وخرجوا عن الدّنيا والطّبيعة قهراً أو اختياراً بـالمجاهـدة والرّياضات الشّرعية: وهي الموت الأختياريّ، وقد نـطق القرآن الكـريم وأحـاديث أهل البيت عليهم السّـلام بـذلـك قـال تعـالى : ﴿ **فكشفنـا عنك غطاءك فبصرك اليوم حـديد** ﴾ [١] ولا غطاء سـوى الانهماك في المحسوسات والغفلة عن الحقائق، وحدّ البصر نفوذه فيها الزوال الحجب والأغـطية إذا خلص العبـد من النّفس الأمارة ،والنفس الفاجرة، والنفس اللوامة بعد ركوب موجبها، وتحلّى بالنفس المـطمئنّة كُشِفَ الغـطاء عن بصـره وفي قولـه تعالى: ﴿**يـا أيتهـا النّفس المـطمئنـة*ارجعي إلى ربـك راضيـةً مرضيّـةً * فـادخلى فى عبـادى * وادخلي جنّتي** ﴾[٢] . ومـن أظهـر مظاهـره الحسين عليه السّـلام ومن ثَمَّ أوّل بـه[٣]. إشـارة إليـه إذ الإذن بالرّجوع إلى الله ليس للأعمى : الوجهان محتملان .

وإنّمـا تعرّضنـا لهذا البحث لمنـاسبة السّخـاء الحقيقي، المتحقّق في العبد المجاهد للنّفس ، الفائز بموهبـه اليقين والراجع إلى ربّـه راضياً مرضياً فدخل في عباده وجنّته ،وهل للسّخاء حقيقـة إلاّ هذه ؟ إذ الجـود بالنفس والنفيس في سبيـل الله هو غـاية الجـود والسخاء؛ ومن هنـا كـان الأئمة عليهم السّلام هم أهل الجود والسّخاء حقّاً وصدقاً؛ لأنهم جـادوا بأنفسهم في الله عزّ وجلّ ،وعنهم يؤخذ السّخـاء وبذل العـطاء ، عادتهم الإحسان ،وسجيتهم الكرم .

فلئن كان الرّضـا عليه السّـلام يحثّ على السّخاء فـإنّه القـدوة

---

(١) سورة قّ : الآية / ٢٢ .
(٢) سورة الفجر : الآية / ٢٧ ـ ٣٠ .
(٣) تفسير الصّافي ٢ / ٨١٨ .

في ذلك كيف وهو الإمام الرّؤوف العطوف ، يعطف على الرّعيّة، ومن نظر إلى ما روي عنه عليه السّلام أيقن بذلك، وتمنّى لقاءه وأحبّه حبّاً يحدّث عنه القلب فيقول :

فرضي ونفلي وحديثي أنتم وكلّ كُلّي مِنْكُمْ وعنكَمُ
خيالكمُ نصبٌ لعيني أبداً وحبّكمُ في خاطري مخيّمُ[1]

---

(١) لرجب البرسي المتوفي ٨١٣ ، في أواخر كتابه مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السّلام ، من منشورات الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة العاشرة ص ٢٤١ . وفيها مجموعة من أشعاره الّتي منها ما اقتطفناه .

٩٥ - ﴿ سلام على آل ياسين ﴾ ولم يقل سلام على آل موسى

روى الشّيخ الصّدوق حديث استدلال الرّضا عليه السّلام بالآيات على فضل العترة الطّاهرة على سائر النّاس جواباً لسؤال علماء أهل العراق وخراسان الّذين جمعهم المأمون : وهي اثنتا عشر آية، ذكرنا نبذة منها عند الكلمات المستخرجة : « فضل بعد طهارة تنتظر »[١] . و « إنّ المودّة إنّما تكون على قدر معرفة الفضل »[٢] . و « كلّما قربت القرابة كانت المودّة على قدرها »[٣] . وغير ذلك قال عليه السّلام :

« وأمّا الآية السّابعة فقول الله عزّ وجلّ : **﴿ إنّ الله وملائكته يصلّون على النّبيّ يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً ﴾**[٤] .

---

(١) حرف الفاء مع الضّاد .

(٢) حرف الهمزة مع النّون .

(٣) حرف الكاف مع اللام .

(٤) سورة الأحزاب : الآية / ٥٦ .

قالوا : يا رسول الله قد عرفنا التّسليم عليك، فكيف الصّلاة عليك؟ فقال: تقولون: اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد. فهل بينكم معاشر النّاس في هذا خلاف؟ فقالوا : لا فقال المأمون : هذا ممّا لا خلاف فيه أصلاً، وعليه إجماع الأمّة فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟ فقال أبو الحسن : نعم أخبروني عن قول الله عزّ وجلّ : **﴿يسّ * والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم﴾**[1] ، فمن عنى بقوله : يسّ ؟

قالت العلماء : يسّ محمّد ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ لم يشكّ فيه أحد ، قال أبو الحسن : فإنّ الله عزّ وجلّ أعطى محمّداً وآل محمّد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحدٌ كنه وصفه إلاّ مَنْ عقله ؛ وذلك إنّ الله عزّ وجلّ لم يسلّم على أحد إلاّ على الأنبياء صلوات الله عليهم فقال تبارك وتعالى: **﴿سلام على نوح في العالمين﴾**[2] . وقال : **﴿سلام على إبراهيم﴾**[3] . وقال : **﴿سلام على موسى وهارون﴾**[4] ، ولم يقل : سلام على آل نوح ، ولم يقل : سلام على آل إبراهيم ولا قال : سلام على آل موسى وهارون ، وقال عزّ وجلّ : **﴿سلام على إل ياسين﴾**[5] .

يعني آل محمّد صلوات الله عليهم . فقال المأمون : لقد علمت

---

(١) سورة يٓس : الآية / ١ ـ ٤ .

(٢) سورة الصافات : الآية / ٧٩ .

(٣) سورة الصافات : الآية / ١٠٩ .

(٤) سورة الصافات : الآية / ١٢٠ .

(٥) سورة الصافات : الآية / ١٣٠ .

أنّ في معدنِ النّبوّة شرح هذا وبيانه . فهذه السابعة »[1] .

ربّما يتوهّم: أنّ قوله تعالى : ﴿ **قيل يا نوح اهبط بسلا منّا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك** ﴾[2] . مناف لقوله عليه السلام : « فإنّ الله عزّوجلّ لم يسلّم على أحد إلا على الأنبياء » .

والجواب عنه: أنّ الأمم ممّن مع نوح لعلّ المعنيّ بهم الأئمة الذين جاءوا من بعد نوح[3] أو يراد من نفي أحد من كلام الرّضا عليه السّلام آل الأنبياء، بقرينة شرحه بعد ذلك كما اعترف به المأمون في آخره فلا منافاة فيه .

ولعمري إنّها لنكتة هامّة ،أظهرها الإمام عليه السلام للنّاس .

---

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٨٥ .

(٢) سورة هود : الآية/ ٤٨ .

(٣) وكلمة ﴿من﴾في﴿ممن معك﴾ نشويّة دالة على أن جماعات تأتي بعد نوح ولعلّهم الأئمة المعصومون الآل عليهم السلام ،فإنّ نوحاً هو آدم الثاني بعد الغرق العالمي، والأنبياء من بعده كلهم منه . وللبحث بيان مبسط مرهون .

٩٦ ـ السّماء الظليلة والأرض البسيطة

روى الشّيخ الكليني بسنده حديث الإمام الرّضا عليه السّلام المشتمل على خصائص الإمامة وفيه :

« الإمام السّحاب الماطر ، والغيث الهاطل ، والشّمس المضيئة ،والسّماء الظّليلة ، والأرض البسيطة . . . »[١] .

تكلّمنا عن التّمثيل بالسّحاب الماطر والغيث الهاطل[٢] والشّمس المضيئة[٣] .

قوله عليه السلام : و« السّماء الظّليلة ، والأرض البسيطة » قد جاء الإظلال نعتاً للسّماء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام : « ألا وإن الأرض التي تحملكم ، والسماء التي تُظلّكم ، مطيعتان لربّكم . . . »[٤] .

---

(١) أصول الكافي ١ / ٢٠٠ .
(٢) حرف الهمزة مع الميم .
(٣) حرف الهمزة مع الميم .
(٤) النّهج ٩ / ٧٦ ، الخطبة ١٤٣ .

قال ابن أبي الحديد : تُظلّكم : تعلو عليكم ، وقد أظلّتني الشّجرة واستظللت بها[1] أي : السّماء عالية عليكم . وعليه المراد أنّ الإمام كالسماء العالية لا تصلها الأيدي : وهي كناية عن علوّ رتبته الّتي لا مطمع لأحدٍ من الخلق ، ونظيره التّمثيل العلوي : « ينحدر عنّي السّيل ، ولا يرقى إليّ الطّير »[2] : من العلوّ بحيث لا يصل إليه الطّير بطيرانه والمقصود به العلوالمعنويّ الّذاتي من الرّتبة المختصّة بالمعصوم عليه السّلام ، للخصال الّتي تجمّعت فيه دون غيره ؛ ومن ثمّ اشتقّ له اسم من العليّ الأعلى جل جلاله فسمّي بـ (عليّ) ومن الأربعة الحُرُم المعنيّة بها الآية : ﴿ **إن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حُرُم ذلك الّدين القيّم فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم . . .** ﴾[3] عن المسمّين به أوّلهم عليّ بن أبي طالب ، وعلي بن الحسين ، وعلي بن موسى الرّضا ، وعلي بن محمّد الهادي[4] أو المحمّدين الأربعة محمد بن عبد الله ، ومحمد بن علي الباقر ، ومحمد بن علي الجواد ، ومحمّد بن الحسن العسكري صلّىٰ الله عليهم وسلم .

والمحمدون مقصدون من الأربعة الحُرُم احتمالاً ، وأمّا المسّمون بعلي فمنصوص عليهم . هذا هو التّأويل ، وأمّا التنّزيل فشوّال ، وذو القعدة ، وذو الحجّة ، ورجب[5] . والاثنا عشر شهراً : هم الأئمة الأثنا عشر عليهم السّلام تأويلاً[6] والشهور : المحرّم ، وصفر ، وربيع

---

(١) شرح النّهج ٩ / ٧٧ .

(٢) النهج ١ / ١٥١ ، الخطبة ٣ .

(٣) سورة التوبة : الآية / ٣٦ .

(٤) تفسير البرهان ٢ / ١٢٢ . عند تفسير الآية .

(٥) تفسير البرهان ٢ / ١٢٤ .

(٦) تفسير البرهان ٢ / ١٢٢ ـ ١٢٤ .

الأول ، والثاني ، وجمادى الأولى ، والثانية ، وشعبان ، ورمضان ، والأربعة الآنفة الذكر تنزيلاً[1] .

ومما يؤكّد أنّ السماء ظليلة الحديث النّبويّ المرويّ في أبي ذرّ رواه الكشّي بسنده المرفوع إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : « ما أظلّت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ يعيش وحده ويموت وحده ويبعث وحده ويدخل الجنّة وحده »[2] .

وقول أمير المؤمنين عليه السلام : « بلى كانت في أيدينا فَدَكُ من كلّ ما أظلته السماء »[3] . والمراد من كل ذلك التفيوء علاوة على جهة العلوّ السّماوي السّابقة الذكّر

ومعنى أن الإمام السماء الظّليلة : المفيّئة ؛ والدّليل على أنّ الظّلال مفيّىء قوله عزّ وجلّ : ﴿ يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشّمائل سّجداً لله ﴾[4] ويطلق أحدهما على الآخر وإن كان بينهما فرق لا يضرّ بالإطلاق .

والإمام كذلك أنّه الظّل على الأمّة كالنّبيّ وأنّهم يعيشون تحت ظلّه وفيئه آمنين وادعين ، هم في أمان من الضّلال إذا نهجوا منهجه الوضّاء ، ولأنّ الإمام وجوده أمان لأهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان لأهل السّماء كما جاء في المثل المهدويّ : « وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان لأهل السماء »[5]

---

(١) تفسير البرهان ٢ / ١٢٤ .
(٢) اختيار معرفة الرّجال ٢٤ ، ومعجم رجال الحديث ٤ / ١٦٥ .
(٣) النهج ١٦ / ٢٠٨ ، كتاب ٤٥ .
(٤) سورة النحل : الآية / ٤٨ .
(٥) غيبة الشيخ الطوسي ١٧٧ ، والبحار ٥٣ / ١٨١ .

وإذا ثبتت فضيلة من الفضائل لأحدهم عليهم السلام ثبتت لسائرهم إلّا الخصائص .

وأمّا الإمام هو الأرض البّسيطة والتّمثيل بذلك فوجهه سعتها الصّالحة للهجرة فيها ،والسّير في ديارها وبلدانها وقراها، ويشهد للسّعة والسّير قوله تعالى : ﴿ يا عبادى الّذين آمنوا إنّ أرضى واسعة فإياى فاعبدون ﴾[1] . و﴿ أرض الله واسعة ﴾[2] ، ﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ﴾[3] .

هذه السعة وأمّا السّير فقد قال تعالى : ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى الّتي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأيّاماً آمنين ﴾[4] .

ففي الحديث الباقريّ : « فينا ضرب الله الأمثال في القرآن فنحن القرى الّتي بارك الله فيها، فمن أقرّ بفضلنا ؟ حيث أمرهم الله أن يأتونا فقال: ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى الّتي باركنا فيها ﴾ أي : جعلنا بينهم وبين شيعتهم القرى الّتي باركنا فيها قرى ظاهرة والقرى الظاهرة : الرّسل والنقلة عنّا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا وقوله : ﴿ وقدّرنا فيها السّير ﴾ فالسير مثل العلم سير به ليالي وأيّاماً آمنين لما يسير من العلم في اللّيالي والأيّام عنّا إليهم . . . »[5] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية / ٥٦ .
(٢) سورة الزّمر : الآية / ١٠ .
(٣) سورة النساء : الآية / ١٠٠ ، والمراغم من الرّغام: وهو التراب ومخلصاً من الضّلال. قاله الكاشاني في تفسير الصافي ١ / ٣٨٨ .
(٤) سورة سبأ : الآية / ١٨ .
(٥) تفسير البرهان ٣ / ٣٤٩ .

حرف الشين

٩٧ ـ شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها

روى الصّدوق خطبة الرّضا عليه السّلام في التّوحيد: منها كلمة: « بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له »[١] . وإليك المتصل بالكلمة مباشرة :

« وبمضادّاته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له ، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له ، ضادّ النّور بالظّلمة ، والجلاية بالبهم ، والجفّ بالبلل ، والصّرد بالحرور ، مؤلّفٌ بين متعادياتها ، مفرّق بين متدانياتها ، دالّة ، بتفريقها على مفرّقها ، وبتأليفها على مؤلّفها ؛ ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن كلّ شيءٍ خلقنا زوجين لعلّكم تذكّرون ﴾[٢] . ففرّق بينها قبلٌ وبعدٌ ؛ ليعلم أن لا قبل له ولا بعد ،

(١) حرف الباء مع التاء .

(٢) سورة الذاريات : الآية / ٤٩ .

شاهدة بغرائزها[1] أن لا غريزة لمغرزها . . . . »[2] .

للخطبة شرح مرهون بوقته، والبحث هنا حول قوله عليه السّلام : « شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها » قال : ثم قال : «ومضادته . . . »؛ وذلك لأنه تعالى لما دلّنا بالعقل على أنّ الأمور المتضادّة إنّما تتضادّ على موضع تقوم به وتحلّه كان قد دلّنا على أنه تعالى لا ضدّ له ؛لأنّه يستحيل أن يكون قائماً بموضوع يحلّه كما تقوم المتضادّات بموضوعها[3] . قال الشارح : وذلك ؛لأنّه تعالى قرن بين العرض والجوهر ، بمعنى استحالة انفكاك أحدهما عن الآخر، وقرن بين كثير من الأعراض نحو ما يقوله أصحابنا في حياتي القلب والكبد[4] .

الغرائز واحدها الغريزة :

وهي الطّبيعة والقريحة[5] يستحيل وجودها فيه تعالى؛ للزوم الإضمار بدليل قول أمير المؤمنين عليه السّلام : « المُنشىء أصناف الأشياء بلا رويّة فكرٍ آل إليها ، ولا قريحة غريزة أضمر عليها ، ولا تجربة أفادها من حوادث الأمور . . . »[6] . كما يضمر أحدنا إذا

---

(١) هكذا في النسخة بدون « على » .
(٢) عيون أخبار الرّضا ١ / ١٢٥ .
(٣) شرح النّهج ١٣ / ٧٣ ، الخطبة ٢٣٢ .
(٤) المصدر .
(٥) مجمع البحرين في (غرز)، وكما قال المعتزلي: في شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام : « وغرّز غرائزها». النهج ١ / ٧٨ ، الخطبة ١ : وقوله : « وغرّز غرائزها » المرويّ بالتشديد ، والغريزة الطبيعة . شرح النهج ١ / ٨١ .
(٦) النهج ٦ / ٤١٦ ، الخطبة ٩٠ .

أراد شيئاً وذلك نقص بيّن؛ لأنّه افتقار ظاهر منفيّ عن الله جلّ جلاله، بل خلقه إبداع بلا سبق إداةً على الإطلاق، وإنّما يخلق الشّيء لا من شيءٍ، لا من لا شيء، ولا من شيء جاء التّصريح بذلك في حديث باقريّ رواه الصّدوق: «فقال السّائل: فالشّيء خلقه من شيء أو من لا شيءٍ؟ فقال: خلق الشّيء لا من شيءٍ كان قبله ولو خلق الشيء من شيءٍ، إذا لم يكن له انقطاع أبداً ولم يزل الله إذاً ومعه شيءٌ، ولكن كان الله ولا شيء معه...»[1].

(١) التوحيد ٦٧.

٩٨ ـ شرّفت الصّلاة بالصّلاة عليه

روى الصّدوق في الصّحيح بإسناده إلى إبراهيم بن هاشم قال : « رفع إلى المأمون أنّ أبا الحسن علي بن موسى الرّضا عليه السّلام يعقد مجالس الكلام والنّاس يفتتنون بعلمه ، فأمر محمّد بن عمرو الطّوسي حاجب المأمون فطرد النّاس عن مجلسه ، وأحضره ، فلمّا نظر إليه زبره واستخفّ به فخرج أبو الحسن الرّضا عليه السّلام من عنده مغضباً وهو يدمدم بشفتيه ويقول : وحقّ المصطفى والمرتضى وسيّدة النّساء لأستنزلنّ من حول الله عزّ وجلّ بدعائي عليه ما يكون سبباً لطرد كلاب أهل هذه الكورة إيّاه، واستخفافهم به،وبخاصّته، وعامّته » .

ثمّ إنّه عليه السّلام انصرف إلى مركزه ، واستحضر الميضأة وتوضّأ وصلّى ركعتين وقنت في الثّانية .

فقال :

« اللّهمّ يا ذا القدرة الجامعة ، والرّحمة الواسعة والمنن المتتابعة ـ إلى أن قال عليه السّلام : ـ صلّ على من شرّفت الصّلاة بالصّلاة عليه ، وانتقم لي ممّن ظلمني واستخفّ بي وطرد الشّيعة عن بابي وأذقه مرارة الذّلّ والهوان كما أذاقنيها ، واجعله طريد

الأرجاس وشريد الأنجاس » .

قال أبو الصّلت عبد السّلام بن صالح الهروي : فما استتمّ مولاي عليه السّلام دعاءه حتى وقعت الرّجفة في المدينة ، وارتجّ البلد ، وارتفعت الزّعقة والصّيحة ، واستفحلت النّعرة ، وثارت الغبرة . . . »[1] .

« صلّ على من شرّفت الصّلاة بالصّلاة عليه » يراد بالصّلاة الأولى الصّلوات الخمس بل مطلق الصّلاة فرضاً ونفلاً لا بدّ من الصّلاة عليه صلّىٰ الله عليه وآله في تشهّدها الأوّل والثّاني في الثنائية والثّلاثيّة والرّباعيّة، وضمّ الآل إليه وجوباً بأن يقول المصلّي : « اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد » ويراد بالصّلاة الثّانية نفس الصّيغة المأثورة والدّعاء لهم عليهم السّلام بهذا اللّفظ، إذ الصّلاة : الدّعاء بالخير من الدّاعي للمدعوّ[2]، ووجوب الصّلاة على محمّد وآل محمّد في كلّ صلاة عند الشّيعة ثابت بأدلّتها منها :

الصّحيح الصّادقي : « إنّ الصّلاة على النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ من تمام الصّلاة إذا تركها متعمّداً فلا صلاة له . . . »[3] .

والآخر : « إذا صلّى أحدكم ولم يذكر النبي ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ في صلاته يسلك بصلاته غير سبيل الجنّة . . . »[4] والصّلاة

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٠ ـ ١٧١ ، البحار ٤٩ / ٨٢ ـ ٨٣ .

(٢) قال ابن فارس : فالصلاة : الدعاء ، ونقل النّبويّ : « إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطراً فليأكل ، وإن كان صائماً فليصل أي : فليدع لهم بالخير والبركة بهم. مقاييس اللغة ٣ / ٣٠٠ في (صلى) .

(٣) الوسائل ٤ / ٩٩٩ باب ١٠ من أبواب التشهد .

(٤) المصدر .

ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قـ جاء تفسيرها عند قوله تعالى : ﴿ **إنّ الله وملائكته يصلّون على النّبيّ يا أيها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً** ﴾[1] .

وفي صادقيّ : « . . . الصّلاة من الله عزّ وجلّ رحمته ومن الملائكة تزكيته ، ومن النّاس دعاء . . . قال: فقلت: كيف نصلى على محمد وآل محمد ؟ قال : تقولون: صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد والسّلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته »[2] وعن كعب بن عجرة: «قيل: يا رسول الله أمّا السّلام فقد عرفناه فكيف الصّلاة ؟ قال: قولوا : اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد . . . »[3] .

وأمّا عند السّنّة فكذلك وقد تصدّى جمع منّا لجمع أقوالهم ورواياتهم المأثورة الصّحيحة عندهم: منهم القاضي التّستري فقد روى ابن حجر عن الإمام الشافعي قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنّكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له[4]

وقد روى البيتين عنه جماعة منهم العلاّمة السيّد أبو بكر الحضرميّ الشّافعيّ،قال السّيّد المرعشي : شيخ شيخنا في الرّواية في « رشفة الصّادي » (ص ٣١ ط القاهرة بمصر)[5] . . . وقد نقل عن

(١) سورة الأحزاب : الآية / ٥٦
(٢) تفسير البرهان ٣ / ٣٣٥ ، تفسير نور الثقلين ٤ / ٣٠٠ ، عيون الأخبار ١ / ١٨٥ .
(٣) تفسير البرهان ٣ / ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .
(٤) إحقاق الحق ٣ / ٢٧٣ ، تعليق السّيّد المرعشي .
(٥) إحقاق الحق ٩ / ٦١٦ .

الجمهور الأحاديث المرويّة في كيفيّة الصّلوات بطرق كثيرة فراجع[1] كما نقل وجوب الصّلاة على آل النّبيّ وبطلان الصّلاة بتركه فيها[2] وبعض القصائد: منها ما تقدّم ، ومنها ما يلي للشّافعي :

أولئك قومٌ أذهب الله رجسهم	وخُصّوا بفضل لا سبيل بجحدِهِ
فكيف وجبريل جاء بمدحهم	وأنزل قرآناً نُثابُ بسَرْدِهِ
وكلّ مصلٍّ لم يصلّ عليهِمُ	فليس لهُ قيراط أجرٍ لطردهِ[3]

ثمّ كلمة الرّضا عليه السّلام « شرّفت الصّلاة بالصّلاة عليه » لها تفسيرٌ أشمل من الأوّل: بأن يراد من الصّلاة أعمّ من معناها الشّرعيّ واللّغويّ أي: الدّعاء، إذ الدّعاء إذا لم يكن مصدّراً بالصّلاة على النّبيّ وآله لم يكن ذا شأن، وإنما يشرّف ويقع موقع الرّضا والقبول إذا خصّ بمن خصّه الله عزّ وجلّ به، نعم لا بدّ من شمول التّشريف للصلاة بالصّلاة عليه صلى الله عليه وآله في غير صلاة الله تعالى في الآية المتقدّمة الذّكر؛ لأنّ صلاة الرّبّ جلّ جلاله: وهي الرّحمة تكون هي المشرِّفة للنّبيّ صلّى الله عليه وآله (بكسر الراء)، فالحديث وإن كان عامّاً لا بدّ من تخصيصه بغيره تعالى .

بقي سؤال :

هل صلاة الملائكة والنّاس نفعها عائد إلى النّبيّ وآله عليه السّلام؟ أو أنّ لهم من الجلال والرّفعة والمنزلة ما لا يتصوّره المتصوّر ، وإنّما ثواب الصّلاة يعود إلى المصلّي ويشرّف بها وينوّر قلبه ويثقل ميزانه[4]؟

---

(١) إحقاق الحق ٩ / ٥٢٤ ـ ٦١٠ .

(٢) المصدر ص ٦١١ ـ ٦٢١ .

(٣) المصدر ص ٦١٥ . قوله : (لطرده) كذا في المصدر .

(٤) اختر ما شئت .

٩٩ ـ شفّع في مثل ربيعة ومضر

قال الشّيخ الصّدوق طاب ثراه: حدّثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطّالقاني، قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني عن علي بن الحسن بن علي بن فضّال عن أبيه عن أبي الحسن علي بن موسى الرّضا ـ عليه السّلام ـ قال :

« من صام أوّل يوم من رجب رغبةً في ثواب الله عزّ وجلّ وجبت له الجنّة ، ومن صام يوماً في وسطه شفّع في مثل ربيعة ومضر في أبيه وأمّه ، وابنه وابنته ، وأخته وأخيه، وعمّه وعمّته ، وخاله وخالته ، ومعارفه ، وجيرانه ، وإن كان فيهم مستوجباً للنّار »[1] .

لا محظور عقلاً وشرعاً في خلف الوعيد بأن يعفو الله عزّ وجلّ عن المستوجب للنّار، وإنّما المحظور عقلاً وشرعاً خلف الوعد من الكلّ لا سيّما ممّن له القدرة المطلقة والحكيم على الإطلاق: وهو الله جلّ جلاله، فلا استيحاش من آخر الحديث الشّريف: وهو قوله عليه السّلام : « وإن كان فيهم مستوجباً للنّار » . وباقي الكلام فيه ظاهر

(١) عيون أخبار الرّضا ١ / ٢٢٦ .

سوى كلمتين مضروب بهما المثل للكثرة الكاثرة :

ربيعة ومضر :

هما قبيلتان عربيّتان. أمّا ربيعة ، والرّبائع فبطون من تميم ، قال الجوهري : وفي تميم ربيعتان : الكبرى: وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم :وهو ربيعة الجوع ، والوسطى [الصغرى]:وهو ربيعة بن حنظلة بن مالك . وربيعة : أخو حيّ من هوازن: وهو ربيعة بن عامر بن صعصعة:وهم بنو محمّدٍ ، ومجد اسم أمّهم نسبوا إليها . وفي عُقَيل ربيعتان :ربيعة بن عُقيل وهو أبو الخلعاء، وربيعة بن عامر بن عُقيل:وهو أبو الأبرص ، وقحافة ، وعرعرة،وقرّة:وهما ينسبان للّربيعتين . وربيعة الفرَس : أبو قبيلة رجل من طيّء وأضافوه كما تضاف الأجناس :وهو ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان ، وإنّما سمّي ربيعة الفرس ؛ لأنّه أُعطي من مال أبيه الخيل ، وأعطي أخوه الذّهب سمى مضر الحمراء ، والنّسبة إليهم رَبَعيّ ، بالتّحريك[1] .

قال الشّيخ الطّريحي : في الحديث : « إذا مات المؤمن خلى على جيرانه من الشّياطين مثل ربيعة ومضر » ، بضرب المثل بهما في الكثرة[2] . وقال : في الحديث : « مثل ربيعة ومضر » بفتح الميم وفتح المعجمة : قبيلة منسوبة إلى مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ، ويقال له مضر الحمراء ولأخيه ربيعة الفَرَس ؛ لأنّهما لما اقتسما الميراث أعطي مضر الذّهب وهي تؤنّث ، وأُعطي ربيعة

(١) لسان العرب ٨ / ١١٢ ، في (ربع) .

(٢) مجمع البحرين في (ربع) .

الخيل[1] . وقال ابن منظور بعده: ولبن ومضير: حامض شديد الحموضة: قال اللّيث: يقال إنّ مُضَر كان مولعاً بشربه فسمّي مضربه ، قال ابن سيّده: مضر اسم رجل قيل سمّي به؛ لأنّه كان مولعاً بشرب اللّبن الماضر، وهو مضر بن نزار معدّ بن عدنان، وقيل: سمّي به لبياض لونه من مضيرة الطّبيخ[2] .

ومن هذه الكلمات ظهر أنّ ربيعة ومضر ابني نزار بن معدّ بن عدنان أبوا قبيلتين كبيرتين لكثرة البطون والأفخاذ لكلّ منهما تنتسب إليهما، فيقال فلان رَبَعيّ أو مضريّ، ولكثرتهما يضرب بهما المثل. ومن شاء الخبرة الكافية نظر السّبائك[3] .

ولربيعة ومضر في الجاهلية والإسلام سننٌ وعاداتٌ منها ما روي عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: « إنّ قريشاً كانت تفيض من جَمع[4] وربيعة من عِرفات »[5] .

ولضرب المثل للكثرة يقال أيضاً: عدد الحصى، وعدد رمل عالج، وعدد المدر، والحجر، وعدد الشّوك والشّجر، وغيرها. قال ابن عبّاس: « سبحان الله العظيم أترون أنّ الّذي أحصى رمل عالج عدداً جعل في مال نصفاً ونصفاً وثلثاً . فهذان قد ذهبا بالمال فأين موضع

---

(١) مجمع البحرين في (مضر) .
ولا يخفى أنّ المثل بربيعة ومضر جاء في حديث نبوي رواه المفيد « ابشروا برجل من أمّتي يقال له أويس القرني؛ فإنه يشفع لمثل ربيعة ومضر » . هامش الاختصاص ٧ .
(٢) لسان العرب ٥ / ١٧٧ ، في (مضر) .
(٣) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ٢٠ ـ ٣٥ .
(٤) جَمع والمزدلفة والمشعر معنى واحد .
(٥) الوسائل ١٠ / ٢٧ .

الثّلث ، فقال زفر بن أوس البصريّ : فمن أوّل من أعال الفرائض . . . ؟ »[1] .

والدّعاء المأثور في أوّل يوم من ذي الحجّة إلى آخر العشرة الأولى منه المرويّ عن أمير المؤمنين عليه السّلام جاء فيه « لا إله إلا الله عدد الليالي والدّهور، لا إله إلا الله عدد أمواج البحور، لا إله إلا الله ورحمة خير مما يجمعون ، لا إله إلا الله عدد الشوك والشجر ، لا إله إلاّ الله عدد الشّعر والوبر ، لا إله إلا الله عدد الحجر والمدر ، لا إله إلاّ الله عدد لمح العيون ، لا إله إلاّ الله في الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفّس ، لا إله إلا الله عدد الرّياح والبراري والصّخور ، لا إله إلاّ الله من اليوم إلى يوم ينفخ في الصور »[2] .

والمثل المضروب بهذه الأشياء ونظائرها لا يراد لها العدد الحقيقي الواقعيّ ، وكذا كلّ ما يفرض له المقدار ، بل الكثرة والغلبة ؛ والوجه فيه أنّ ثناءه تعالى لا يحصيه العدد والوصف مهما كان ؛ لأنّه فوق كلّ ثناء أو وصف إلاّ ما وصف به تعالى نفسه وأثنى عليها وقد جاء « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت [على] نفسك »[3] .

ولنعد إلى حديث الرّضا عليه السّلام :

لشهر رجب المرجّب فضائل للمتعبّد في أيّامه وليالي ، ووظائف مرويّةٍ عن أهل البيت عليهم السّلام وهو أحد الشّهور الحُرُم الأربعة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ **إنّ عدة الشّهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السّمٰوات والأرض منها أربعة**

---

(١) الوسائل ١٧ / ٤٢٧ ، الأمثال النّبويّة ١ / ٤٢ ، رقم المثل ١٩ حرف الهمزة مع الباء .

(٢) إقبال السيد ابن طاووس ٣٢٤ .

(٣) كنز العمال ١ / ٤٨٦ .

حرمٌ . . . ﴾[1] .

في باقريّ : « رجب مفرد وذو القعدة وذو الحجّة والمحرم ثلاث متواليات . . . »[2] . والمسمّون بعليّ : وهم عليّ بن أبي طالب والسّجّاد والرّضا والهادي عليهم السّلام[3]. ومن الوظائف صيامه الّذي قاله الرّضا عليه السّلام .

---

(١) سورة التوبة : الآية / ٣٦

(٢) تفسير البرهان ٢ / ١٢٤ .

(٣) تفسير البرهان ٢ / ١٢٣ ، ما مضمونه .

١٠٠ ـ شفقة النّبيّ على أمّته
شفقة الآباء على الأولاد

روى الصّدوق بإسناده عن علي بن الحسن بن علي بن فضّال عن أبيه قال : سألت أبا الحسن[1] عليه السّلام « فقلت له : لم كنّي النّبيّ ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ بأبي القاسم ؟ فقال : لأنّه كان له ابن يقال له قاسم فكنّي به ، قال :فقلت :له يا ابن رسول الله : فهل تراني أهلًا للزّيادة ؟ فقال : نعم ، أما علمت أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ قال : أنا وعليّ أبوا هذه الأمّة ؟ قلت : بلى ، قال : أما علمت أنّ رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ أبٌ لجميع أمّته ، وعليّ فيهم بمنزلته ؟ قلت : بلى ، قال : أما علمت أنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ قاسم الجنّة والنّار ؟ قلت : بلى ، قال : فقيل له أبو القاسم ؛ لأنّه أبوقسيم الجنّة والنّار ، فقلت له : وما معنى ذلك ؟ قال : إنّ شفقة النّبيّ على أمّته شفقة الآباء على الأولاد ، وأفضل أمّته عليّ ، ومن بعده شفقة عليّ عليهم كشفقته ؛ لأنّه وصيّه

(١) بقرينة الراوي احتمل أبو الحسن هو الرضا ،ولأجله ذكرناه .

وخليفتـه ، والإمـام بعده؛ فـلذلـك قـال : أنـا وعليّ أبـوا هـذه الأمّة . . . »[1] .

كيف يُـدرك شفقة الأبـوين على أولادهمـا غيـر الأبوين؟ فمن لم يولد له ولد لا يـدرك رحمة الـوالدين بـه وحنانهمـا عليه ؛ إنّ الله عـزّ وجلّ شفيق ومن شفقته شفقة الأبوين على الأولاد مهما كان نوعهم: وهو اسم من الإشفـاق والشّفق : الخوف والحـذر إذا قلت أشفقت منه ، فـإنمـا تعني حذرته وخفته ومنه قول إسحاق بن خلف :

تهوى حياتي وأهـوى موتهـا شفقاً والمـوت أكرم نـزّال على الحـرم

وبلوغ النّصـح والحرص على صـلاح المنصوح كمـا قالـه اللّيث إذا قلت: أشفقتُ عليك[2] واختلاف التّفسيـرين جـاء من كلمـة « من » و « على » .

وإذا دريت الفـرق بينهمـا فـالشفيق : بمعنى الخـوف لا يجـوز على الله جـلّ جلالـه ، والجائـز عليـه تعـالى تفسيـره ببلوغ النّصـح . وربّما صحّ الخـوف فقط كما في آيـة ﴿ **إنّا عـرضنا الأمـانة** ـ إلى قـوله تعالى: ـ **وأشفقن منهـا** ﴾[3] . أي: خفن من حمـل الأمـانـة . ويصحّ

(١) عيون الأخبار ٢ / ٨٤ ، علل الشّرائع ١ / ١٢٧ .
(٢) اللّسـان ١٠ / ١٧٩ ـ ١٨٠ في شفق ، وفي النهـايـة ٢ / ٤٨٧ ، في (شفق)،الشفق من الأضداد يقع على الحمرة التي ترى في المغرب بعد مغيب الشمس . . . وعلى البيـاض البـاقي في الأفق الغربي بعد الحمـرة المذكورة .
أقول :قوله تعالى: ﴿ **فلا أقسم بالشفق** ﴾ الانشقـاق : ١٦ ، إمّا من الحمـرة المغربية كما قالهـا القمي . تفسير الصافي ٢ / ٨٠١ ، وإمّا البيـاض الباقي بعد الحمرة .ذكرناه لأدنى علقه .
(٣) سورة الأحزاب : الآية / ٧٢ .

التفسيران في غيره تعالى من الأبوين والأنبياء وأوصيائهم الذين هم الآباء الحقيقيـون الرّوحيّون، والأب الرّوحي أفضـل من الأب الجسمي ،لبقاء الأوّل ،وفناء الثّاني ،فالنّبيّ وعليّ عليهما السّـلام أبوا هـذه الأمّة روحيّاً، بـل وجسميّاً؛ إذ لـولاهمـا لمـا كـان الكـون ولا آدم ولا بنو آدم، إذ بهم رزق الـورى وثبتت الأرض والسّماء: وهم الهـدف الأعلى من الوجود؛ اذ بهم عرف الله تعالى ووُحّد .

١٠١ ـ الشّيء إذا لم يكن أزليّاً كان محدثاً

من الحكم المنتزعة من مناظرة الرّضا عليه السّلام مع سليمان المروزي في مسألة البداء والإرادة الّتي رواها الصّدوق وقد تعرّضنا للأولى عند كلمة « ضاهيت اليهود في هذا الباب »[١] .

وأمّا الثّانية فقد قال سليمان : « يا سيّدي أسألك ؟ قال الرّضا عليه السّلام : سل عمّا بدا لك ، قال : ما تقول فيمن جعل الإرادة اسماً وصفةً مثل حيٍّ وسميع وبصير وقدير ؟ قال الرّضا عليه السّلام : إنّما قلتم :حدثت الأشياء واختلفت ؛ لأنّه شاء وأراد ، ولم تقولوا:حدثت واختلفت ؛ لأنه سميع بصير ، فهذا دليل على أنّها ليست بمثل سميع ولا بصير ولا قدير ، قال سليمان : فإنّه لم يزل مريداً ، قال : يا سليمان فإرادته غيره ؟ قال : نعم ، قال : فقد أثبتّ معه شيئاً غيره لم يزل ، قال سليمان : ما أَثبتُّ ، قال الرّضا عليه السّلام : أهي محدثة ؟ قال سليمان : لا ما هي محدثة ، فصاح به المأمون وقال : يا سليمان مِثْله يعايا[٢] أو يكابر ؟ عليك بالإنصاف

---

(١) حرف الضّاد مع الألف .

(٢) من العيّ : العجز .

أما ترى مَنْ حولك من أهل النّظر ، ثمّ قال : كلّمه يا أبا الحسن فإنّه متكلّم خراسان ، فأعاد عليه المسألة فقال : هي محدثة يا سليمان ؛ فإنّ الشّيء إذا لم يكن أزليّاً كان محدّثاً ، وإذا لم يكن محدثاً كان أزلياً . . . »[1] .

لا واسطة بين الحدوث والقدم ، والأوّل لم يكن أزليّاً والعقل قاضٍ بعدم اجتماعهما وعليه تدور المناظرة حول الإرادة الّتي هي محدثة عند الرّضا وسائر المعصومين عليهم السّلام، ودلّل عليه السّلام على حدوثيّتها أوّلاً بأنّها لو كانت قديمة مثل السّميع والبصير والقدير لصحّ التّعليل بالثلاثة لحدوث الأشياء واختلافها كما صحّ بها لذلك، وحيث أنّها لم تصحّ ولم تستقم علمنا أنّ الإرادة ليست كالثّلاثة وهذه آية حدوثها وقِدم تلك .

وثانياً : أثبت عليه السلام حدوثيّة الإرادة بالدّوران العقلي بين كونها غيره أو نفسه تعالى ، فإن قيل إنّها غيره فقد أثبت معه شيئاً لم يزل وإلّا فهي محدثة لم تكن معه أزلاً ، وتجد التّناقض في كلام سليمان ، ولأجله صاح به المأمون خالق هذه المناظرة فبإلزام الرّضا عليه السّلام إيّاه سدّ عليه باب دعوى قِدم الإرادة .

والمناظرة مطوّلة ذكرنا شيئاً آخر منها عند كلمه « إن الفعل كلّه محدث »[2] . والإرادة فعل وكلّ فعل محدث فهي محدثة فتدبّر .

---

(1) التوحيد ٤٤٥ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(2) التوحيد ٤٤٨ ، عيون أخبار الرّضا ١ / ١٤٨ ، وانظر حرف الهمزة مع النّون

حرف الصّاد

١٠٢ ـ صدق الله في جميع أقواله

قال الصّدوق: حدّثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني رضي الله عليه قال: حدّثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن عبد السّلام بن صالح الهروي قال: « قلت لأبي الحسن الرّضا عليه السّلام: يا ابن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصّادق عليه السّلام: أنّه قال: إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السّلام بفعال آبائهم؟ فقال عليه السّلام: هو كذلك فقلت: وقول الله عزّ وجلّ: ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[1]. ما معناه؟

قال: صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين عليه السّلام يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق فرضي بقتله رجل في المغرب

---

(١) سورة فاطر: الآية / ١٨

لكان الرّاضي عند الله عزّ وجلّ شريك القاتل؛ وإنّما يقتلهم القائم ـ عليه السّلام ـ إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم ، قال : فقلت له : بأيّ شيءٍ يبدأ القائم ـ عليه السّلام ـ منكم إذا قام ؟ قال : يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم ؛ لأنّهم سرّاق بيت الله عزّ وجلّ »[1] .

قوله عليه السّلام : « من رضي شيئاً كان كمن أتاه » يمرّ البحث عنه[2] .

قوله عليه السّلام : « صدق الله في جميع أقواله » ، لغناه الذّاتيّ، ولقوله تعالى : ﴿ **ومن أصدق من الله قيلاً** ﴾[3] ، و ﴿ **ومن أصدق من الله حديثاً** ﴾[4] .

قال الصّدوق في أسماء الله تعالى : ﴿ **الصّادق** ﴾ معناه أنّه صادق في وعده ، ولا يبخس ثواب من يفي بعهده[5] .

ثم الكلمة الرّضويّة أي : « صدق الله في جميع أقواله » كالجارية على الألسن : « صدق الله العليّ العظيم » الّتي هي كالمثل السّائر أو نفسه ، لما قاله أبو هلال العسكريّ : من أنّ كلّ حكمة جارية على الألسن مثل سائر، وإن لم تجر فحكمة . والفرق بين الحكمة والمثل هو سيرها على الألسن[6] وعدمه، ولا شكّ في السّير فتكون من

(١) عيون أخبار الرضا ١ / ٢١٢ ـ ٢١٣ ، العلل ١ / ٢٢٩ ، الوسائل ١١ / ٤٠٩ ـ ٤١٠ .
(٢) حرف الميم مع النّون .
(٣) سورة النساء : الآية / ١٢٢ .
(٤) سورة النساء : الآية / ٨٧ .
(٥) التوحيد ٢٠٧ .
(٦) الجمهرة على هامش مجمع الأمثال ٤ / ٥ .

الأمثـال لا محالة، وكما يقـال : « صدق الله وكـذب المنّجمـون » عنـد إخبـارهم بوقـوع الحوادث الكـونيّـة وتخلفّهـا . ويقـال : « صـدق الله وكذب الوقّاتون »[1] كمـا في الحديث النّـاهي عن توقيت زمـان خروج القـائم المهـديّ من آل محمّـد عجّـل الله فـرجـه الشّـريف وصلّىٰ الله تعـالى عليهم أجمعين . وقـد جـاءت أمثـال سـائـرة في الصّـدق منهـا « صـدقني سنّ بكـره »[2] يضـرب في صـدق الخبـر ، ومنهـا المثـل العلويّ : « الصّـدق سيف الله في أرضـه وسمـائـه أيّنمـا هـوى بـه يقدّ »[3] .

---

(١) كمـال الدين ٢ / ٤٨٤ ، البحـار ٥٣ / ١٨١ ، وفيهما « كـذب الـوقّـاتـون » المعدود من الأمثال والحكم المستخرجة من كلمات الإمام المهديّ .

(٢) مجمع الأمثال ١ / ٣٩٣ ، حرف الصاد .

(٣) البحـار ٧١ / ١١ ، ومن المثل السـائر : « الصـدق منجاة » . الفاخر ٢٦٤ ، من أمثال أكثم بن صيفي .

١٠٣ ـ صديق كلّ امرىءٍ عقله

روى الكليني بسنده عن الحسن بن الجهم، قال : سمعت الرّضا عليه السّلام يقول : « صديق كلّ امرءٍ عقله ، وعدوّه جهله »[١] .

وأصله الحديث العلويّ : « العقل عقلان: عقل الطّبع ، وعقل التّجربة وكلاهما يؤدّي إلى المنفعة، والموثوق به صاحب العقل والدّين ، ومن فاته العقل والمروءة فرأس ماله المعصية ، صديق كلّ امرىءٍ عقله ، وعدوّه جهله ، وليس العاقل من يعرف الخير من الشّر ، ولكنّ العاقل من يعرف خير الشّرين ، ومجالسة العقلاء تزيد في الشّرف ، والعقل الكامل قاهر الطّبع السّوء ، وعلى العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدّين والرّأي والأخلاق والأدب فيجمع ذلك في صدره ، أو في كتاب ويعمل في إزالتها »[٢] .

ولعلّ فيه إنضماماً مع غيره والله العالم ، وقد بحثنا عن أحاديث العقل في مناسبات منها المثل النّبويّ : « مثل العقل في

(١) أصول الكافي ١ / ١١ ، التّحف ٤٤٣ .
(٢) البحار ٧٨ / ٦ ـ ٧ .

القلب كمثل السّراج وسط البيت »[1] . و « لا عقل كالتّدبير »[2] والمثل العلويّ : « إذا تمّ العقل نقص الكلام »[3] .

وإنّما صار العقل صديق صاحبه والجهل عدوّه ؛ لأنّه النّاصح الأمين ذو الفضائل والجهل على ضدّه ذو الرّذائل وليس من الخير شيء إلّا والعقل يأمر به ، ولا من الشّر شيء إلّا وينهى عنه والجهل على خلاف ذلك .

وحاصل الكلام أنّ العقل ذو الفضائل والجهل ذو الرّذائل ، وقد جاء في صادقيّ : « قلت له : ما العقل ؟ قال : ما عبد به الرّحمن واكتسب به الجنان، قال: قلت : فالّذي كان في معاوية ؟ فقال : تلك النّكراء ! تلك الشّيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل »[4] . ولا تجد عاقلاً إلّا وله دين كما في صادقي آخر : « من كان عاقلاً كان له دين ، ومن كان له دين دخل الجنّة »[5] . وعلويّ : « إنّ قلوب الجهّال تستفزّها الأطماع ، وترْتَهنُها المنى ، وتستعلقها الخدائع »[6] .

ومن الأمثال السائرة : (العقل عقال النّفس)[7] . (العقل صفاء النّفس ، والجهل كدرها)[8] .

---

(1) الأمثال النّبوية ٢ / ١٩٥ ، الرقم ٥٠١ ، جرف الميم مع الثاء
(2) المصدر ص ١٠٧ ، الرقم ٤٢٤ ، حرف اللام مع الألف .
(3) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة الرقم ٧ ، ص ٢٩ .
(4) أصول الكافي ١ / ١١ .
(5) المصدر .
(6) المصدر ص ٢٣ .
(7) التمثيل والمحاضرة ٤٠٧ .
(8) المصدر ص ٤٠٨ .

١٠٤ ـ الصّغائر من الذّنوب طرق إلى الكبائر

روى الصّدوق من كلامه عليه السّلام المشهور قوله : «الصّغائر من الذّنوب طرق إلى الكبائر ، ومن لم يخف الله في القليل لم يخفه في الكثير . . . »[١] .

أنا أكتفي لبيان الكلام الرّضوي بكلمات أهل البيت عليهم السّلام، فإنّها كالقرآن الكريم يفسّر بعضها بعضاً، ويصدّق بعضها بعضاً، ويشهد بعضها على بعض كما في النّبويّ : « إنّ القرآن ليصدّق بعضه بعضاً فلا تكذّبوا بعضه ببعض »[٢] .

والعلوّي : « كتاب الله تبصرون به ، وتنطقون به وتسمعون به ، وينطق بعضه ببعض ، ويشهد بعضه على بعض »[٣] .

وقد تكلّمنا عن الرّضوي : « إنّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن ، ومحكماً كمحكم القرآن . . . »[٤] .

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ١٧٨ ، البحار ٧١ / ١٧٤، وج ٧٣ / ٣٥٣ .
(٢) كنز العمّال ١ / ٦١٩ ، الرقم ٢٨٦١ .
(٣) النهج ٨ / ٢٨٧ ، الخطبة ١٣٣ .
(٤) حرف الهمزة مع النّون .

وأمّا لبيان الذّنوب فإليك عدداً من كلماتهم عليهم السّلام ففي صادقي : « إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه : أئتونا بحطب فقالوا : يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب ، قال : فليأت كلّ إنسان بما قدر عليه ، فجاؤوا به حتّى رموا بين يديه بعضه على بعض ، فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ : هكذا تجتمع الذّنوب ، ثمّ قال : إيّاكم والمحقّرات من الذّنوب ، فإنّ لكلّ شيءٍ طالباً ألا وإن طالبها يكتب ما قدّموا وآثارهم : ﴿ **وكلّ شيءٍ أحصيناه في أمام مبين** ﴾ . . . »[1] .

وعلويّ : « لا تستصغروا قليل الآثام ، فإنّ الصّغير يحصى ويرجع إلى الكبير »[2] .

وكاظميّ : « لا تستكثروا كثير الخير ، ولا تستقلّوا قليل الذّنوب ، فإنّ قليل الذّنوب يجتمع حتّى يكون كثيرا ، وخافوا الله في السّرّ حتّى تعطوا من أنفسكم النّصف »[3] .

وكاظميّ آخر عن المسيح عليه السّلام : « . . . وإنّ صغار الذّنوب ومحقراتها من مكائد إبليس يحقّرها في أعينكم فتجتمع وتكثر فتحيط بكم »[4] .

وصادقيّ : «اتّقوا المحقّرات من الذّنوب؛ فإنّها لا تغفر، قلت: وما المحقّرات ؟ قال : الرّجل يذنب الذّنب فيقول : طوبى لي لو لم

---

(١) أصول الكافي ٢ / ٢٨٨ ، البحار ٧٣ / ٣٤٦ ، وفيه اشارة إلى آية ١٢ من سورة يٓس .

(٢) البحار ٧٣ / ٣٥١ .

(٣) أصول الكافي ٢ / ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

(٤) البحار ٧٨ / ٣٠٧ .

يكن لي غير ذلك »[1] .

وآخر : « لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار »[2] .

وباقريّ : « الذّنوب كلّها شديدة وأشدّها ما نبت عليه اللّحم والدّم ؛ لأنّه إمّا مرحوم وإمّا معذّب ، والجنّة لا يدخلها إلاّ طيّب »[3] .

وصادقي : « تعوّذوا بالله من سطوات الله باللّيل والنّهار قلت : وما سطوات الله ؟! قال : الأخذ على المعاصي »[4] .

وكاظميّ : « الكبائر ما وعد الله عليه النّار . . . »[5] .

وصادقيّ : « لا والله لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الإصرار على شيءٍ من معاصيه »[6] .

وسجّادي : « حب الدّنيا رأس كلّ خطيئة »[7] . فتدبّر جيّداً .

---

(١) أصول الكافي ٢ / ٢٨٧ .
(٢) المصدر ص ٢٨٨ .
(٣) الوسائل ١١ / ٢٣٧ .
(٤) الوسائل ١١ / ٢٤١ .
(٥) الوسائل ١١ / ٢٥٢ .
(٦) الوسائل ١١ / ٢٦٨ .
(٧) أصول الكافي ٢ / ١٣٠ ـ ١٣١ .
ولا يخفى أنّ روايات النهي عن استصغار الذنب كثيرة. ومنها الباقري : « ولا تستصغرن سيئةً تعمل ؛ فإنك تراها حيث تسوؤك » . الوسائل ١ / ٨٩ ، باب ٢٨ من أبواب مقدّمة العبادات ، الحديث ٧ .

١٠٥ ـ الصّلاة قربان كلّ تقي

روى الشّيخ الصدوق طاب ثراه بسنده إلى محمّد بن الفضل عن أبي الحسن الرّضا ـ عليه السّلام ـ قال : «الصلاة قربان كلّ تقيّ»[١] .

هذه الكلمة الحكميّة تعدّ من الأمثال السّائرة على الألسن وقد قالها عليّ المرتضى قبل عليّ بن موسى الرّضا عليهم السّلام[٢] وكلّهم عليهم السّلام نور واحد ولهم هدف واحد ، وكلامهم واحد لا يخالف آخرهم أوّلهم .

والمراد من القربان، هو : القرب إلى الله عزّ وجلّ ، وأنّ الصّلاة سببه ووسيلة له إذا صدرت عن المتّقي؛ إذ لا قرب ولا قبول من غير المتّقي ، قال تعالى فيما اقتصّ من أحد ابني آدم عليه السّلام هابيل : ﴿ **إنّما يتقبّل الله من المتّقين** ﴾[٣] . وقد قرّره عزّ وجلّ بعد

---

(١) عيون الأخبار ٢ / ٧ ، الكافي ٣ / ٢٦٥ .

(٢) النهج ١٨ / ٣٣٢ ، الكلمة ١٣٢ ، البحار ٧٨ / ٦٠ .

(٣) سورة المائدة : الآية / ٢٧ .

الاقتصاص .

ومنه حال السّجود الّذي هو أحد أركان الصّلاة، وإذا تركت السّجدتان من ركعة واحدة بطلت إجماعاً، كما جاء في صحيح معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن أفضل ما يتقرّب به العباد إلى ربّهم وأحبُّ ذلك إلى الله عزّ وجلّ ما هو؟ فقال : ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصّلاة، ألا ترى أنّ العبد الصّالح عيسى بن مريم عليه السّلام قال : ﴿ **وأوصاني بالصّلوة والزّكوة ما دُمتُ حيّاً** ﴾ [1] .

وفي رواية الصّدوق بسنده عن الوشّا قال : سمعت الرّضا يقول : أقرب ما يكون العبد من الله عزّ وجلّ وهو ساجد، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ **واسجد واقترب** ﴾[2] .

والصّادقيّ : « . . . عليك بالدّعاء وأنت ساجد، فإنّ أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد . . . »[3] .

لا يحصي ما للصّلاة من شؤون قلم، ولا بيان، ونحن نذكر بعض ما ورد فيها .

ففي صادقيّ : « إذا قام المصلّي إلى الصّلاة نزلت عليه الرّحمة من أعنان السّماء إلى أعنان الأرض ، وحفّت به الملائكة وناداه ملك : لو يعلم هذا المصلّي ما في الصّلاة ما انفتل »[4] .

إنّ الصلاة قرّة عين الرّسول صلّىٰ الله عليه وآله وأهل بيته

---

(١) سورة مريم : الآية / ٣١ ، الكافي ٣ / ٢٦٤ .
(٢) سورة العلق : الآية / ١٩ ، الكافي ٣ / ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .
(٣) الكافي ٣ / ٣٢٤ .
(٤) الكافي ٣ / ٢٦٥ .

عليهم السّلام، روى الصّدوق بسنده إلى أنس عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال : حبّب إليّ من دنياكم النّساء ، والطّيب ، وجعل قرّة عيني في الصّلاة »[1] . ورواه الشّيخ الطّوسي بلفظ : « . . . وحبّبت إليّ . . . »[2]وفي نفس الرّواية: «يا أبا ذرّ إنّ الله تعالى جعل قرّة عيني في الصّلاة وحبّبها إليّ كما حبّب إلى الجائع الطّعام ، وإلى الظّمآن الماء ؛ فإنّ الجائع إذا أكل شبع، وإذا شرب الماء روي ، وأنا لا أشبع من الصّلاة »[3] .

والنّبويّ : « الصّلاة كالميزان من أوفى استوفى »[4] .

والصّلاة صلة بين الخالق والخلق ، وللقربان معنى آخر ليس هنا محل ذكره فتدبّر .

---

(١) الخصال ١ / ١٦٥ ، وفي المصدر ما يجدر النظر اليه .

(٢) أمالي الشيخ الطوسي ٢ / ١٤١ .

(٣) المصدر .

(٤) الأمثال النبويّة ١ / ٤٩٨ ، رقم المثل ٣١٦ ، حرف الصاد مع اللام .

١٠٦ ـ صمّاء صيلم

روى الصّدوق بسنده إلى إبن محبوب عن أبي الحسن الرّضا عليه السّلام قال : قال لي : « لا بدّ من فتنة صمّاء صيلم يسقط فيها كلّ بطانة ووليجة ، وذلك عند فقدان الشّيعة الثّالث من ولدي يبكي عليه أهل السّماء وأهل الأرض وكلّ حرّى وحرّان[1] وكلّ حزينٍ لهفان .

ثم قال : بأبي وأمّي سمّي جدّي وشبيهي وشبيه موسى بن عمران عليه السّلام عليه جيوب النّور تتوقّد بشعاع ضياء القدس كم من حرّىٰ مؤمنة وكم من مؤمن متأسّف حيران حزين عند فقدان الماء المعين كأنّي بهم آيس ما كانوا ، نودوا نداء يسمع من بُعدٍ كما يسمع من قربٍ يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على الكافرين »[2] .

قال الجزري : الفتنة الصّمّاء : هي التي لا سبيل إلى تسكينها لتناهيها في دهائها، لأنّ الأصمّ لا يسمع الاستغاثة ولا يقلع

---

(١) من حرّ العطش المؤنث منه حرى والرجل حران .

(٢) ال[illegible] ٠ ٥١ / ١٥٢ ، عيون الأخبار ٢ / ٦ مع اختلاف يسير .

عمّا يفعله ، وقيل هي كالحيّة الصّماء الّتي لا تقبل الرُّقىٰ »[1]

قال المجلسي بعد النّقل لفظ الجزري : أقول : لا يبعد أن يكون مأخوذاً من قولهم : صخرة صمّاء أي الصّلبة المصمتة كناية عن نهاية اشتباه الأمر فيها حتّى لا يمكن النّفوذ فيها والنّظر في باطنها وتحيّر أكثر الخلق فيها ، أو عن صلابتها وثباتها واستمرارها .

والصّيلم : الدّاهية والأمر الشّديد ، ووقعة صيلمة أي : مستأصلة . وبطانة الرّجل : صاحب سرّه الّذي يشاوره في أحواله . ووليجة الرّجل : دخلاؤه وخاصّته أي : يزلّ فيها خواصّ الشّيعة .

والمراد بالثالث : الحسن العسكري . والظاهر رجوع الضّمير في « عليه » إليه . ويحتمل رجوعه إلى إمام الزّمان المعلوم بقرينة المقام ، وعلى التّقديرين المراد بقوله سمّي جدّي القائم عليه السّلام[2] .

أقول :

المراد من قوله عليه السّلام : « من ولدي » هو الجواد عليه السّلام وعليه فلا ينطبق الثّالث إلاّ على المهدي عليه السّلام ، وآخر الكلام قرينة على المراد ، إلاّ أن يقال أنّ الفصل بكلمة « ثم قال »

---

(١) النهاية في « رقي » .

(٢) البحار ٥١ / ١٥٣ .

ومن الصخرة الموصوفة بها الإنشاد العلوي :

لو كان في صخرة في البحر راسية — صمّاء ململمة ملس نواحيها

رزق لنفس يراها الله لانفلقت — عنه فأدّت إليه كلّ ما فيها

أو كان بين طباق السبع مجمعه — لسهل الله في المرقى مراقيها

حتى يوافي الذي في اللوح خط له — إن هي أتته وإلاّ فهو يأتيها

التوحيد ٢٧٢ .

كلام ثانٍ يخصّ المهدي، وقبله خاصّ بالحسن العسكري، وللتأمل فيه مجال واسع .

قوله عليه السّلام : « عليه جيوب النّور » قال المجلسي :لعل المعنى: أنّ جيوب الأشخاص النّورانية من كمّل المؤمنين والملائكة المقرّبين وأرواح المرسلين تشتعل للحزن على غيبته ، وحيرة النّاس فيه ، وإنّما ذلك لنور إيمانهم الساطع من شموس عوالم القدس .

ويحتمل أن يكون المراد بجيوب النّور ، الجيوب المنسوبة إلى النّور والّتي يسطع منها أنوار فيضه وفضله تعالى .

والحاصل أنّ عليه عليه السّلام أثواب [با] قدسيّة وخلع [ـعا] ربّانيّة تتّقدمن جيوبها أنوار فضله وهدايته تعالى ويؤيّده ما مرّ في رواية محمّد بن الحنفيّة عن النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله « جلابيب النّور » .

ويحتمل أن يكون« على » تعليليّة أي : بركة هدايته وفيضه عليه السّلام يسطع من جيوب القابلين أنوار القدس من العلوم والمعارف الرّبانيّة[١] .

أقول :

إذا كان « القدس » بمعنى الطّهر والنّقاء الذّاتي الّذي لا يحمل أيّ كدر بل شأنه القداسة والكرامة ، فلا محالة يراد من « عليه جيوب النّور » سطوع النّور من بدن المهدي وروحه الطّاهر إلى فوق قميصه،ومن أثوابه المقدّسة تتّقد أشعّته النّور لظاهر العالم وباطنه ، ويراد منها أي: من الجيوب ثيابه والمهديّ عليه السّلام هو أصل النّور .

---

(١) البحار ٥١ / ١٥٣ ـ ١٥٤ .

أو يراد أنّ الله عزّ وجلّ كساه من كسوة الأنوار الرّبّانيّة، وقد جاء السّؤال عنها من الإمام السّجاد عليه السّلام : « ما بال المتهجّدين باللّيل من أحسن النّاس وجهاً ؟ قال : لأنّهم خلوا بالله فكساهم الله من نوره » ! .[1]

إذا كان المؤمن إذا خلا بربّه في صلاة اللّيل كساه الله عزّ وجلّ من نوره فما ظنّك بإمام المؤمنين مهديّ آل محمّد صلّىٰ الله عليهم وسلّم الّذي هو معدن النّور الموهوب الذّاتي الرّبّاني المشتقّ من النّور النّبويّ والعلوي أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ .

ففي نبويّ : « يا علي إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله . . . »[2]

وباقري : « قال رسول الله ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ : أوّل ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقّه من جلال عظمته »[3] .

قوله عليه السّلام : «شبيهي وشبيه موسى بن عمران عليه السّلام» .
كان الرّضا عليه السّلام فيه الشّبه النبويّ فالمهديّ عجّل الله فرجه كذلك، على أنّهما من ولد الحسين عليه السّلام وهو وأخوه الحسن فيهما الشّبه النّبويّ والعلويّ .

ولعلّ حديث : « أوّلنا محمّد ، وأوسطنا محمّد ، وأخرنا محمّد ، وكلّنا محمّد »[4] . ناظر إلى الشّبه المحمّدي في الصّورة كما هم عليهم السّلام كذلك في السّيرة .

---

(١) علل الشرائع ٢ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦ ، باب ٨٧ الحديث ١ .
(٢) البحار ٢٥ / ٣.
(٣) البحار ٢٥ / ٢٢ .
(٤) مصابيح الأنوار ٢ / ٣٩٩ .

وأمّا شبه المهدي بالكليم ففي غيبته عن قومه لميقات ربّه وارتدادهم في المدّة الأربعينيّة كذلك المهدي قد غاب بعد وفاة أبيه الحسن عليه السّلام عام المائتين والسّتين الهجري وله غيبتان إحداهما أطول من الأخرى .

ومبدأ الصّغرى إن اعتبرنا ولادته فمن خمس وخمسين بعد المائتين، لأنّه توفّي أبوه الحسن عليهما السّلام وله من العمر خمس، ومنتهاها وفاة النّائب الرابع علي بن محمّد السّمري ، عام ٣٢٩ ، وعليه تكون مدّة الصّغرى أربع وسبعين عاماً، وإن اعتبرناه وفاة العسّكري عام مائتين والستّين فتسع وستون .

وأما الكبرى التّامّة فمبدأها ٣٢٩ عام وفاة السّمري، وأمّا النّهاية فلا يعلمها إلاّ الله جلّ جلاله، وتاريخ كتابة هذا الكتاب ألف وأربع مائة وسبع سنين ، وحتّى يأذن الله عزّ وجلّ له بالخروج اللّهمّ سهّل مخرجه .

أو يراد من الشّبه بموسى خفاء الولادة فكما خفي ساعة ولادة موسى عن فرعون وقومه، كذلك المهدي خفي ولم يعلم بولادته أحدٌ إلا القليل .

حرف الضّاد

١٠٧ ـ ضاهيت اليهود في هذا الباب

كلمة من كلمات الرّضا عليه السّلام المستخرجة من مناظرته مع سليمان المروزي الّتي رواها الصّدوق طاب ثراه نذكر منها ما يخصّ مسألة البداء الّتي أنكرها سليمان المروزي .

« قال ـ عليه السّلام ـ : وما أنكرت من البداء يا سليمان والله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **أولا يذكرُ الإنسانُ أنّا خلقناهُ من قبل ولم يكُ شيئاً** ﴾[1] ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **وهو الّذى يَبْدء الخلقَ ثمّ يُعيده** ﴾[2] . ويقول : ﴿ **بديع السّموات والأرض** ﴾[3] . ويقول عزّ وجلّ : ﴿ **يزيد فى الخَلْق ما يَشاء** ﴾[4] . ويقول : ﴿ **وبَدَأ خَلْق**

---

(١) سورة مريم : الآية / ٦٧

(٢) سورة الروم : الآية / ٢٧ .

(٣) سورة البقرة : الآية / ١١٧ ، سورة الأنعام : الآية / ١٠١ .

(٤) سورة فاطر : الآية / ١ .

الإنسان من طين ﴾[١] . ويقول عزَ وجلّ : **﴿ وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم ﴾**[٢] . ويقول عزّ وجلّ : **﴿ وما يُعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلاّ فى كتاب ﴾**[٣] .

قال سليمان : هل رويت فيه[٤] من آبائك شيئاً ؟ قال : نعم رويتُ عن أبي عبد الله ـ عليه السّلام ـ أنّه قال : إنّ لله عزّ وجلّ عِلْمين : عِلماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلاّ هو ، من ذلك يكون البداء ، وعلماً علمه ملائكته ورسله ، فالعلماء من أهل بيت نبيّنا يعلمونه .

قال سليمان : أحبّ أن تنزعه لي من كتاب الله عزّوجلّ ، قال : قول الله عزّ وجلّ لنبيّه ـ صلّىٰ الله عليه وآله ـ : **﴿ فتولّ عنهم فما أنت بملوم ﴾**[٥] .. أراد هلاكهم ثم بدا لله عز وجلّ فقال : **﴿ وذكّر إنّ الذّكرى تنفع المؤمنين ﴾**[٦] . قال سليمان : زدني جعلت فداك .

قال الرّضا : لقد أخبرني أبي عن آبائه عليهم السّلام عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ قال : إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى نبيٍّ من أنبيائُه أن أخبر فلاناً الملك : أنّي متوفّيه إلى كذا وكذا فأتاه ذلك النّبيّ فأخبره فدعا الله الملك وهو على سريره حتّى سقط من السّرير وقال يا ربّ أجّلني حتّى يشبّ طفلي وأقضي أمري فأوحى الله

---

(١) سورة السجدة : الآية / ٧ .
(٢) سورة التوبة : الآية / ١٠٦
(٣) سورة فاطر : الآية / ١١ .
(٤) أي : في البداء .
(٥) سورة الذّاريات : الآية / ٥٤ .
(٦) سورة الذّاريات : الآية / ٥٥ .

عزّ وجلّ إلى ذلك النّبيّ : أن ائت فلانا الملك فأعلمه أنّي قد أنسيتُ في أجله وزدت في عمره إلى خمس عشرة سنة، فقال ذلك النّبيّ ـ عليه السّلام ـ : يا ربّ إنّك لتعلم أنّي لم أكذب قطّ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه إنّما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك، والله لا يُسأل عمّا يفعل ، ثمّ التفتَ إلى سليمان فقال : أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب ، قال : أعوذ بالله من ذلك وما قالت اليهود ؟ قال : قالت: ﴿ **يد الله مغلولة** ﴾[1] يعنون أن الله تعالى قد فرغ من الأمر فليس يُحدث شيئا »[2] .

قوله عليه السّلام : « ضاهيت اليهود » من المضاهاة : وهي مشاكلة شيءٍ بشيءٍ ، قال ابن فارس : يقال ضاهاه يضاهيه ، إذا شاكله ، وربّما همز فقيل يضاهي ، والمرأة الضهياء : هي الّتي لا تحيض فيجوز على تمحّل واستكراه أن يقال كأنها قد ضاهت الرّجال فلم تحض[3] .

وقيل الضّهياء من النّساء : إلّتي لا تحيض ولا ينبت ثدياها ولا تحمل ، وقيل :الّتي لا تلد وإن حاضت[4] .

ولم تكن في القرآن الكريم من هذه اللّفظة إلاّ آية ﴿ **يضاهئون**

---

(١) سورة المائدة : الآية / ٦٤ .

(٢) التوحيد ٤٤٣ ـ ٤٤٤ ، عيون أخبار الرضا ١ / ١٤٥ ـ ١٤٦ وفيه: « أن ائت فلانا الملك فاعلم أني . . . » . وبعده : فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ **غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا** ﴾ .

وللكلام الرضوي تتمة لم نذكرها ، وما ذكرناه إنما هو لبيان الكلمة .

(٣) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٣٧٤ ، في (ضهي) .

(٤) لسان العرب ١٤ / ٤٨٧ ، في (ضها) .

قــول الّـذين كفــروا من قبـل ﴾[1] . وقبلهـا قـولـه تعـالى : ﴿ **وقـالت اليهـود عزيـر ابن الله وقـالت النّصـارى المسيـح ابن الله ذلـك قـولهم بـأفواههم** ﴾ أي : اختـرعوه بـأفـواههم لم يـأتهم بـه كتاب، ومـا لهم بـه حجّة[2] .

وقد ضاهى قول اليهود : إنّ عزيراً ابن الله وقول النّصارى : المسيـح ابن الله قـول الكافـرين من قبل : بـأنّ الملائكـة بنـات الله وكـلّ هـذه الأقوال الثّلاثة نظائـر تشترك في الفسـاد والبطلان ، وهكذا قول سليمـان المـروزي وأتباعـه بإنكـار البداء : يشبـه اليهود في قولهم : بأنّ الله قـد فـرغ من خلق الخلق ، وأنّه مغلول اليـد وهـو إنكـار للقـدرة المـطلقـة وإثبـات النّقص والعجز لله جـلّ جلالـه ، فرّدهم الله عـزّ وجلّ بقـوله : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيـديهم ولعنوا بمـا قالـوا بل يـداه مبسـوطتـان ينفق كيف يشـاء** ﴾[3] . وهـو القـول بـالتّفـويض البـاطـل كالجبر .

والحقّ الـقــول بـالأمــر بين الأمـرين في مسـألـة الـطّاعـة والعصيان .

وإنكـار البداء كـالقول بـالتّفويض من مـذهب اليهـود ومعتقـدهم المستلزم لإنكار القدرة المطلقة، وقد أبطله الرّضا والأئمـة المعصومـون عليهم السّلام بما تقدّم ذكره ، وما يمرّ عليك .

وأمّا وجه الاستدلال بالآي في كـلام الرّضـا عليه السّـلام فيظهـر من إثبـات حدوث العالم، الملازم لإثبـات البداء ، المفسّر بالإظهـار من

---

(١) سورة التوبة : الآية / ٣٠ .

(٢) تفسير الصافي ١ / ٦٩٥ ، عند الآية .

(٣) سورة المائدة : الآية / ٦٤ .

العلم المكنون المصرّح به في كلامه عليه السّلام .

وأمّا البداء بمعنى الظّهور المستلزم للجهل فهو محال عليه تعالى، نعم يراد به بالنّسبة إلى الشّيء الواقع فيه البداء أي: الظّهور؛ لأنّه لا ينفكّ عن الإظهار ، فافهم الفرق بينهما ولا تخلطهما .

وأما ما جاء في أحاديث أهل البيت عليهم بهذا الصّدد فإليك بعضها: ومنه الصّحيح الصّادقي : « ما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً حتّى يأخذ عليه ثلاث خصال : الإقرار بالعبوديّة ، وخلع الأنداد ، وأنّ الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء »[1] . والآخر : « في هذه الآية : ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت** ﴾[2] قال : فقال : وهل يمحو الله إلاّ ما كان ؟ وهل يثبت إلاّ ما لم يكن ؟ »[3] . والرّضويّ : « ما بعث الله نبيّاً قطّ إلاّ بتحريم الخمر ، وأن يقرّ له بالبداء »[4] . والصّادقي : « لو يعلم النّاس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه»[5]. والآخر : « من زعم أنّ الله عزّ وجلّ يبدو له في شيءٍ لم يعلمه أمس فابرؤوا منه »[6] . وعن الصادقين عليهما السلام : « ما عبد الله عز وجل بشيء مثل البداء »[7] . والصادقي : « ما عظّم الله عز وجل بمثل البداء »[8] .

---

(١) البحار ٤ / ١٠٨ .
(٢) سورة الرعد : الآية / ٣٩ ، آخرها ﴿ **وعنده أم الكتاب** ﴾ .
(٣) البحار ٤ / ١٠٨ .
(٤) المصدر .
(٥) المصدر .
(٦) المصدر ص ١١١ .
(٧) التّوحيد ٣٣٢ .
(٨) التوحيد ٣٣٣ .

قال الصّدوق :

ليس البـداء كما يـظنّه جهّـال النّاس : بأنّه بـداء ندامة، تعالى الله عن ذلـك ، ولكن يجب علينـا أن نقـرّ لله عـزّ وجـلّ بـأنّ لـه البـداء ، معناه : أنّ له أن يبـدأ[1] بشيءٍ من خلقه فيخلقـه قبـل شيءٍ ، ثمّ يعـدم ذلك الشّيء ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمـر بأمـرٍ ثمّ ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيءٍ ثم يـأمـر بمثـل مـا نهى عنـه ، وذلـك مثـل نسـخ الشّـرائع، وتحويل القبلة، وعدّة المتوفّى عنها زوجها، ولا يأمر عبـاده بأمـر في وقت مـا إلّا وهـو يعلم أنّ الصّـلاح لهم في ذلـك الـوقت في أن يـأمـرهم بـذلك ، ويعلم أنّ في وقت آخـر الصّلاح لهم في أن ينهـاهم عن مثل مـا أمرهم بـه ، فإذا كـان ذلك الـوقت أمرهم بمـا يُصلحهم ، فمن أقرّ لله عزّ وجلّ بأنّ له أن يفعـل ما يشـاء ويعدم مـا يشاء ويخلق مكـانه مـا يشاء ، ويقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشـاء ويأمـر بما يشـاء كيف شاء فقـد أقـرّ بالبـداء وما عـظّم الله عزّ وجـلّ بشيءٍ أفضـل من الإقـرار بـأنّ لـه الخلق والأمـر ، والتّقديم والتّـأخير ، وإثبـات ما لم يكن ومحـو ما قـد كان .

والبـداء هو ردّ على اليهـود ؛ لأنّهم قالـوا : إنّ الله قـد فـرغ من الأمـر فقلنا: إنّ الله كـلّ يـوم في شـأن يُحي ويميت ويرزق ويفعـل مـا يشاء ، والبداء ليس من ندامة، وإنّما هو ظهـور أمر، يقول العرب : بـدا لي شخص في طريقي أي: ظهر، قـال الله عزّ وجـلّ : ﴿ **وبدا لهم من الله مـا لم يكونـوا يحتسبون** ﴾[2] . أي : ظهر لهم ومتى ظهر لله تعـالى ذكـره من عبد صلة لـرحمه زاد في عمـره ، ومتى ظهر لـه منـه قـطيعـة

---

(١) قـال المعلّق على كتاب التـوحيد ٣٣٥ : لا يتـوهم من هذا أنـه أخـذ البـداء مهموزاً، فليتأمّل في ذيل كلامه .

(٢) سورة الزمر : الآية / ٤٧ .

لـرحمه نقص من عمـره ، ومتى ظهر لـه من عبد إتيـان الزّنـا نقص من رزقـه وعمـره ، ومتى ظهـر لـه منـه التّعفف عن الـزّنـا زاد في رزقـه وعمره[1] .

أقول :

إنّ البحث حول البداء مبسّط درسناه بتفصيل عنـد وصول السّيّـد الأستـاذ إليـه في مبحث الأصـول وكتبنـا عنـه بعض الشّيء[2] وأحسن الأجوبة مـا أجاب عنـه الأئمّة المعصـومون عليهم السّـلام قدمنـا بعض أحاديثهم .

وقـال زميلنا السّيّـد المعلّق : وأحقّ ما قيـل في الجواب مـا ذكر في كلمـات أئمّتنا صلوات الله عليهم أنّ من الأمـور أموراً مـوقوفـة عند الله تعـالى يقدّم منهـا مـا يشـاء ويؤخّـر مـا يشـاء وعلم ذلـك كلّه عنـده تعالى ويقع علم تلك الأمور عند مدبّرات الأمـور من الملائكـة وغيرهم فيخبـرون عنها مـع جهلهم بـالتّـوقّف أو سكـوتهم عنـه مـع العلم كمـا سكت عنـه الله تعـالى كمـا هـو الشّـأن في أئمتنـا صلوات الله عليهم بعقيدتي لأنّ علمهم فوق البداء لأنّهم معادن علمه تعالى . . .[3] .

وكفى جـواباً مـا تقـدّم عن الصّـادق : « مـا عـظّم الله عـزّ وجـلّ بمثل البداء »[4] . وذلك لا يكون إلا بـالإقرار بـه وأنّ له تعـالى القدرة المطلقة في كلّ شيءٍ .

---

(١) التوحيد ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

(٢) عنـدما كنـا في النجف الأشـرف الى عـام ١٣٩٥ هجري، ثم انتقلنـا الى قم المقـدسة ونحن في جـوار فاطمـة بنت مـوسى بن جعفـر عليهم السـلام الى عامنا هذا ١٤٠٧ هـ .

(٣) هامش التوحيد ٣٣٢ . وله بيان مشبع حـول الموضوع، انظر التـوحيد ٣٣١ ـ ٣٣٣ .

(٤) التوحيد ٣٣٣ .